الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية

بوزريعة – الجزائر

قسم التاريخ و الجغرافيا

أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية

580 ﻫ – 1184 م / 633 ﻫ – 1235 م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

لجنة المنقشة :

أ . د. بلغيث محمد الأمين .... رئيسا
د. بوطارن مبارك ....مقررا
د. شهبي عبد القادر .... مناقشا

إعداد الطالب :
واعظ نويوة

إشراف الدكتور :
مبارك بوطارن

السنة الجامعية
2007 - 2008

الإهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى من حبهم

بعد الرحمن في قلبي والدي العزيزين.

إلى كل عائلتي الكريمة.

إلى كل من خط منارا في العلم ونذر نفسه

لخدمة رسالته السامية.

شكر وتقدير

أتقدم بأحر التشكرات لكل من ساعدنا في إنجاز هذه الرسالة وعلى رأسهم الدكتور بوطارن مبارك الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة والدكتور خلف محمد نجيب الذي أدعو الله له بالشفاء العاجل.

وإلى أعضاء اللجنة المناقشة الذين تحملوا عبء قراءة هذه المذكرة رغم مشاغلهم الكثيرة الأستاذ الدكتور حساني مختار والدكتور شهبي عبد العزيز

تعد ثورة بني غانية مفارقة عجيبة في تاريخ المغرب الإسـلامي؛ فـنحن إذا رجعنـا إلى الثورات التي عرفها المغرب سابقا وجدناها قامت في الغالب على أيدي رجال من أهل المنطقة و لهم عصبيات وقبائل كبرى، أما ثورة بني غانية فقد قامت على أكتاف قوم غرباء تقريبـا عـن المنطقة، بل إن منهم من وطئوا المغرب أول مرة في هذه الثورة، ولكن بالرغم من ذلك فقد طالت اكبر مدة (حوالي خمسين سنة) وشاركت فيها طوائف من كل الأجناس وأسفرت عـن اكـبر خراب بل وكانت سببا من أسباب سقوط اكبر دولة عرفها المغرب الإسلامي (الدولة الموحدية) فكان أن شدت هذه الثورة انتباهي لما فيها من المفارقات

ورغم أن الكثير من المؤرخين قد تناولوا تاريخ هذه الثورة بالدراسة والبحـث إلا أنهـم أغفلوا جانبا لا يقل أهمية عن تاريخ الثورة ذاتها ألا وهو جانب آثار هذه الثورة علـى الدولـة الموحدية لما له من خطر كبير وتأثيره على الكثير من الأحداث التالية فأردت أن أتناوله كموضوع لرسالتي تحت عنوان:

أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية

و قصد الإحاطة بالموضوع فقد قسمنا لهذا هذا إلى ثلاثة فصول، قدمنا له بفصل تمهيدي تعرضنا فيه لأصل بني غانية وكيفية حكمهم للجزائر الشرقية والتطورات التاريخية الـتي أدت إلى اشتعال النزاع بينهم وبين الموحدين. و تعرضنا في الفصل الأول للتطورات التاريخية لهذه الثـورة من بدايتها حتى نهايتها، و قسمناه إلى مباحث على أساس التطورات التاريخية. أما الفصل الثـاني فقد أفردناه لدراسة الآثار السياسية لهذه الثورة، مستهلين بدراسة لظروف التاريخية لمنطقة أفريقية قبل دخول بني غانية إليها، وتأثير هذه الظروف على هذه الثورة، والأسباب التي جعلت بني غانية يتوجهون إليها بالذات. وفي المبحث الثاني تعرضنا لمراحل ثورة بني غانية وحاولنا وضع تقسـيم زمني لهذه الثورة التي امتدت نحوا من خمسين سنة. ثم تناولنا بعد ذلك آثار هذه الثورة السياسـية الداخلية ثم الخارجية على الدولة الموحدية.

أما الفصل الثالث فقسمناه إلى ثلاثة مباحث خصصنا الأول منها للحديث عـن الآثـار الاقتصادية للثورة على الدولة الموحدية، في مختلف المجالات الزراعية، والصناعية، والتجارية. أمـا

المبحث الثاني فتناولنا فيه النتائج الثقافية وأثرها الخفي في تحريك هذه الثورة، وتطرقنا إلى أجود ما قيل في ثورة بني غانية من شعر أو نثر، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه النتائج الاجتماعية وبينا فيه كيف أصبح المجتمع المغربي ينظر بعين الحقد والغل إلى الطوائف المشاركة فيها.

وقد احتل الأثر السياسي النصيب الأكبر من البحث نظرا لخطورة هذا الجانب مقارنة مع باقي الجوانب الأخرى.

و بالنسبة للمنهج المتبع في هذه المذكرة، فقد اعتمدنا في الفصل الأول المنهج الاستقصائي مع شيء من التحليل، لربط الأحداث ببعضها البعض، و في الفصل الثاني فقد اتبعنا المنهج التحليلي نظرا لحاجتنا إلى تحليل الأحداث واستنباط آثار هذه الثورة منها، وفي الفصل الثالث زاوجنا بين المنهج الاستقصائي والتحليلي، ففي المبحث الأول (الآثار الاقتصادية لثورة بني غانية) بذلنا جهودا كبيرة لإستنباط النتائج الاقتصادية من الوقائع الحربية والسياسية و حاولنا الاقتراب من الأرقام الحقيقية بقدر الإمكان معتمدين في ذلك على مختلف المصادر ثم تمثيلها في منحنيات لتصبح أكثر وضوحا وأيسر للفهم، وبالنسبة لمبحثي النتائج الثقافية والاجتماعية فقد اعتمدنا فيهما المنهج التحليلي نظرا لعدم اهتمام المؤرخين في الغالب بهذين العنصرين.

وأما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذه الدراسة، والتي زادت عن المئة، يأتي في مقدمتها كتاب ابن عذاري **"البيان المغرب** في **تاريخ الأندلس والمغرب"** الذي يعد من أهم المصادر التي أعانتنا في الفصل الأول، وأول ما يلاحظ على ابن عذاري امتلاء روايته بالكثير من التفاصيل الدقيقة حول الثورة، وتفاصيل اقل عن آثارها، غير أن اعتماده على مؤرخي الدولة الموحدية الرسميين خاصة ابن صاحب الصلاة جعل روايته تحسب على الموحدين، وكذلك يظهر في لغته تكلف الصنعة اللفظية بشكل طغى على جلاء المعنى. و من المصادر الهامة في دراستنا أيضا كتاب عبد الواحد المراكشي **"المعجب** في **تلخيص أخبار المغرب"** الذي أمدنا بمعلومات هامة عن أصول ثورة بني غانية وأسباب اشتعال النزاع بينهم وبين الموحدين، فصاحب الكتاب (المراكشي) كان مطلعا على مجريات الأمور من خلال اتصاله بأحد الأمراء الموحدين، كما اشتهر ببعده عن التزلف والتملق، زيادة على أنه يعتمد لغة بسيطة سلسة كان لها دور كبير في توضيح الأفكار، ولكن كتابه مع الأسف جاء مختصرا، كما أنه لا يغطي كل ثورة بني غانية. أما التجاني و كتابه **"الرحلة"** أو كما يعرف "رحلة التجاني" فقد اهتم اهتماما بالغا بالإشارة إلى آثار ثورة بني غانية

الاقتصادية والسياسية واستعمل لغة بسيطة سلسة، ولكن عمله كأحد وزراء الدولة الحفصية، التي كان لها اليد الطولى في القضاء على ثورة بني غانية كما سنرى، يلقي بضلال من الشك حـول مدى الموضوعية التي كتب بها عن هذه الثورة، أما ابن خلدون فعلى الرغم من أنه لم يكن معاصرا لثورة بني غانية، إلا أن عمله في بلاط العديد من حكام دول المغرب آنذاك مكنه من الاطـلاع على الكثير من خبايا هذه الثورة، لكنه مع الأسف اعتمد الاختصار الكبير في لغته إلى درجة أنه يمكننا القول أن ما يكتبه ابن عذاري في صفحتين قد يكتبه ابن خلدون في سطرين وليس في هذا أي مبالغة.

أما بالنسبة للمراجع فكان كتاب الأستاذ محمـد عبـد الله عنـان " **دولـة المـرابطين والموحدين**" من المراجع الهامة جدا في بحثنا، وقد اعتمد فيه على كتاب ابن عـذاري بالدرجـة الأولى بل باستطاعتنا القول أن كتابه عبارة على تحقيق موسع لكتاب ابن عذاري، ولكنه والحق يقال كان نقله عنه نقل الناقد الحصيف، فكثيرا ما يشير إلى أخطاء وقع فيها بعـض المـؤرخين (خاصة أخطاء المراكشي) بالإضافة إلى اعتماده على بعض المدونات النصرانية مـا أغـنى بحثـه وأثراه، وقد ختم الثورة في آخر حديث عنها بتحليل جيد بين فيها أسباب فشل بني غانيـة في تحقيق حلمهم. و كذلك كتاب "**جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار**" لعصـام سالم سيسالم وهو كتاب ضخم يتناول تاريخ الجزائر الشرقية(موطن بني غانيـة) مـن الفـتح الإسلامي إلى سقوطها وخروج المسلمين منها و تشهد ضخامته وكثرة مراجعه ومصادره المتعددة اللغات بعلو الهمة في البحث العلمي، وعموما فالمرجعين المذكورين من أجود ما وقع بين أيـدينا من المراجع في ثورة بني غانية. أما المراجع الأجنبية فقد كان كتاب المستشرق الفريد بـل "**بنـو غانية آخر ممثلي الإمبراطورية المرابطية وكفاحهم ضـد الإمبراطوريـة الموحديـة**" أو (les Benous Ghanyas dernier représentant de l'empire Almoravide et leur lutte contre l'empire Almohade) وقد طبع هذا السفر الثمين سنة 1903 وهـو أول كتاب تحدث عن ثورة بني غانية من المحدثين فيما نعلم، ولا غنى عنه لأي باحث في هذه الثورة، ويلاحظ أن جميع المراجع التي وقعت بين أيدينا اعتمدت على المصادر التي اعتمد عليها الفريد بل ما عدا الأستاذ عنان وسيسالم اللذان رجعا إلى بعض المدونات النصرانية والقطلونية التي تتحدث عن بني غانية في الجزائر الشرقية بالدرجة الأولى وليس عن الثورة التي قاموا بها في افريقية.

وفي الفصل الأخير اعتمدنا في مبحث النتائج الاقتصادية على كتاب الأستاذ عـز الـدين احمد موسى "**النشاط الاقتصادي** في **المغرب الإسلامي** في **القرن السادس هجري**" الذي كـان لنا خير معين في معرفة الآثار الاقتصادية كون ثورة بني غانية حدثت في القرن الذي يتناوله هـذا الكتاب بالدراسة ويظهر جليا أن كاتبه قد بذل جهودا مضنية في تأليفه من خلال إطلاعـه علـى الكثير من الكتب المطبوعة منها والمخطوطة في مختلف المجالات، النـوازل و الفقـه، التـاريخ، الجغرافيا، الأدب و التصوف...الخ. أما مبحث الآثار الثقافية فقد عدنا فيـه إلى الكتـب الـتي تتحدث عن المهدي بن تومرت المؤسس الروحي للدولة الموحدية، وأفكاره وحياته، وأثر ذلـك على موقف العلماء من بني غانية. مثل المراكشي في كتابه" **المعجب** في **تلخيص أخبار المغرب**" و الزركلي في كتابه **"الأعلام"** وابن الزبير في **"الصلة"** والغبريني في كتابه "**عنوان الدراية** في **مـن عرف من العلماء** في **المئة السابعة** في **بجاية**" ورفعت النجار **"المهدي ابن تومرت حياته وآثاره"** أما في مبحث النتائج الاجتماعية فقد استعنا بكتب النوازل **كنوازل البرزلي ونوازل الونشريسي**.

وكان من أهم الصعوبات التي واجهتنا هي النقص الكبير في المصادر والمراجع، فثورة بني غانية ليست ثورة ذائعة الصيت، كما أن مكتبة المدرسة فقيرة نسـبيا إلى المصـادر والمراجـع المتخصصة مما اضطرنا إلى اللجوء إلى مكتبات مختلف مؤسسات التعليم العالي قصد الاستعانة بها لكننا لم نلق الترحيب بل الأكثر من هذا أننا منعنا من التسجيل فيها بحجة عدم الانتماء إليها، مما صعب علينا بعض الشيء مهمة البحث، أما المكتبات العمومية ففي غالب الأحيان يكون الفهرس ممزق مما يضيع الوقت أضعافا مضعفة، ولو أن المكتبات كانت منظمة جيدا لاقتصدنا كما هائلا من الجهد والوقت، كما أن هناك بعض المصادر والمراجع شبه معدومة مثـل كتـاب، "**روض القرطاس**"، وكتاب الفريد بل المذكور سابقا الذي تطلب مني مجهودات مضنية للحصول عليـه فجلت جل مكتبات العاصمة و سافرت إلى قسنطينة حتى عثرت عليه أخيرا في المركز الأسـقفي في العاصمة، وللأسف منعت من نسخه لقدمه حيث انه طبع سنة 1903 فاضطررت أن أتـردد على المكتبة أياما وأنا انسخ هذا الكتاب بيدي، الأمر الذي استغرق مني وقتا كبيرا.

وفي الختام لا يفوتني أن اشكر أستاذي الدكتور محمد نجيب خلف على الدعم والتوجيـه الذي لقيناه منه وادعوا الله له بشفاء لا يغادر سقما كما اشكر أستاذي الدكتور مبارك بوطارن الذي شرفنا بقبوله الإشراف على هذه الرسالة وأفادنا بدعمه وتوجيهه أيما إفادة وبالله التوفيق.

I- *اصل بني غانية:*

ينتسب بنو غانية[1] إلى أمهم غانية، وكان المرابطون ينسبون أبنائهم إلى أمهاتم بسبب أن الرجال يتزوجون بعدة نساء فينسب الأولاد إلى الأمهات تمييزا لهم عن بعضهم البعض في البيت الواحد[2]، وهناك من يرى أن العادة عندهم انه متى كانت الأم ذات خلال شريفة ومكانة سامية بين القوم نسب الأولاد لها تشريفا لهم[3]. ويحتمل أن يكون ذلك بسبب المكانة السامية التي تحتلها المرأة في ذلك المتمع (الطوارقي) فمن المعلومة أن المرأة الطوارقية تحتل مكانة سامية في المتمع إلى اليوم. لذا نجد تسميات كثيرة على هذه الشاكلة في دولة المرابطين، مثل ابن الصحراوية وابن عائشة وبن فنو (اسم امرأة)...الخ[4].

ويرى بعض المؤرخين أن اصل أمهم يعود إلى مملكة غانة[5] لذا عرفت بذا الاسم (غانية) لذا يرى الأستاذ حسين مؤنس أن هذا الاسم (غانية) يجب أن يقرأ بتشديد الياء، لكننا إذا دققنا النظر في هذا الرأي وجدنا أن هذا الاشتقاق يكون وفق قواعد اللغة العربية والقوم بربر، وحتى ولو كان هذا صحيحا فيجب أن يكون الاسم "الغانية". ويحتمل أن يكون غانية اسما بربريا كيوسف بن تاشفين ومحمد بن فنو...الخ.

---

[1] أحياننا تدعو المصادر بني غانية بالميارقة نسبة إلى جزيرتهم ميورقة وأحياننا تدعوهم بالملثمين نسبة لأنهم من الطوارق المشهورين بلبس اللثام إلى اليوم ولكن التسمية المشهورة هي بني غانية نسبة إلى أمهم غانية.

[2] حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس فكر وتاريخ وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الثانية، 1996، الجزء الثالث، ص 142.

[3] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، مصر القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، الجزء الثالث، ص 142. ولمزيد من المعلومات حول دور المرأة في الحياة المرابطية المجلة الجزائرية للمخطوطات، مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية في عهد المرابطين 479هـ-1086 العدد 4 2005 محمد الأمين بلغيث ص108.

[4] مصطفى أبو الضيف احمد، اثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال العصر الموحدي وبني مرين 524-876هـ/1130-1472م، دار النشر المغربية، 1982، ص105.

[5] **غانة** قال عنها الإدريسي: مدينتان على ضفتي البحر الحلو وهي اكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا وإليها يقصد التجار المياسرة من جميع البلاد المحيطة وبها سائر بلاد المغرب الأقصى أبي عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزء المغرب والأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 ص24. عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا 430-1038/515-1121، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ص23. Clifford Edmond bosworth traduit de l’anglais par Yver THoraval, les dynasties musulmanes, Sindlad Pierre Bernard Fondateur.p21

وينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة البربرية، وكانت مضارب هذه القبيلة تمتد في الصحراء بين سجلماسة[1] في الشمال وادغشت[2] في الجنوب؛ أي ما يعرف الآن بالصحراء الغربية وموريطانيا. وكانوا معدودين مع قبيلة بنو جدالة و لمتونة بطن من بطون صنهاجة[3].

وقد اضطلع بنو غانية بدور كبير منذ بداية نشوء الدولة المرابطية حتى وصولها إلى أقصى اتساع[4]، فقد كان احد أجداد بني غانية وهو أبو علي يحي المسوفي من أوائل الداخلين في طاعة الدولة المرابطية، كما كانت تربطهم علاقة مصاهرة فقد تزوج ابنه علي الأميرة غانية اللمتونية إحدى قريبات أمير المسلمين[5] يوسف بن تاشفين[6] فولدت منه محمد و يحي الذين عاشا تحت رعاية يوسف بن تاشفين وكنفه[7]. ثم إن علي توفي فتزوجت أمهم غانية القائد المرابطي محمد بن الحاج اللمتوني. وعاش محمد وأخوه تحت رعاية زوج أمهما في الأندلس، وولي يحي على مدينة بلنسية[8]

[1] **سجلماسه** قال عنها الإدريسي: مدينة كبيرة كثيرة العامر كثيرة الخيرات والجنات رائعة البقاع والجهات ولا حصن عليها هي ديار وقصور وقصور ولأهل هده البلادة غلاة يجهز منها إلى سائر بلاد المغرب. الإدريسي ص، 128.

[2] **اودغشت:** أو اوغست من مدينة بريسي إلى اودغشت اثنا عشر مرحلة واودغشت من بريسي شمالا والنيل يجري في هذه الأرض من المشرق إلى المغرب. الإدريسي، ص 124. ويحتمل أن المقصود بنهر النيل هو نهر الكونغو فالنيل لا يمر بهذه المنطقة. Clifford Edmand bosworth les dynasties musulmanes, traduit de l'anglais par Yver THoraval, Sindlad Pierre Bernard Fondateur, p152.

[3] **صنهاجة:** تمتد أراضي صنهاجة في المناطق الواقعة في شرق الجزائر على الشمال الشرقي لخط يمتد من جبال الأوراس حتى تنس ويوجد فرع آخر لها منه انحدر المرابطون وهم الرحل الذين كانوا يعيشون في المناطق الجنوبية الغربية في المغرب والأقصى وتعتبر من قبائل البتر أي القبائل الحضر. إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ص 38 و عبد الحميد سعد زغلول، المغرب العربي، دار المعارف، الإسكندرية، الجزء 3 ص 24.

[4] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الكتاب الحديث، الطبعة الثانية القاهرة. 1996. ص52 وما بعدها.

[5] كان الحكام المرابطين يعدون أنفسهم تابعين للخلافة العباسية فتلقبوا بأمير المسلمين بدل لقب الخلافة أمير المؤمنين.

[6] **يوسف بن تاشفين:**410-500هـ/1019-1116م يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني أمير المسلمين وملك الملثمين وباني مدينة مراكش ولد في صحراء المغرب وولاه عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني جال في المغرب واستولى على مدينة فاس وكبر ملكه استدعاه المعتمد بن عباد لينجده ضد الفرنجه فكانت وقعة زلاقة المشهورة سنة 497هـ ثم إن يوسف بن تاشفين لما رأى تخاذل ملوك الأندلس عزل أولئك الملوك وضم الأندلس إلى ملكه كان حازما لبيبا وخطب لبني العباس. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم للملايين بيروت لبنان، الجزء 8 ، 1995.

[7] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الجزء السادس، ص 250.

[8] **بلنسية** قال عنها الإدريسي: قاعدة من قواعد الأندلس في مستوي من الأرض عامرة القطر كثيرة التجار والعمارات وبها أسواق وتجارات وحط وإقلاع وبينها ولبن البحر ثلاثة أميال وبين بلنسية وسرقسطة تسعة مراحل. الإدريسي، المصدر السابق، ص 21.

فكان كما قال عنه المراكشي «حسنة من حسنات الدهر..عالم.. شجاع.. دفع الله به مكاره كثيرة عن المسلمين في الأندلس[1] »

II- بداية حكم بني غانية للجزائر الشرقية:

وحدث أثناء حكم المرابطين لهذه الجزر أن برزت فتن في جزيرة ميورقة[2] إذ أن واليها من قبل المرابطين وانور بن أبي بكر (وليس أنور)أساء السيرة وظلم واستبد فثار أهل الجزيرة عليه ومضوا إلى علي بن يوسف بن تاشفين[3] فأعفاهم منه وولى عليهم محمد بن علي بن يحي المسوفي المعروف ببن غانية وكان واليا على اشبيلية من طرف أخيه يحي[4]. فعبر محمد إلى ميورقة ومعه أولاده عبد الله وعلي وإسحاق والزبير وإبراهيم وطلحة.

ويقدم لنا المراكشي رواية أخرى عن بداية حكم بنو غانية الجزائر الشرقية[5] إذ يذكر أن محمد بن غانية اضطرب بعد وفاة أخيه يحي وبقي يجول في الأندلس وفتنة المصامدة[1] (ثورة الموحدين

---

[1] عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران المنصور دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 189. وقد عمل محمد كمساعد لوالي مرسية ثم كمساعد لوالي بلنسية ثم تفرغ لقياد جيوش المسلمين فأظهر كفاية وبراعة وإنتصر انتصارا حاسما في معركة افراغة كما كان له دور ملحوظ في محاربة قوات الفونسو المحارب حين اخترق شرق الأندلس ومما يذكر في هذا المجال أن حاكم مورة تابعة للملكة قشتالة "مونيو الفونسو" تمكن من هزيمة قوة من المسلمين بقيادة والي قرطبة واشبيلية وقتل الواليين، فأمر أمير المؤمنين بتقليد يحي بن غانية- بطل افراغة- جميع بلاد الأندلس فاعترض يحي طريق الفونسو وتمكن من قتله وأرسل برأسه وذراعه اليمنى ورجله اليمنى إلى زوجتي الواليين القتيلين عزاء لهما. وذاع صيت يحيى بهذه البطولة حتى أصبح عميد العصابة اللمتونية في الأندلس بلا منازع. توفي يحي هذا في أول ظهور الدولة الموحدية. انظر. سحر السيد عبد العزيز سالم، شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة 1995، ص 153. و. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 1، ص321. مجهول، مفاخر البربر، تحقيق ليفي بروفنصال، رباط، المطبعة الجديدة، 1939. ص39.

[2] **ميورقة:** طولها 40 ميلا من أخصب بلاد الله أرضا وفيها بحيرة دورها 9 أميال وقاعدتها مدينة ميورقة بالجهة القبلية من الجزيرة وتدخلها ساقية جارية على الدوام ووادي شتوي يشق المدينة على الدوام. علي بن موسى بن سعيد الغرناطي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 389.

[3] **علي بن يوسف بن تاشفين**:477-537هـ/ 1084-1143م كنيته أبو الحسن وهو أمير المسلمين بمراكش وثاني ملوك الملثمين المرابطين ولد بسبته وبويع بعد وفاة أبيه سنة 500 بعهد منه وقد ملك ما لم يملكه أبوه لان البلاد كانت ساكنة والأموال وافرة جاز إلى الأندلس سنة 583هـ مجاهدا في جيوش تزيد عن 100 ألف فارس وفتح العديد من حصونها وفي أيامه ظهر المهدي بن تومرت فاضطربت الأمور ومات غما في مراكش ودامت خلافته 32 سنة و 7 أشهر. الزركلي الجزء 5 ص33.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 287.

[5] **الجزائر الشرقية:** هي ما يسمى اليوم جزر البليار والمسلمون كانوا يسمونها بالجزائر الشرقية وهي عبارة على ثلاثة جزر ميورقة ويابسة ومنروقة وقد سبق التعريف بجزيرة ميورقة في (انظر الهامش 2 صفحة 4) أما جزيرة منروقة فهي جزيرة عامرة في الأندلس قرب ميورقة معجم البلدان الجزء5 ص 216. وأما جزيرة يابسة هي كما قال عنها ابن سعيد المغربي جزيرة خصبة بضد من اسمها وقال عنه الإدريسي أنها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب وبها مدينة حسنة صغيرة متحضرة واقرب إليها مدينة دانية ولها مدينة كبيرة لها مالك وحارس ذو رجال وعدد وأسلحة وأموال. ابن سعيد المغربي المصدر السابق ص 380 والإدريسي المصدر السابق ص 308.

ضد المرابطين) تزداد فلما اشتدت الفتنة سار إلى ميورقة ويابسة وملكها، ويقال أن يحيى نفى أخاه محمد إلى ميورقة عن طريق السجن بها[2]. ويمكن أن تكون الرواية الأولى اقرب للصحة فمن الصعب على فار طريد أو منفي أن يتحول إلى حاكم للبلاد مستقل بها، ولكن الأرجح أن يكون واليا عليها فيسهل الاستقلال بها.

ويروي ابن خلدون أن محمد عهد بالحكم إلى ابنه عبد الله فحقد عليه أخوه إسحاق واستعان بجماعة من لمتونه في قتله فقتلوه وقتلوا[3]. وقيل أن إسحاق خلف أخاه عبد الله في الحكم[4].

وفي كل هذه الظروف بدأت تظهر فتنة المصامدة حيث ظهر محمد بن تومرت[5] وادعى المهدوية[6]، وكفر كل من لم يؤمن بمهدويته. واستعان بقبائل المصامدة واخذ يخوض المعارك الضارية ضد الدولة المرابطية ومع انه توفي قبل أن يتمكن من إسقاط دولة المرابطين إلا أن أتباعه وعلى رأسهم تلميذه النجيب عبد المؤمن بن علي[7] استطاع أن يدخل عاصمة المرابطين مراكش ويسقط

---

[1] **المصامدة:** تقع مضارب قبائل المصامدة في ما بين سفوح درن إلى حدود الصحراء من وادي نول وقبائله من تكنه والركائبات وما إليها إلى حدود طاطة وسكتانه وهي منطقة جبلية في اغلبها وكان يسكنها في القرن الخامس قبائل بربرية تنتمي اغلبها إلى قبيلة مصمودة الكثيرة الفروع وقد عرفت تلك القبائل بشدة البأس وقوة الشكيمة مع عصبية مستحكمة وغلب عليهم الجفاء وغلاظة الطبع وقلة العشرة عبد المجدي النجار، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي حياته وآثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي 1982.بيروت لبنان ص 37. أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض طبعة بريل ليدن 1928. الجزء الأول ص98.

[2] عبد الواحد المراكشي المصدر السابق ص 190.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء 11، ص 287. وعبد الواحد المراكشي نفس المصدر ص 190.

[4] المراكشي ص 190.

[5] **المهدي بن تومرت:** ولد المهدي ابن تومرت في حوالي 470هـ في جبال السوس من المغرب الأقصى طلب مبادئ العلم في قريته ثم رحل إلى المشرق للاستزادة وعندما رجع إلى المغرب بدأ أول أمره بحملة ضد انحرافات المجتمع الخلقية ثم لم يلبث أن ادعى المهدوية واعتصم بمنطقة جبلية وعرة (تنملل) واخذ جمعه يكثر وكفر المرابطين واتهمهم بتجسيم في صفاة الله واخذ يخوض المعارك ضدهم حتى توفي سنة 524هت/1129م حيث تولى القيادة من بعده تلميذه النجيب عبد المؤمن بن علي الذي تمكن من إسقاط دولة المرابطين وإقامة دولة الموحدين. عبد المجدي النجار المرجع السابق، ص21. و ليفي بروفنسال الإسلام في المغرب والأندلس ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة 1990 الإسكندرية مصر ص 255. عبد الله علام، الدعوة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1964.

[6] **المهدي المنتظر:** فكرة تقوم على أن شخص من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم يظهر في آخر الزمان يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وهي من أسس العقيدة عند الشيعة، أما عند السنة ففي صحة الأحاديث التي تتحدث عن هذا الموضوع خلاف. عبد المجيد النجار113.

[7] **عبد المؤمن بن علي:** ينتمي عبد المؤمن بن علي إلى قبيلة كومية التي تقع أراضيها في تلمسان كان ينوي الذهاب للمشرق لطلب العلم فالتقى في تلمسان بالمهدي ابن تومرت وانظم إلى دعوته وأصبح من اقرب المقربين إليه وبعد وفاته خلفه في الحكم بوصية من المهدي وواصل الحرب حتى اسقط دولة المرابطين ووسع الدولة حتى بلغت في عهده دولة الموحدين كل افريقية والمغرب وأجزاء كبيرة من الأندلس توفي سنة جمادى الآخرة سنة 558 هـ/2 من يونيو 1163م، صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية، وزارة السياحة، الجزائر، 1985.

دولتهم بل و يوسع رقعة الدولة الجديدة حتى شملت كل المغرب[1] وافريقية[2] وأجزاء كبيرة من الأندلس.

أما المرابطين فقد تكالبت عليهم الفتن من كل مكان ولم يبقى لهم مأمن سوى الجزائر الشرقية فلجأ من نجا من سيوف الموحدين منهم إلى إسحاق بن غانية في هذه الجزر فكان إسحاق بن غانية يصلهم بقدر استطاعته[3] كما استفاد يحيى من السفن إليه ودعم بهم أسطوله الحربي[4]، ولكنه مع ذلك رأى انه من الأحسن له موادعة الموحدين للقوة الكبيرة التي أصبحت عليها هذه الدولة خصوصا بعد استيلائهم على كل المغرب واغلب الأندلس. لذا فعلى الرغم انه استقل بجزره وبقي يدعو للعباسيين إلا انه ظل يهادي موحدين بأنفس ما يغنمه من غزواته على سواحل أوربا[5].

III- بداية النزاع بين الموحدين وبني غانية:

وكان مما ساهم في غفلة الموحدين وصرف نظرهم عن هذه الجزر أمر سعد ابن مردنيش الذي حكم شرق الأندلس ورفض الخضوع للموحدين، وبقي يقاوم زهاء نصف قرن فشكل بذلك حاجزا بين الموحدين و بني غانية، غير أن وفاته سنة 567هـ/1181م ودخول أبنائه في طاعة الموحدين بوصية منه[6]، جعل جزائر بني غانية (الجزائر الشرقية) تبدوا الخطوة التالية لا محالة للموحدين في إطار سياسة فرض الموحدين لسلطتهم على كامل بلاد المغرب والأندلس.

---

[1] **المغرب:** حده برقة إلى المحيط الأطلسي. احمد بن يعقوب بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، تحقيق محمد أمين ضاوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 2002. ص 180.

[2] **افريقية:** حدها ما بين مدينة انطابلس من الشرق إلى مدينة قسنطينة والمسافة بينهما 55 مرحلة. المراكشي ص 250.

[3] المراكشي، المصدر السابق، ص 190.

[4] Alfred Bell, Les Benous Ghanya les derniers représentants de l'empire Almoravide ET leur lutte contre l'empire Almohades, Paris Ernest Leroux, éditeur 1903, p 18.

[5] عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء11،ص 287 ويذكر الأستاذ روجي لو تورنو أن ذلك كان باتفاق مع الموحدين وانه كان يدفع لهم مرتين في العام والمصادر التي وقعت بين أيدينا لا تؤكد ذلك. انظر روجي لو تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة الدكتور أمين الطيبي، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، 1990، ص 153.

والعلج: جمع أعلاج أو علوج وهو الرجل القوي من الكفار ابن المنظور لسان العرب تحقيق يوسف الخياط دار الجيل بيروت لبنان مادة علج.

[6] محمد عبد الله عنان، دولة المرابطين والموحدين، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر مكتبة الخانجي القاهرة 1956، الجزء الثاني ص 147.

وهكذا توالت الكتب سنة 578هـ/1182م من الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[1] إلى إسحاق بن غانية تدعوه إلى الدخول في الطاعة وتحذره من مغبة العصيان. فاستشار اسحق أصحابه في هذا الأمر«فاختلفوا عليه فمن مشير عليه بالامتناع، وحاض له على الدخول فيما دعوه إليه، فلما رأى اختلافهم أرجأ الأمر لنظر وخرج إلى بلاد الروم غازيا فاستشهد في هذه الغزوة سنة 579هـ/1183م[2]».

فلما تولى بعده ابنه محمد قرر الدخول في طاعة الموحدين وأرسل بطاعته للخليفة الموحدي دون أن يستشير إخوته.فبعث الخليفة الموحدي رسوله ابن الربرتير[3] ليستوثق من الأمر. فلما علم إخوة محمد بالأمر ثاروا على أخيهم وعزلوه وولوا مكانه أخاه علي، فما هي إلا أن علموا بمقتل الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن في معركة شنترين[4] حتى اعتقلوا رسول الموحدين إليهم ابن الربرتير.

ثم إن بني غانية اجتمعت لديهم ظروف قلما تجتمع مرتين:

- مقتل الخليفة أبو يعقوب كما رأينا.
- تلكأ بعض شيوخ الموحدين في مبايعة الخليفة الجديد يعقوب المنصور[5].
- وأخيرا مراسلة بعض بني حماد[6] لبني غانية ودعوتهم لغزو بجاية ووعدهم بالنصرة[1].

---

[1] **أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن**:533-580 هـ/1138-1184م ثاني الخلفاء الموحدين ولد في تنملل وبويع له في اشبيلية بعد سنة 588 هـ/1192م ثم بويع له البيعة العامة في مراكش سنة 560هـ/م عرف بجده وعزمه ورعايته للعلماء والفلاسفة وقد اشتهر في بلاطه الفيلسوف ابن رشد وابن طفيل استشهد في معركة شنترين. الزركلي، الجزء 8، 241.

[2] عبد الواحد المراكشي، ص 191.

[3] **ابن الربرتير:** هو أبو الحسن علي بن الربرتير كان أبوه فارسا نصرانيا Reverter أو ريبرتو القطلوني قائد جند الروم أو النصارى المرتزقة في الجيش المرابطي أيام على بن يوسف بن تاشفين وقد وتوفي قتلا في إحدى المعارك سنة 539هـ / 1199م وترك ولدين احدهما علي هذا الذي اعتنق الإسلام وتحول إلى خدمة الموحدين. محمد عبد الله عنان المرجع السابق، الجزء 2، ص 147 وما بعدها.

[4] **معركة شنترين:** حدثت هذه المعركة أثناء حصار الخليفة أبو يعقوب لشنترين في الأندلس غير انه لسبب، لا يزال المؤرخون يختلفون حوله، حدث نوع من الفوضى أثناء فك الحصار عن هذه المدينة فانتهز النصارى الفرصة وباغتوا الخليفة وطعنوه طعنة توفي بعدها بقليل وتوفي بعدها بأيام قليلة في 18 ربيع الآخرة سنة 580هـ/29 يوليو سنة 1184. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 117 وما بعدها.

[5] يروي المراكشي أن ذلك لطيش عرف به يعقوب المنصور في صباه وقد تمت البيع له في النهاية ولكن بعد أن استرضى المعارضين له بأموال كثيرة. المراكشي، ص 124.

[6] **دولة بني حماد:** تأسست على يد حماد بن بلكين سنة 1017/408م واتخذت من القلعة عاصمة لها أول الأمر ثم انتقلت إلى بجاية سنة 560هـ/ 1067م وسقطت هذه الدولة على يد عبد المؤمن بن علي الذي خرج من سبته في سنة 547هـ

ولاح عند ذلك لبني غانية ولاتباعهم من المرابطين الانتقام ممن سلبوهم ملكهم غدرا، وأزمعوا إحياء مجد الدولة المرابطية فقرروا أن يخوضوا معركة طويلة وخاصة أن الكثير من بقايا المرابطين قد امتلأت قلوبهم حقدا على الموحدين لما ذكرنا [2].

فولى علي بن غانية عمه أبا الزبير على جزرهم وتوجه مع إخوته إلى ثغر بجاية[3] في أسطول من اثنين وثلاثين سفينة[4] في حين يروي ابن الأثير أن العدد كان عشرين سفينة تحمل مأتي فارس وأربعة آلاف راجل[5].

وسار بنوغانية إلى بجاية وبين أعينهم الانتقام من غاصبي ملكهم وإعادة الحكم إلى المرابطين، أصحابه الشرعيين.

ودخل بجاية وقبض على آخر حكامها يحي بن عبد العزيز الذي تنازل له عن الحكم. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 222.

[1] المراكشي، ص 191.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 118.

[3] **بجاية:** مدينة على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو وهي في وقتنا هذا عاصمة المغرب الأوسط وأهلها مياسرة تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد. الإدريسي، المصدر السابق، ص118.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 287.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 507.

I دخول بني غانية إلى افريقية:

1. غزو بني غانية لبجاية:

لم يكن قدوم سفن بني غانية إلى بجاية بالشيء الغريب فكثيرا ما كانوا يأتون لبيع سبي غزواتهم[1]، فاستغل بنو غاية هذا الأمر وجاءوا كعادتهم متظاهرين بالقدوم لبيع السبي، فخرج لهم بنو حماد ودلوهم على غفلة أهل البلد ويسر احتلالها مما قوى عزيمتهم فدخلوها على حين غرة. وهبط إليهم أخلاط من الناس من غير قائد يجمعهم فردهم بنو غانية وكسروهم و استولوا على البلد بأسره[2] بعد قتال غير كثير[3].

ويختلف المؤرخون حول تاريخ هذه الغزوة ففي حين تروي طائفة أن تاريخ هذه الغزوة كان في 19 صفر 581هـ / 21 ماي 1185م[4]، نجد بعض المصادر الأخرى تروي أن تاريخ هذه الغزوة كان في 6 من شهر شعبان 580هـ /13 نوفمبر 1184م[5]. ويرجح الأستاذ سالم سيسالم [6] التاريخ الأخير؛ ويستدل على ذلك بما كتبه ابن جبير في رحلته عن وصول أخبار استيلاء على بجاية من طرف بني غانية في 8 شوال[7] أي بعد غزوة بني غانية للوالي شهرين وليس من المعقول أن لا تصل إليه أخبار غزوة بني غانية إلا بعد 9 أشهر على فرض أن الغزوة كانت في شعبان خصوصا وأن ابن جبير كان في المشرق للحج وهو مكان ليس بنائي حتى تنقطع عنه الأخبار. وكذلك

---

[1] أبي العباس احمد بن احمد الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة في بجاية، تحقيق رابح بونار الطبعة الثانية. الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، 1975. ص 76.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 176.

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 190.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 176. و ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 287. و شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان قامياز الذهبي، العبر في تاريخ من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد سعيد بسيوني زغلول، دار الكتب المصرية، بيروت لبنان، الجزء الثالث، ص 132. وأبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في خبر من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الجزء الرابع، ص 35.

[5] عبد الواحد المراكشي، نفس المصدر، ص 140.علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس، دار المنصور لطباعة والوراقة الرباط 1973 ص 95. ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11 ص 507. شمس الدين احمد بن محمد بنم أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الجزء السابع، دار صادر بيروت لبنان ص 18. les Benous Ghanya .Op. Cit. P 34 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق 149.

[6] عصام سالم سيسالم، المرجع السابق، ص 357.

[7] أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار أو رحلة ابن جبير، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، ص 203.

الرسالة التي كتبها كاتب الدولة الموحدية أبي الفضل بن آبي محشره إلى مدينة اشبيلية يبشرهم بالاستيلاء على بجاية وهزم بني غانية وذلك في ربيع الآخرة 581هـ / 6 أوت 1175م. فعلى فرض أن استرجاع بجاية كان في 19 صفر 581هـ / 21 ماي 1185م فإن مدة شهرين كافية لتصل هذه الرسالة إلى بلدان الدولة الموحدية وهذا يشكل حجة كبيرة لتاريخ الأخير لان رسائل الدولة الرسمية لا يمكن أن تحتوي على تواريخ خاطئة.

ومما يعزز هذا الرأي أيضا أن الحملة البرية التي قادها الموحدون ضد بني غانية فيما بعد أعاق تحركها دخول موسم الأمطار فإذا افترضنا أن تحرك الجيوش الموحدين كان في جانفي أي في عز موسم الأمطار فيكون على الموحدين انتظار شهرين آخرين على الأقل أي حتى دخول الربيع في شهر مارس. ثم يكون بعد ذلك المسير. وسنرى فيما بعد السهولة الكبيرة التي تمت بها عملية تحرير البلدان المحتلة. وقد يكون مدة شهرين أو ثلاثة كافية للوصول إلى بجاية وتحريرها كما سنرى، فيكون التحرير في شهر ماي. كما يحتمل أن بني غانية فكروا في استغلال فترة موسم الأمطار لإعاقة تقدم الجيوش الموحدية ريثما يستعدون للقاء الحاسم.

وقد كان والي بجاية السيد أبو ربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن ذاهبا إلى مراكش حين وقعت الغزوة، فلما علم بما حدث رجع على أثره ومعه من الموحدين ثلاثمائة فارس و من العرب والقبائل الموجودة في تلك الجهات نحو ألفي فارس، والتقوا مع بني غانية في مكان يسمى باميول[1]، غير أن جموع الأعراب التي كانت مع والي بجاية انقلبت عليه وانظمت إلى ابن غانية فانهزم والي بجاية وفر إلى تلمسان مثقلا بالهزيمة[2] حيث كان واليها السيد أبي الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن إذ ذاك منشغل بتحصينها ويستعد لغزو محتمل من طرف بني غانية[3].

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 287.
[2] **تلمسان** قال عنها الإدريسي: مدينة أزلية لها صور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينها سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شـاملة ولحومهـا شـحمية سمينة والجملة حسنة لخص أسعارها. الإدريسي، المصدر السابق، ص 150.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 217.

2. اجتياح بنو غانية للمغرب الأوسط:

وبعد هذا الانتصار اخذ علي بن غانية أهبته لتحقيق مشروعه الأساسي؛ وهو غزو كامل المغرب و "استئصال" شأفة الدولة الموحدية الغاصبة[1]، فولى على بجاية أخاه يحي بن غانية ومولاه رشيد الرومي وسار يحتل المدن الواحدة تلوى الأخرى فاستولى على الجزائر[2] وولى عليها ابن أخيه طلحة ، ثم استولى على مليانه [3] وولى عليها يدر بن عائشة[4]، والقلعة (قلعة بني حماد)[5] ثم سار إلى قسنطينة ونازلها لكنها استعصت عليه فبقي محاصرا لها [6].

3. ردود فعل الدولة الموحدية:

لقد كان غزو بني غانية لبجاية مفاجئة للجميع، فالإمبراطورية الموحدية ذات الحدود المترامية الأطراف والجيوش الجرارة و التي كان الكل يطلب ودها ويخشى غضبها، حتى من المشرق الإسلامي، وحتى الجمهوريات الإيطالية "النصرانية" فإذا بثلة من الناس لا يحسب لهم حساب يغزون هذه الدولة في عقر دارها...!

فلما بلغت هذه الأنباء الخليفة الموحدي ولم يكن قد انقضى على توليته الحكم سوى ستة أشهر فكان لزاما عليه أن يتحرك ليتدارك الموقف قبل استفحاله من جهة[7] وليثبت كفاءته وحزمه من جهة أخرى[8]، فأمر المنصور في الحال بتجهيز حملة برية قوامها اثنا عشر ألف جندي على رأسها ابن عمه السيد أبو زيد بن أبي حفص[9]، كما جعل على الأسطول طلبة كلفهم بالنظر في تيئته

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 231.

[2] **الجزائر:** أو جزائر بني مزغنه قال عنها البكري: وهي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأول وفيها أسواق ومساجد جامعة مرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليها أهل السفن من افريقية والأندلس. أبو عبد الله البكري، البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.

[3] **مليانة:** قال عنها البكري: هي مدينة رومية فيها آثار للأول وهي ذات أشجار وانهار تطحن عليها الارحاء جددها زيزري بن مناد واسكنها ابنه لبلجين وهي عامرة.نفس المصدر، ص 254.

[4] من المهم التنبيه على أن الاسم "يدر" بن عائشة وليس بدر (اسم بربري)

[5] **القلعة:** قال عنها الإدريسي: من اكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكن وأعمها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة سمينة وهي عند جبل سامي العلو وأعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الأرض ومنه ملكت القلعة. الإدريسي، المصدر السابق، ص 124.

[6] رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المومنية، الرسالة التاسعة والعشرون، ص 250.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء11، ص 608.

[8] ميراند، المرجع السابق، ص 314.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص287، وابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص، 177.

وإصلاح حاله في اقرب الآجال[1] ، و ولى عليه أبو محمد بن أبي إسحاق بن جامع، وجعل لمشورته أبو محمد بن عطوش الكومي وأبو العباس الصقلبي[2].

وكان من دهاء الموحدين أنم أرسلوا إلى أهالي المدن ا‡تلة رسائل يعدونم بالأمان والصفح فكانوا كلما دنوا من بلاد إلا ودسوا جواسيس بالرسائل، فلما رأى الأهالي أنم قد امنوا عقاب الموحدين وثبوا على من كان عندهم من بني غانية[3]، ففي الجزائر وثب الأهالي على حامية بني غانية وقبضوا على عاملهم يحيى بن طلحة وترصدوا لمن حاول الفرار منهم وقبضوا على الكثير منهم في الجبال والمضايق[4] ،ثم ما لبث أن وصل الأسطول فدخلها. وبلη ما حدث في الجزائر عامل بني غانية على مليانه فحاول أن يفر تحت جنح الظلام لكن أهلها اقتفوا أثره فلحقوا به في القرية المعروفة بأم العلو وكان قد إستجار ببعض القبائل هناك فأجاروه واستماتوا في القتال معه فلم يقبضوا عليه إلا بعد معركة طاحنة[5]. فأمر الموحدون به و بيحيى بن طلحة فقتلوا Pيعا بالشلف[6].

أما بجاية، موطئ قدم بني غانية الأول في افريقية، فقد طبق الموحدون فيها نفس الأسلوب مع المدن السابقة، فأرسلوا بكتب الأمان والصفح. فما هي إلا أن لحق الأسطول حتى ثار الأهالي على بني غانية وفتحوا الأبواب لجيوش الموحدين وعمت حالة من الفوضى العارمة وكثر السلب والنهب ولم يعد النظام حتى أمر قائد الأسطول الموحدي بقتل كل من يثبت عليه السلب أو النهب[7].

وبعد سقوط بجاية فر علي ابن غانية إلى أخيه يحيى الذي كان يحاصر قسنطينة وقد ضيق الحصار عليها حتى كادت تسقط في يديه[8]. غير أن علي قدر أن مواجهة الموحدين في معركة حاسمة أمر غير مضمون العواقب خاصة مع مقتل العديد من رجاله وقادته ففك الحصار عن قسنطينة هي

---

[1] رسائل موحدية، الرسالة التاسعة والعشرون، ص 176.
[2] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 177.
[3] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 178.
[4] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 178.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 267.
[6] نفس المصدر الجزء 6، ص 288. **الشلف:** قال عنه البكري نهر يبعد عن تنس بمرحلتان. البكري، المصدر السـابق ص124.
[7] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 178. وابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 6، 266.
[8] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 103.

الأخرى[1] وفر قبل وصول الموحدين إليه بثلاثة أيام، ورغم اجتهاد الموحدين في اللحاق به إلا أن كثرتهم وثقل أحمالهم أعاقتهم عن اللحاق بهم بإضافة إلى أن ابن غانية كان قد رمى بأحماله في الطريق وفرق رجاله فما إن بلغ الموحدون مقره[2] و نقاوس[3]حتى رجعوا من طريقهم بعد أن يأسوا من إدراكه.

ومع أن الموحدين أعطوا الأمان إلا أنهم قاموا بعمليات انتقامية ضد كل من تعاون مع بني غانية في بجاية، فأما بنو حماد فقد قاموا بنفيهم إلى سلا[4] وأرغموهم على بيع أملاكهم بأبخس الأثمان، كما قتلوا كل من قبضوا عليه من بني غانية أو من خدمهم أو تعاون معهم من أهل المدينة[5].

أما علي ابن غانية فانه على الرغم من توغله في القفار إلا انه لم ييأس. ومن ذلك أنه بعث بجنده تحت قيادة غزى الصنهاجي إلى مدينة آشير[6] فاقتحم حصنها وقتل حافظها الموحدي، وبلغت هذه الأخبار والي بجاية السيد أبو زيد فأرسل إليهم ابنه أبا حفص و غانم بن مردنيش[7] ودارت بين الفريقين معركة طاحنة تمكن الموحدون في النهاية من قتل غزى فقطعوا رأسه وأرسلوا به إلى بجاية فعلق في مدخل المدينة. فخلف غزى أخاه عبد الله واستمات في الدفاع عن آشير فاستماله احد القضاة بالوعود واستماله ثم قبض عليه فصلب بإزاء رأس أخيه ببجاية[8].

و قد أدرك علي ابن غانية بعد فشله في هذه الغزوة الفرق الشاسع بين قوته وقوة الموحدين وأن بجاية على الرغم من بعدها عن مراكش العاصمة الموحدية إلا أنها لا تزال قريبة بسبب وقوعها

---

1 **قسنطينة:** قال عنها الإدريسي: مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعه ليس يعرف أحصن منها وهي على ثلاثة انهار عظام تجري فيها السفن قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون اشفار ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية وهي قبائل من كتامة وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة. الإدريسي، المصدر السابق، ص 245.

2 **نقاوس** قال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة كثيرة الأشجار والبساتين وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار وفيها سوق قائمة ومعايش كثيرة ومن نقاوس إلى مسيلة أربعة مراحل وقيل ثلاثة ومن مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان. الإدريسي، المصدر السابق، ص 164.

3 **مقرة**: بلد كبير ذو ثمار وانهار ومزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان الإدريسي ص 164. والبكري، ص 51.

4 **سلا** قال عنها الإدريسي: الحديثة على ضفة البحر وكانت في القديم من زمان شاله على ميلين من البحر وموضعها على ضفة نهر اسمير الذي يتصل بمدينة سلا الحديثة وهناك مصبه في البحر. الإدريسي، نفس المصدر، ص 14.

5 ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 181. وما بعدها. وابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 288.

6 **آشير** أو آشير زيري قال عنها الإدريسي: حصن حسن البقعة كثير المنافع وله سوق يوم معروف يجلب إليه كل لطيف ويباع فيه كل طريف. الإدريسي، نفس المصدر، ص 155.

7 أبو الظفر غانم بن سعد بن مردنيش انظر بداية النزاع بين بني غانية والموحدي ص10.

8 ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 179. و ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 6، ص 288.

على البحر وسهولة تسيير الأساطيل إليها، فتوغل جنوبا إلى بلاد الجريد[1] حتى وصل قسطيليه فانظم إليه العديد من القبائل العربية وتحالفوا معه[2]. ومن الذين تحالفوا مع بني غانية أيضا رجل سيكون له معه، ومع أخيه يحيى بن غانية فيما بعد، تاريخ طويل. ألآ وهو ***شرف الدين قرقوش الغزي الارمني*** مملوك الملك المظفر تقي الدين شاهنشاه أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي.

4. دخول قرقوش افريقية وتحالفه مع ابن غانية:

كان قدوم الأتراك قديما للمغرب شيئا عاديا كما يقدم إليه جميع الأجناس من كل مكان، ولكنهم عرفوا كتجار أو رقيق أو كعناصر مسالمة على العموم، وفي بداية القرن الخامس عرف المغرب بعض المحاربين الأتراك الذي حاولوا احتلال طرابلس والبلاد الجريدية سنة 477هـ/1095م غير أن يحيى بن تميم[3] صاحب المهدية أخضعهم وأدخلهم في جنده[4].

ويعود سبب دخول قرقوش إلى المغرب إلى أن صلاح الدين الأيوبي بدر منه نوايا التمرد ضد سيده القديم نور الدين زنكي[5] وخشي العاقبة فأرسل تابعه قرقوش إلى المغرب ليحتل له أراضي

---

[1] **قسطيلية** قال عنها البكري: أو بلاد الجريد مدنها توزر والحمة ونفطة وتوزر هي أمها وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة وحولها ارباض واسعة وهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب كثيرة النخل والبساتين والثمار. البكري، المصدر السابق، ص 38.

[2] كانت منازل العرب الهلاليين، الذين نزحوا إلى المغرب فيما بعد، في قفار نجد والطائف من ارض الحجاز، فكانوا يقيمون هناك يقطعون الطريق ويغيرون على الحجاج إلى أن تحالفوا مع القرامطة ضد الفاطميين فنفاهم الفاطميون إلى صعيد مصر عقابا لهم، فأقاموا هناك على عهدهم من الفساد والعيث. وحدث أن أعلن المعز ابن باديس والي افريقية باسم الفاطميين قطع الدعاء للخلفاء الفاطميين وحوله للخليفة العباسي وارتد عن مذهب الشيعة ورجع إلى مذهب السنة فأشار بعض دهاة الوزراء على الخليفة الفاطمي بأن يرسل له هؤلاء الأعراب، ليتخلصوا من شرهم من جهة واقتصاد مؤونة إرسال جيش للمعز ابن باديس من جهة أخرى، فسيروهم له وقال الفاطميون للأعراب أنهم أعطوهم كلما تصل إليه أيديهم من أرض المعز ابن باديس، فساروا إليه وهزموه شر هزيمة، ولكنهم الحقوا بأفريقية خرابا كبيرا. وبعد 130 سنة دخل ابن غانية افريقية فوجد في هؤلاء الأعراب خير نصير لأنهم كانوا يتململون من طاعة الدولة الموحدية التي فرضت عليهم انضباطا كبيرا بعد العيث والفساد الذي كانوا يقيمون به. رابح بونار المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص193. ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 5، ص124.

[3] **يحيى بن تميم**:457-559هـ/1065-1116م أبو الطاهر بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية الشمالية من ملوك الدولة الصنهاجية تولاها بعد وفاة أبيه سنة 501هـ وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة 497م فلما استقل جعل الخطبة للعبيديين وكانت للعباسيين كان عاقلا شجاعا محب للفتح بنى أسطولا ضخما غزا به جنوة وسردينية وضرب به الجزية وله إطلاع على الأدب توفي بالمهدية. الزركلي، المرجع السابق، الجزء 8، ص 139.

[4] عز الدين عمر احمد موسى، دراسات في التاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت لبنان الطبعة الأولى، 1983 ص 10.

[5] **نور الدين زنكي**:17 شوال 511هـ / 11 فبراير 1118م توفي عام11 من شوال 569هـ / 15 من مايو 1174م أسس أبوه دولة في الموصل ضمت جزيرة الفرات وحلب. وعند وفاته اقتسم مملكته ابناه سيف الدين ونور الدين الذي استولى على حلب، اشتهر بمحاربته لصليبيين. حرر الرها من الصليبيين وخربها سنة 1146. هزم جيوش الحملة الصليبية الثالثة لدى محاولتها الاستيلاء على دمشق سنة 1148، واستولى على العديد من معاقل الصليبيين وأهمها قلعة حارم بين حلب وأنطاكية. أرسل جيوشه إلى مصر بقيادة شيركوه، فضمها إلى مملكته. واعتزم السير إلى صلاح الدين=

هناك يرجع إليها صلاح الدين في حال غزاه نور الدين، وكان أول من عهد إليه صلاح الدين بتنفيذ المهمة هو تقي الدين عمر بن شاهنشاه أخو صلاح الدين، فسار إلى المغرب وحاول احتلال أجزاء من افريقية غير أنه عدل عن مشروعه لما يكتنفه من صعاب. فتصدى لهذه المهمة اثنين من أتباع بني أيوب Ƶا شرف الدين قرقوش الأرمني مملوك تقي الدين، وإبراهيم بن قراتكين مملوك المعظم شمس الدولة أخي صلاح الدين[1].

فسار قرقوش إلى المغرب وافتتح العديد من المدن كسنترية[2]و زويلة[3] و زله[4] وأوجله[5]«وغلب بني الخطاب الهواري على ملك فزان[6] وأخذ من صاحبها عشرين ألف دينار وتزوج ابنته مقابل أن يحفظهم من العربان(الأعراب)[7]»، غير أنه فيما يبدو أساء السيرة وظلم، فانتهز أهالي المدينة خروجه إلى الأزرقية فثار أهلها على عامله صباح وقتلوا عددا من رجال قرقوش، فلما بلη ذلك قرقوش رجع إليهم ودخل البلد عنوة وقتل منهم سبعمائة وستين رجلا[8].

وبعد كل هذه الانتصارات قوي أمر قرقوش وتسامعت به العرب المتولية لكل من يفتح لها باب السلب والنهب فتقاطرت عرب ذياب وبني سليم من كل صوب يعرضون عليه خدماتم الحربية فضمهم إلى جنده وإبتدأ بتوسيع نفوذه فساروا أولا إلى جبل نفوسه و طرابلس واستولى عليهما[9].

=لشك في تمرده عليه إلا أنه توفي قبل ذلك وازدهرت في أيامه دمشق. للمزيد انظر حسين مؤنس، نور الدين بن زنكي فجر الحروب الصليبية، الزهراء الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984، جدة السعودية.

[1] أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التجاني، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهـاب، المطبعـة الرسـمية تونس، ص111. وابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 227.

[2] **سنترية** قال عنها الإدريسي: مدينة كثيرة العيون والثمار والحصون أهلها برير لا عرب فيهم وتسـير مـن سـنترية طرق شتى إلى أودية الواحات. الإدريسي، المصدر السابق، ص 24.

[3] **زويلة** قال عنها البكري: مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي أول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام وأسواق ويجتمع بها الرفاق من كل جهة منها ويفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخيل وبسائط للزرع تسـقى منهـا الإبـل. البكري، المصدر السابق، ص 10.

[4] **زلة:** قال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة ذات أسواق عامرة بها أخلاط من البربر من هوارة وتجارات ومن أوجلة إلى مدينة زلة عشر مراحل. الإدريسي، نفس المصدر، ص 213.

[5] **أوجلة** قال عنها البكري: مدينة عامرة كثيرة النخيل واوجلة اسم ناحية واسم المدينة ارزاقية واوجلة قرى كثيرة فيهـا نخل وشجر كثيرة وفواكه وبمدينتها مساجد وأسواق. البكري، نفس المصدر، ص 12.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 227.

[7] التجاني، نفس المصدر، ص 124.

[8]عز الدين عمر احمد موسى، المرجع السابق، ص 24.

[9] ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 6، ص227. وابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 250.

وكان إبن غانية يخطط بنفس طريقة قرقوش أي الاستعانة بالأعراب في الحروب فلما بلغه انظمامهم إلى قرقوش انزعج وخشي أن يستأثر بم دونه، غير أنه ما لبث أن رجع عن رأيه و رأى انه يمكنه أن يتحالف مع قرقوش طالما أن الهدف واحد (القضاء على الدولة الموحدية) فأرسل إليه «إننا قوم من بني العباس ونريد دولتهم وأن نكون نحن وإياكم مجتمعين[1]» فتحالفا وشرعا يحتلان مدن افريقية الهامة الواحدة تلوى الأخرى، فساروا أولا إلى حامة البهاليل قرب قابس فحاصروها ودخلوها عنوة وقتلوا نحو ألف وسبعمائة رجل من أهلها، ثم ساروا إلى قابس[2] وافتتحوها وجعل قرقوش فيها كل ذخائره، و سار إبن غانية إلى توزر[3] ففتحها بمساعدة قرقوش[4] .ثم تقرر أن ما فتح من البلاد هو مناصفة بين إبن غانية وقرقوش[5].

وهكذا أحس إبن غانية أن حلمه في إعادة ملك المرابطين قد تحقق فأرسل إلى الخليفة العباسي الناصر بن المستضيء[6] ببغداد يطلب منه خطاب السلطنة[7] ليستكمل بذلك شرعية حروبه، فعقد له الخليفة العباسي على ما كان للمرابطين من قبل وأرسل إلى صلاح الدين الأيوبي يطلب منه

---

[1] محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، حماة، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب القاهرة 1968. ص75. لقد كان كل من قرقوش وابن غانية بحاجة لإضفاء الشرعية على ما يقومون به من غزو فكانا يتستران بأنهم يؤمنان بشرعية الخلافة العباسية و ينكران شرعية الخلافة الموحدية، لكن الحقيقة بالطبع أن الطمـع فـي الحكم هو المحرك الأساسي لهم لا إيمان بالخلافة ولا غيره.

[2] **قابس** قال عنها البكري: مدينة جليلة مسور بالصخر من بنيان الأول ذات حصن حصين وارباض وأسـواق وفنـادق وجامع وحمامات كثيرة وقد أحاط بها خندق كبير ولها ثلاثة أبواب وبشرقيها وقبليها ارباض ويسكنها العرب والأفارقـة وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان وحوالي قابس قبائل من البربر ولمايه ولواته ونفوسـه ومزاتـه وزواوه. البكري، المصدر السابق، ص 18 وما بعدها.

[3] **توزر** قال عنها الإدريسي: أو قسطيلية لها سور حصين وبها نخل كثير جدا وتمرها كثير يعم بلاد افريقية وبها الاترج الحسن الطيب وأكثر الفواكه التي بها في حال معتدلة وبقولها كثيرة موجودة في الكثرة والجود وماؤها غير طيب ولا مر وسعر الطعام بها في أكثر الأوقات غالي لأنه يجلب إليها والزروع والحنطة والشعير بهـا قليلـة يسـيرة. الإدريسـي، المصدر السابق ص 105.

[4] التجاني، المصدر السابق، ص 103.

[5] نفس المصدر، ص 229 وما بعدها.

[6] الحسن بن المستنجد بالله المستضيء بأمر الله 575/566 هـ 1225/1179 م ولد سنة 536هـ/1141م و اظهر في أيامه العدل والكرم وفي عهده سقطت الدولة العبيدية بمصر علي صلاح الدين الأيوبي ودعى له فيها ووصـلت دعوتـه حتى افريقية على يد بن غانية وكانت قد انقطعت على يد الموحدين. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، بيروت-لبنان، 1997.

[7] خطاب السلطنة هو كتاب يرسله الخليفة العباسي مع الراية العباسية السوداء إلى حاكم منطقة معينة ليصبح بذلك حاكما شرعيا من الناحية الفقهية، وقد كان الخلفاء العباسيين الأوائل أقوياء، يعينون هذا الحاكم متى شاءوا يعزلونه متى شاءوا، لكن بعد ضعف الخلفاء أصبحت سلطتهم روحية لا أكثر فيرسلون خطاب التولية بقبوله واليا على تلك المنطقة لكنهم من الناحية الفعلية لا يستطيعون عزله أو حتى التدخل في تسيير شؤون تلك المنطقة. حسن إبراهيم حسن، النظم الإسـلامية القاهرة المكتبة، النجلو مصرية، القاهرة، 1962 ص24. خضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية العباسـية، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة السادسة، 2000. ص 74

مساعدته، فأرسل صلاح الدين الأيوبي إلى تابعه قرقوش يطلب منه التحالف مع إبن غانية وإقامة الدعوة العباسية[1] فكان هذا ما عزز الحلف بينهما.

5. تخلص ابن الربرتير من الأسر

حدث في هذه الأثناء تطورات مهمة في الجزائر الشرقية. فقد استطاع علي بن الربرتير المعتقل في ميورقة التخلÒ من أسره بل وقلب الأوضاع رأسا على عقب وأعاد الحكم في الجزيرة إلى محمد بن إسحاق الذي عزله إخوته من قبل. إذ يذكر إبن عذاري أن« الاعلاج[2] كان جل حاشية بني غانية والمتطلعين على أسرارهم، وكان أكثرهم على ديانته يروم الانتقال إلى أوطانم فاستمالهم بن الربرتير وعهد إليهم أن يجهزهم إلى بلادهم ويخلي سبيلهم بأهلهم وأولادهم[3]»وهكذا تمت اqتفاقية واخرجوا ابن الربرتير وقت صلاة الجمعة وإستولوا على القصبة[4] وفتحوا لاآزن الأسلحة، ثم ساروا إلى الحراس من لمتونه وإستأصلوهم عن آخرهم فلم يجتمع أهل المدينة إلا وقد قضي الأمر.

ثم إن إبن الربرتير تحصن بالقصبة فكان كل ما حاول الجند رميها بالمنجنيق أو بالسهام إلا ورفع ابن الربرتير ذرية من أبناء إسحاق بن غانية يتقي بها السهام والحجارة؛ وأكثر ما كان يفعل ذلك بأم علي بن غانية وأبنائه وإخوانه، حتى رضاǸ أهل المدينة للأمر الواقع في النهاية ووافقوا على كل شروط علي بن الربرتير؛ فاتفقوا معه على أن يhل لهم ابن الربرتير عن القصبة مقابل أن يولوا عليهم محمد بن إسحاق بن غانية ويدخل هذا الأخير في طاعة الموحدين واخذ منهم العهود والمواثيق المؤكدة[5].وتمت الاتفاقية واخذ ابن الربرتير ما قدر عليه من أموال وأعطى النصارى أموال وذخائر وسرحهم إلى بلادهم سنة 585هـ / 1185م.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص228.

[2] والعلج: جمع أعلاج أو علوج وهو الرجل القوي من الكفار ابن المنظور لسان العرب تحقيق يوسف الخياط دار الجيل بيروت لبنان مادة علج.

[3] إبن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحـدي، ص 183. Encyclopédia of Islam EJ brills (Fourth edited by an editorial committree consisting of HAV Gibb, JH Kramer's, Levi provincial, JSchashit.Parti III, P560.

[4] **القصبة:** هي حصن داخل حصن. ابن المنظور مادة قصب.

[5] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 184.

وقد يكون مما ساعد ابن الربرتير في هذا العمل أصله النصراني كما رأينا[1] فلعله أحسن ůاطبتهم بلغتهم مما بعث الأنس في نفوسهم ووثقوا به وكذلك التقاء مصالحهم فكلا الطرفين (ابن الربرتير و العلوج) أسرى يريدون التخلÒ من أسرهم[2]. كما أن خلوا البلد من الحامية؛ التي سار معظمها إلى افريقية للغزو، سهل على ابن الربرتير المهمة .

ووفد محمد على الموحدين معلنا طاعته وبدا كأµا دخلت الجزيرة في طاعة الموحدين أخيرا.

لكن بني غانية ما إن بلغهم الخبر حتى أسرعوا بǽرسال أخيهم عبد الله والغازي، فسار عبد الله أولا إلى صقلية حيث أعانه ملكها[3] بسفينة فلما دخل إلى ميورقة انظم إليه بعض أهل القرى في أطراف الجزيرة وأمده بعض الرعية بالدواب والرجال وساروا إلى البلدة فدخلها واستعاد حكم المرابطين عليها[4].

وكان سبب إستعادة بنو غانية للجزائر الشرقية ƞذه السهولة أن معظم سكان الجزيرة هم من فلول لمتونه الكارهين للموحدين كرها شديدا، فما إن جاءهم عبد الله والغازي حتى انقلبوا على محمد؛ الذي كانوا ينظرون إليه على أنه صنيعة الموحدين. أما سبب مساعدة صاحب صقلية عبد الله والغازي؛ انه إذا قارن بين جوار بني غانية وجوار الموحدين كان جوار بنو غانية أهون بكثير، كما أن وجود عدد كبير من المسلمين في صقلية جعله يخشى أن يستنجد مسلموها بالموحدين كما استنجد أهل افريقية بعبد المؤمن بن علي من قبل وطردوا الصقليين من سواحل افريقية[5].

أما الموحدون فقد سعوا لاستعادة الجزر التي بالكاد دخلت في طاعتهم فأرسلوا أسطولا بقيادة أبي العلاء بن جامع ثم أسطولا آخر مع يحيى بن الشيÑ إبراهيم الخزرجي فتصدى لهم عبد الله وقتل من الموحدين خلقا كثيرا وردهم خائبين[6]. لكن بالرغم من ذلك فقد استطاع القائد أبو

---

1 انظر ابن الربرتير هامش 3 ص 11.

2 اصل هؤلاء الجند نصارى من أوربا فلعل بني غانية أسروهم مع أسرهم فكانوا يبقون عائلاتهم في الجزيرة حتى يمنعوا الجند النصارى من الفرار إلى أوطانهم

3 **صقلية:** على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته حادة من غربي الجزيرة طولها سبعة أيام في أربعة أيام وهـي فـي شرق الأندلس في لج من البحر وتحاذيها من بلاد المغرب بلاد افريقية باجه وطبرقة. أبي القاسم ابن حوقل النصـيبي، صورة الأرض، طبعة بريل ليدن الطبعة الثانية 1938. ص 118. و العقوبي ص 15.

4 ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 186.

5 حسان حلاق، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الأندلس صقلية الشام، الـدار الجامعيـة، 1986، ص129. والتجاني، المصدر السابق، ص241.

6 ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 232.

العباس الصقلي أن يستولي على جزيرة يابسة سنة 583هـ/1187م[1]. وقد أدرك عبد الله منذ ذلك الوقت أن اللقاء الحاسم قد اقترب فاخذ يقوي دفاعاته ويستعد للقاء الحاسم مع الموحدين.

II حملة المنصور على بني غانية

أقلقت المنصور الأنباء الواردة إلى مراكش عن تحالف الميورقي مع قرقوش وسقوط أغلب المدن الهامة في يديهما كقفصه ،وقابس، وتوزر ونفطة[2] فلم يبقى في أيدي الموحدين من المدن الهامة سوى تونس والمهدية، فقرر المنصور أن يسير حملة برية يقودها هو بنفسه هذه المرة.

وكان مما إستنفر المنصور أكثر هو أخبار العيث والفساد الذي إستشرى في كل مكان على أيدي الأعراب؛ ففي مجال التنافس على كسب ود الأعراب أطلق إبن غانية وقرقوش أيد الأعراب في النهب والسلب كما يحلوا لهم، ومما يذكره التجاني في هذا المجال أن ابن غانية سار إلى جزيرة باشو[3] بالقرب من تونس سنة 586هـ/ 1186م فسأله أهلها الأمان فمنحهم إياه، ولكنه ما كاد يدخل المدينة حتى نبوا سائر ما فيها، وإمتدت أيدي الأعراب إلى البنات وهتكوا الحرمات ففر من إستطاع منهم إلى تونس ونزلوا بين أسوارها فداهمهم برد الشتاء فقتل منهم اثنا عشر ألفا[4]. مع أن هذا الرقم يحمل الكثير من المبالغة.

وبدأ المنصور أولا بزيارة قبر المهدي على عادة الخلفاء الموحدين قبل كل حركة، واستنفر القبائل من كل مكان ثم رجع إلى مراكش وبقي با إلى عيد الفطر حيث تحرك في3 شوال 582هـ/18 ديسمبر 1186م[5] بجيش قوامه عشرين ألفا من خيرة المقاتلين[6]. كما أرسل المنصور إلى الولاة بإصلاح الطرقات وإعداد الأعلاف. وابتدأ الجيش مسيره أولا إلى الرباط حيث التقى يعقوب

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص185.

[2] **نفطة** قال عنها الإدريسي: بينها وبين قفصة مرحلتان صغيرتان وهي مدينة متحضرة عـامرة بأهلهـا لهـا أسـواق وتجارات ونخل وغلات ومياه جارية. الإدريسي، المصدر السابق، ص 179.

[3] **باشو** قال عنها الإدريسي: وهي أرض مباركة وطيبة ذات شجر زيتون وعمارت متصلة وبركات وخيرات وغـلات ومياه ليست بكثيرة الجري على وجه الأرض لكنها ممكنة مياه الآبار وفيها بالجملة خصب زائد وهذه الجزيرة إقليم لـه مدينة باشو ولم يبقى الآن منها إلا مكانها.الإدريسي، نفس المصدر، ص 194.

[4] التجاني، المصدر السابق، ص 14. وابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 521.

[5] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 186.

[6] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص159.

المنصور بولاة الأندلس و المغرب وأعطى لهم التعليمات حول سير الأمور أثناء غيابه[1]، ثم سار إلى فاس فأقام هناك إلى أن انتهى الشتاء.[2]

ومما يلاحظ أن المنصور أعرض عن اصطحاب العرب في جيشه هذه المرة إلا بعضا من أشياخ بني زيان لثقتهم به[3] أما البقية فقد علمته الأحداث أنم ليسوا أهلا للثقة، خصوصا وأن غدرهم بوالي بجاية لا يزال ماثلا في الأذهان، كما أن أكثر جند قرقوش وبني غانية من الأعراب فخشي أنه عندما تعض الحرب بنابا يميل الأعراب إلى إخوانم، كما أن الأعراب عموما في حربم أهل كر وفر وعبر تاريخهم الطويل في المغرب قلما صمدوا في المعارك.[4]

أما علي بن غانية فانه لما بلغته أخبار قدوم المنصور إليه سار إلى تونس وحاصرها ابتغاء الاستيلاء عليها و حرمان الموحدين من أي قاعدة في افريقية يحطون فيها رحالهم غير أنه فشل[5].ولما وصل الخليفة إلى قسنطينة أخذ ابن غانية يعد العدة للحرب وبدء في جمع جيشه من عرب وميارقة واغزاز (قرقوش وأتباعه) وبربر قرب القيروان، وكان من رأي الخليفة الموحدي أن يبادر فورا إلى لقاء ابن غانية قبل أن يكمل استعداداته، غير أن شيوخ الموحدين أشاروا عليه بالسير أولا إلى تونس ليرتاح الجيش من وعثاء السفر، فمال المنصور إلى رأيهم و سار الجيش الموحدي إلى تونس حيث وصلوا في صفر 583هـ /مارس 624م[6].

1 معركة عمرة:

جهز المنصور جيشا قوامه ستة آلاف جندي وجعل عليه يعقوب بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ومعه عمر بن أبي زيد وعلي بن الربرتير[7]، غير أن هذا الجيش بدء يعاني منذ الوهلة الأولى من الانقسام؛ إذ يروي ابن عذاري أن الجيش وصل إلى ميدان المعركة متعبا وانه لما تراءت الفئتان تشتت الآراء وكثر التواكل والالتواء[8]، فما إن تقدم الجناح الذي يقوده علي بن الربرتير إلى

1 ميراندا، المرجع السابق، ص 321.
2 ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 186.
3 نفس المصدر، القسم الموحدي، ص186.
4 نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 186.
5 ميراند، نفس المرجع، ص 321.
6 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 160. وميرندا، نفس المرجع، ص 322.
7 ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 228.
8 ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 188.

الهجوم حتى أمطرته سهام العرب فمزقته تمزيقا، أما علي بن يرمور فقد خذلته العرب كعادتها المأثورة في أي لقاء، على الرغم من أنهم يفترض أن يكونوا من المصطفين الأخيار...! وهوجم الجيش الموحدي من كل النواحي وشد قرقوش وبن غانية على الجيش الموحدي شدة واحدة فتشتت فلوله ومزقت تمزيقا وأسر ابن الربرتير وكذلك ابن اليرمور[1] واتبعت العرب والبربر جيش الموحدين يقتلونهم في كل مكان ومن نجا من سيوف بني غانية أهلكه العطش في الصحراء[2].

وقد دارت هذه المعركة في مكان يعرف بعمرة[3] في 15 ربيع الأول سنة 583هـ / 25 ماي 1187م[4]. في حين يروي ابن عذاري أنها وقعت منتصف ربيع الآخرة من نفس السنة /9 جويلية 1187[5].

وكان الكثير من الجرحى والناجين من الجيش الموحدي قد لجأ إلى قفصة وغصت بهم السكك فأظهر لهم ابن غانية الأمان ودعاهم إليه حتى إذا إجتمعوا قتلهم أجمعين[6]. وكان من الذين قتلوا علي بن الربرتير؛ فقد سقط في الأسر فحاول أن يعيد كرة ميورقة فيرشوا الحراس الموكلين به ليطلقوا سراحه، لكن آسريه أخذوا الرشوة منه و غدروا به وسلموه لابن غانية الذي جازاهم بدوره مالا كثيرا. فلما قبض ابن غانية على ابن الربرتير عذبه عذابا شديدا ثم قتله انتقاما مما فعله للاريمه عندما كان في ميروقة. وقتل ابن غانية أيضا أبو علي بن يومور وعلق رأسه على باب قفصة[7]. فكانت بذلك هزيمة مضاعفة على الموحدين لم يعرفوا مثلها منذ زمن.

2 معركة الحمة:

رجع من حالفه الحظ ونجا إلى تونس وبلغوا الخبر للخليفة[8]، فساءه الأمر وتكدرت نفسه[9] و قرر أن يقود المعركة التالية بنفسه هذه المرة بعد أن رأى من سوء مشورة أشياخ الموحدين وما جلبته من هزيمة. فأخذ يشحذ عزيمة جنده ويحث الناس على تجديد نياتهم، وعاقب كل من أظهر

---

[1] المصدر السابق، القسم الموحدي، ص188.
[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 194.
[3] **عمرة:** فحص بأحواز قفصة من بلاد الجريد في افريقية، الحميري، الجزء2 ص 213.
[4] المراكشي، نفس المصدر، ص 194.
[5] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 188.
[6] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 188.
[7] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص189.
[8] المراكشي، نفس المصدر، ص 94.
[9] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 190.

القعود عن الحرب،[1] وجاءته الوفود المتطوعة من كل مكان فقد كان الناس يخشون أن يهزم المنصور فيعود عيث إبن غانية من جديد.

و هكذا خرج المنصور من تونس في 30 رجب 583هـ/5 سبتمبر 1187م[2] فسار أولا إلى رادس[3] حتى يكتمل إجتماع الجيش[4] ثم سار بمحاذاة الساحل ليمنع عن إبن غانية أي تمويل يمكن أن يأتيه من أخيه عبد الله من ميورقة[5]. وعندما مر المنصور بالقيروان أرسل كتابا إلى ابن غانية ينذره فيه بوجوب الدخول في الطاعة، فاعتقل ابن غانية الرسول ولم يجبه بشيء ولكنه أخذ يستعد للمعركة الحاسمة[6].

وسار الموحدون جنوبا حتى وصلوا إلى قابس، ولما أصبحوا على بعد فرسخين من الحمة سرح المنصور سرية إلى منازل العرب المتحالفين مع ابن غانية فاكتسحوا ديارهم ونكلوا بهم عقابا لهم وتخويفا لكل الضالعين مع إبن غانية[7]، ثم نزل بالجيش في الحمة[8] وطلائع العدو تظهر من حين لآخر، فقرر المنصور التعجيل بالحرب من الغد وأن يقود المعركة بنفسه تلافيا[9]، لأخطاء معركة عمرة. حتى أن بعض الوزراء حاولوا ثنيه عن قيادة المعركة بنفسه إلا أن المنصور زجرهم وأبى إلا أن يمضي برأيه. فرتب المنصور القبائل في مواضعها وقدم عليها قرابته من الأشياخ والأشداء من رجاله واستعد للقاء الحاسم[10]. أما ابن غانية فقد عسكر في موضع حصين بالقرب من الحمة.

و هكذا تراءت الفئتان في الصباح الباكر في يوم قد حجب الضباب فيه الرؤيا، و سرح المنصور بعض قواته إلى معسكر العرب في جيش بن غانية فبددوا شملهم[11] مما أربك ابن غانية

---

[1] محمود مقيديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزرازي و محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988 بيروت لبنان، ص 502.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 521. سحر السيد عبد العزيز سالم، المغرب في العصر الإسلامي، شباب الجامعة الإسكندرية، 1990. ص73 وما بعدها.
[3] يذكر البكري أن رادس هو بحر مدينة تونس. البكري، المصدر السابق، ص 37.
[4] عبد الله المطوي السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 33.
[5] نفس المرجع، ص33.
[6] رسائل موحدية، الرسالة الثلاثون، ص 180 وما بعدها.
[7] محمود مقيديش، المصدر السابق، ص 502.
[8] **الحمة** قال عنها الإدريسي: جنوب شرق مدينة توزر مائها ليس بطيب لكنه شروب قنع به أهلها وبها نخل كثير وتمر غزير ومنها إلى نفيوس 20 ميلا. الإدريسي، المصدر السابق، ص 178.
[9] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 190.
[10] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 191.
[11] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص162.

وحلفائه؛ فقد أدرك المنصور بدهائه أن العرب الذين خذلوه في معركة عمرة وركنوا إلى الفرار قد يخذلون ابن غانية أيضا، ثم أرسل المنصور كل قواته إلى الميارقة والأتراك(أتباع قرقوش) وبدأ حينئذ سير المعركة الحقيقة و دارت الدائرة في النهاية على الملثمين حتى كاد الموحدون أن يفنونهم[1]، أما أدرك ابن غانية و قرقوش فقد أدركا أنهما يخوضان معركة حاسمة في ظروف قاتمة ففرا إلى توزر، فلاحقهما الموحدون ففرا إلى الصحراء[2]، فعدل الموحدون عن ملاحقتهم[3]. وكان تاريخ هذه المعركة في 9 شعبان 583هـ / 15 اكتوبر1187م.

وقد اختلف المؤرخون حول مصير علي بن غانية بعد هذه المعركة. ففي حين يذكر المراكشي أن علي بن غانية فر من معركة الحمة مثخننا بالجراح، فلجأ إلى خيمة عجوز أعرابية في الصحراء ومات عندها[4]، يذكر ابن خلدون أن علي بن غانية أصابه سهم غرب (مجهول المصدر) في بعض حروبه مع أهل نفزاوة سنة 584هـ/1188م كان فيه هلاكه فدفن هناك وعفي قبره وحمل شلوه (جثته) إلى ميورقة فدفن بها[5]. وهو ما يذهب إليه التجاني تقريبا إذ يذكر انه بعد فرار علي ابن غانية من معركة الحمة إلى الصحراء أصيب بسهم في ترقوته فمات. و لا منافاة بين رأي ابن خلدون والتجاني إذ انه يحتمل انه بعد فراره من توزر دخل في حرب مع نفزاوة فأصابه سهم ومات.

أما المنصور فسعى للاستفادة من نصره المبين فسار توا إلى قابس وكان قرقوش قد جعل فيها أهله وبنوه وخيرة أتباعه فحاصرها، و حاول أتباعه التحصن بقصبة المدينة[6]، غير أن الموحدين ضيقوا عليهم الحصار من كل مكان فعرضوا الاستسلام مقابل الأمان غير أن المنصور أمنهم على أرواحهم فقط، فلما سلموا إستصفى المنصور أموالهم وبعث بهم رقيقا إلى مراكش[7]. ثم سار

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 521.

[2] المقصود بالصحراء هي منطقة العرق الشرقي الكبير الآن التي هي عبارة عن بحر من الرمال فكان ابن غانية يلجأ إليها فيصعب على الجيوش الموحدية الكبير مطاردته في هذه الصحراء الخالية.

[3] حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت لبنان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960، الجزء 4، ص420. التجاني، المصدر السابق ص 134-135. المراكشي، المصدر السابق، ص 194. محمد السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى 1985الجزء 2، ص 397. وابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 191.

[4] المراكشي، المصدر السابق، ص 194.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 229.

[6] ويذكر التجاني أنهم تحصنوا بقصر العروسين في قابس، التجاني، نفس المصدر، ص103وما بعدها.

[7] رسائل موحدية، الرسالة الثلاثون، ص 190.

المنصور لاسترجاع بقية المدن التي استولى عليها ابن غانية فاسترجع نفزاوة[1] وقسطيلية وتوزر وتقيوس والحمة ونفطة. وثار أهالي المدن ا‡تلة على من كان عندهم من الاغزاز والميارقة وأعوانم، فكان كل ما دخل الموحدون إلى بلدة إلا وسلم لهم أهلها Pلة من هؤلاء ليقتلوهم، ففر الكثير منهم إلى توزر فلما سمعوا بمقدم الموحدين إليهم فروا إلى الصحراء في جنح الظلام[2].

3 معركة قفصة:

كانت قفصة مدينة منيعة لجأ إليها الكثير من أتباع قرقوش و ابن غانية معتمدين على حصانتها، لكن المنصور إعتبر دخول هذا البلد تتويجا لباقي انتصاراته وأنه إن لم يستولي عليها ألغى ذلك كل ما حققه من الانتصارات، خصوصا أن أهلها فتحوا أبواب مدينتهم لابن غانية فكانت مسرحا لـزرة إبن غانية الشنيعة ضد الجيش الموحدي، لذلك تعمد ترك هذه المدينة آخر مدينة يفتحها حتى يتفرȟ لها ويقطع عنها اqمدادات من المدن الأخرى[3]، وإستعد لذلك جيدا فلم يبدأ هجومه إلا بعد إستكمال قدوم كل قواته.

و قبل بداية هجومه على قفصة وصل إلى المنصور كتابين: أحدƵا من قرقوش، والثاني من أبي زيان؛ الذي كان تابعا لقرقوش ولكنه تمرد عليه وإستقل بطرابلس[4]. أعلنا كلاƵا فيه التوبة و الدخول في الطاعة. ولكن سنرى فيما بعد أن هذه التوبة كانت مكذوبة، خاصة بالنسبة لقرقوش؛ الذي حتم عليه أسر المنصور لحرمه وخيرة رجاله في قابس، واستعداده للقضاء على من بقي منهم في قفصة أن يظهر هذه التوبة المزعومة، وسنرى كيف أنه سيقلب ظهر الـن للموحدين في أول فرصة يحس فيها انه غـا عن هذه التوبة. أما أبا زيان فقد يكون الدافع لتوبتة خوفه أن تكون بلده طرابلس هي ضحية الموحدين التالية بعد قفصة.

وما إن إكتملت عدة الجيش الموحدي حتى سار المنصور إلى قفصة. وبدء بقطع كل النخل ا‡يط بالمدينة ترويعا للمتحصنين، ثم أحاط قفصة بالمنجنيقات من كل مكان واخذ يدك أسوارها دكا، وكانت قفصة في مرتفع من الأرض محاطة للافير من كل الجهات فبـا الموحدون مبـا من

---

[1] **نفزاوة** قال عنها البكري: لها سور صغير وستة أبواب وبينها وبين القيروان 6 أيام نحو الغرب وبها جامع وأسـواق حافلة وهي على نخل كثير النخل والثمار. البكري، المصدر السابق، ص 37.

[2] رسائل موحدية ،الرسالة الواحدة وثلاثون، ص 196.

[3] المطوي، المرجع السابق، ص 37.

[4] رسائل موحدية، الرسالة الواحدة وثلاثون، ص 198.

سبعة طوابق يشرف على المدينة من الداخل، ودكت أسوارها حتى خرقت سور المدينة، ونجح الموحدون في ردم جهة الحفير المواجهة لثغر السور، ولكنهم لما حاولوا الدخول منه إلى المدينة واجههم أهلها بوابل من الحجارة مستفيدين من علو موقعهم واΥفاض موقع الموحدين[1]، فارتد الموحدون خائبين. لكن المنصور عزم على معاودة الهجوم من الغد[2].

غير أن الأهالي لما رأو فداحة الخسائر التي حلت بهم خشوا عاقبة دخول المنصور إلى البلاد عنوة فخرج أعيانهم ليلا إلى المنصور يطلبون الأمان، وŹ الاتفاق على إعطاء أهالي المدينة الأمان وان أملاكهم بيدهم على حكم المساقاة[3]، واندرج هذا التأمين على الاغزاز وPيع أهل قفصة وكافة من كان معهم من قبائلهم وأهل باديتهم، واستثني منهم الميارقة والغرباء[4]. ونستطيع القول أن المنصور عفى الاغزاز الذين هم من أتباع قرقوش فقط بدليل أن من الذين قتلوا ابراهيم بن قراتكين مع انه من الاغزاز أيضا وذلك بسبب كتاب قرقوش[5].

ولما كان الغد خرج الناس من المدينة فلم يبقى إلا النساء والأطفال، ثم ميز الرجال، الأجنبي من البلدي، فخلوا سبيل أهل البلد وقيدوا الباقين قرب البرج المشيد (البرج ذو السبع طوابق). وبعد صلاة الظهر جلس المنصور على برج يسمى الديبان[6] وأمر بٳخراج المقيدين و بذللاهم Pيعا، و أول من ذبح ابن علي بن غانية، ثم اتبع بالباقين، فكانوا يذللاون ويرمون بجثثهم في حفير والخليفة يشاهد ما يحدث من الديبان، وكان من الذين ذللاوا أيضا إبراهيم بن قراتكين[7]. كما أمر الخليفة الأهالي بهدم السور حتى لا يفكر أي خارج بالتحصن به مرة أخرى، فهدمه الأهالي في

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 194.

[2] محمود مقيدش، المصدر السابق، ص 24. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983. الجزء 2 ص 174.

[3] **المساقاة:** أن يدفع الرجل شجره إلى آخر ليقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج إليه بجزء معلوم من ثمره. معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي حامد و حامد صادق قنيبي، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، 1988. ص 425. والمقصود بها هنا أنهم يستعملون أملاكهم ولكن لا يملكونها.

[4] رسائل موحدية، الرسالة الثانية والثلاثون، ص 206 وما بعدها والتجاني، المصدر السابق، ص 138.

[5] انظر كتاب قرقوش ص30

[6] **الديبان:** اختراع نقله المسلمون عن البزنطيين وهو أشبه شيء ببرج عالي يقف فيه الحاكم أو قائد المعركة من بعيد ليشرف على مجريات الأحداث. ميراندا، المرجع السابق، ص 325.

[7] انظر دخول قرقوش افريقية وتحالفه مع ابن غانية ص 20

يومين. ثم إن جثث القتلى بدأت تفوح فخشي الخليفة على نفسه من أثرها فنقل محلته بعيدا عن الحفير[1].

أما عن تاريخ هذه الغزوة، فان رسالة يعقوب المنصور التي وجهها من قفصة إلى الطلبة والأشياخ بمراكش يخبرهم بفتح قفصة مؤرخة في 13 ذي القعدة سنة 583هـ[2] لذا يرجح أن يكون الاستيلاء على قفصة في أوائل ذي القعدة سنة 583هـ يناير 1187م[3].

وقد كانت هذه المعركة نكبة لبني غانية حتى أنهم لاذوا بالسكينة زمنا ولم يبدءوا أعمال العيث من جديد حتى وفاة المنصور وتولي ابنه الناصر الحكم كما سنرى.

وبعد الانتهاء من أمر بلاد الجريد سار المنصور إلى تونس حيث دخلها في العشرة الأخيرة من شوال 583هـ /ديسمبر 1187م[4]. فبقي المنصور مدة يصلح من حال افريقية وتونس، ثم ولى أخوه السيد أبي زيد على ولاية افريقية وسار إلى المهدية وقد عزم الرجوع إلى الحضرة المراكشية.

III سيطرة يحيى ابن غانية الميورقي على كل افريقية

1 الصراع بين يحيى بن غانية وقرقوش

لم ييأس بنو غانية من جراء ما لحق بهم فبعد وفاة أخيهم علي ولوا على أنفسهم يحيى بن غانية أخو علي، الذي كان مثله شعلة تضطرم حقدا على الموحدين وتسعى لإسقاط دولتهم بأي ثمن، ويعده المستشرق انجل جنثالث شاعرا بليغا[5]، مما يعني انه يتمتع بالإضافة إلى مواهبه العسكرية ثقافة عالية.

وكان ابتداء القلاقل من جديد أن قرقوش- الذي أظهر الإنابة والدخول في التوحيد-إتصل بالشيخ أبي زيد والي تونس وسكنها مدة، ما لبث أن فر إلى قابس ودخلها بالخديعة، واستبد بها وأظهر الرجوع عن التوبة ثم انه استدعى أشياخ العرب فقتل من أعيانهم سبعين شيخا في قصر

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 196. التجاني، المصدر السابق، ص 140. رسائل الموحدية، الرسالة الثانية والثالثون، ص 206. وما بعدها والمراكشي، المصدر السابق، ص 136.
[2] رسائل موحدية، الرسالة الثانية والثلاثون، ص 210.
[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 165.
[4] نفس المرجع، الجزء 2، ص 193.
[5] انجل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ص 129.

العروسين[1]؛ لأنه كان للحاجة إلى ثروتهم ليعيد بها تجهيز جيشه وحروبه، وكان قرقوش قد وضع كل ذخائره في قابس، فلما استولى عليها الموحدون خسر كل ما يملك[2] فكان لزاما عليه أن "يسلب" مالا آخر.

وبعد هذه الهزيمة ضد العرب قوي أمر قرقوش، فسار إلى طرابلس فملكها، وأخذ يستولي على البلدان الواحدة تلوى الأخرى حتى ملك أكثر بلاد الجريد. فأثارت هذه التوسعات حفيظة يحيى بن غانية فقد كان يعتبر بلاد الجريد ملكه و قاعدته التي لا يجب أن تكون لأحد سواه.

و هكذا أحس الحليفان السابقان لخطر وجود كل واحد على الآخر، وسرعان ما اشتعل الخلاف بينهما فسار يحيى إلى قرقوش والتقوا بموضع يعرف بمحسن قرب طرابلس، غير أن قرقوش انهزم هزيمة شنيعة، فأراد التحصن بطرابلس لكنه خشي أن يطبق عليه يحيى حصار من البر والبحر مستعينا بأخيه عبد الله في ميورقة، فتحصن بالجبال[3]، وفعلا صدق حدس قرقوش فقد استعان يحيى بسفينتين، بعث بهما أخوه عبد الله من ميورقة، أطبق بهما يحي الحصار على نائب قرقوش على طرابلس ياقوت الافتخار حتى إضطره إلى الاستلام، فقبض عليه يحيى وأرسله مصفدا إلى ميورقة[4]. أما قرقوش فقد استقر بعد هذه الحادثة في ودان[5]. وبعد ذلك يحيى فسار إليه واصطحب معه العرب الذين قتل الميورقي آبائهم، فحاصروه حتى فني طعامه، فسلم للعرب واشترط أن يقتلوه قبل ابنه، وكان شديد الهيبة له، فقتلوه بظاهر ودان سنة 609هـ /1212م.

و خلا الجو بذلك ليحيى من أي معارض ذي بال في افريقية، فلم يكن للوالي الموحدي على افريقية أبو سعيد بن أبي حفص من العدة أو الكفاءة ما يجابه به بن غانية. و سرعان ما ولى يحيى على طرابلس ابن عمه تاشفين بن الغازي وسار ليستكمل الاستيلاء على المدن التي لم تدخل في طاعته بعد، فكانت قابس أول ضحاياه.

---

[1] التجاني، المصدر السابق، ص 103.

[2] ميراندا، المرجع السابق، ص352. و من المعروف انه قبل هذا الوقت بقليل ظهر شخص يدعى الاشل قرب بجاية وادعى المهدوية وان الأراجيز بشرت به واحتمى بالأعراب غير أن والي بجاية دعا الأعراب إلى مأدبة عشاء ثم اعتقل أبناءهم وهدد آبائهم بقتلهم أن لم يسلموا له الاشل فسلموه له فيظهر أن قرقوش اخذ هذه الخدعة من والي بجاية. ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 170. وحول معركة الحمة انظر(معركة الحمة ص 27)

[3] التجاني، نفس المصدر، ص 104.

[4] نفس المصدر، ص243.

[5] **ودان**: قال عنها الإدريسي: جزائر نخل متصلة وعمارت كثيرة ومن مدينة سرت إلى ارض ودان خمس مراحل من الجنوب ولها آبار كثيرة ويزرعون بها الذرة وبغربيها غابات وحولها شجر التوت. الإدريسي، المصدر السابق، ص 214.

2 الصراع بين يحيى بن غانية وبين عبد الكريم الرجراجي

بعد Öلơ يحيى بن غانية من خصمه قرقوش ظهر للعيان أن عرش افريقية قد خلاÖ له أخيرا غير أن طامع آخر ظهر في الميدان ليزيد الطين بله وهو محمد بن عبد الكرC الرجراجي.

ويعود أصل ابن عبد الكرC حسب التجاني إلى قبيلة كومية[1] أي نفس القبيلة التي ينتمي إليها الخلفاء الموحدون. في حين يرى ابن خلدون أن أصله من الكوż. ويحتمل أن يكون رأي التجاني أقرب للصحة لأن شيوخ الموحدين يلجÂون إلى تذكير ابن عبد الكرC بأصله الكومي عندما يتمرد عليهم كما سنرى.

وقد ظهر أمر إبن عبد الكرC في محاربة الأعراب وكف عيثهم فأحبه الناس لذلك وصاروا يدعون له في المساجد، وأطلق الولاة يديه في الغنائم. فلما ولي الشيÑ أبو سعيد بن الشيÑ أبي حفÖ على افريقية من قبل المنصور ولى أخاه الشيÑ أبا علي بن يونس بن أبي حفÖ على المهدية[2]، فطالب ابن عبد الكرC بالسهمان في المغاb(ثلثي الغنائم)[3]، فرفض ابن عبد الكرC وتبرم من ذلك فسجنه أبو علي. وأرسل ابن عبد الكرC إلى الشيÑ أبا سعيد يستشفع به لكنه أعرض عنه.

غير أن الظروف ما لبثت أن خدمت ابن عبد الكرC، ذلك أن الأعراب ما كادوا يعلمون بسجن عدوهم اللدود (إبن عبد الكرC)حتى إنتهزوا الفرصة وعاودوا سيرة الفساد والعيث من جديد، فضÿ الناس من هذا الحال وألحوا على الشيÑ أبا علي في إخراج ابن عبد الكرC وخشي أبا علي الفتنة فاضطر أن يخرجه مكرها، ولكن ابن عبد الكرC ما إن خرج Pع أصحابه وطلب منهم مساعدته في الغدر بأبي علي والانتقام لكرامته المهدورة [4].

ويمدنا ابن الأثير برواية أخرى عن أصل مشكلة ابن عبد الكرC. ويروي أن« أبا علي بن يونس عين ابن عبد الكرC قائدا للجيش فعظمت نكايته في الأعراب ولم يبقى منهم إلا من يخافه. وحدث أن أغار ابن عبد الكرC على طائفة من بني عوف ففروا أمامه وتركوا مالهم وعيالهم

---

[1] نفس المصدر، ص350. و **قبيلة كومية** قال عنها الإدريسي**:** تمتد مضاربها في تلمسان واليها ينتمي عبد المؤمن بـن علي مؤسس الدولة الموحدية. الادريسي، المصدر السابق، ص 124.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 350.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 230.
[4] التجاني، نفس المصدر، ص 350.

فأسرهم بن عبد الكرC وسلم العيال إلى الوالي الجديد واخذ ما شاء من الغنائم. ثم إن العرب استجاروا بأبي علي والي المهدية وأعلنوا الطاعة ورجوه أن يرد إليهم أموالهم وعيالهم، فأمر أبو سعيد ابن عبد الكرC أن يرد إليهم أموالهم وعيالهم، فاعتذر ابن عبد الكرC عن رد المال لأنه كان قد فرقه على الجند، فأغلŞ له الشيÌ أبو علي القول وهم بأن يبطش به فاستمهله ابن عبد الكرC حتى يعود إلى المهدية فيسترد المال من الجند. ولكن ما إن رجع ابن عبد الكرC إلى المهدية حتى Pع أصحابه وأخبرهم بما كان وبعزمه الوثوب بوالي المهدية»[1].

ويحتمل أن تكون رواية إبن الأثير اقرب للصحة، لأنه ابن عبد الكرC لما رأى الصراع على أشده بين إبن غانية وقرقوش، والولاة الموحدين يقفون موقف المتفرج العاجز يحتمل انه فكر في التمرد على الموحدين بدوره وتأسيس ملك له، بدليل انه ما إن نجح في تمرده حتى تلقب المتوكل كما يتلقب الملوك.

وأيا كان سبب ثورة ابن عبد الكرC فقد نفذ مشروعه ودخل قصر أبا علي في المهدية مع الفجر، واعتقله في شعبان 595هـ/1199م، ولم يطلقه إلا بعد فدية كبيرة قدرهاRسمائة دينار ذهبي دفعها له الموحدون ووساطة من صهر ابن عبد الكرC محمد بن عبد السلام الكومي[2].

وبلغت هذه الأخبار الخليفة الموحدي الناصر فعزل أبا سعيد عن الولاية وأرسل مكانه أبا زيد بن السيد أبو حفÖ بن عبد المؤمن، فعزم بن عبد الكرC على مباغتتهم، وسار إلى قرطاجنة وما إن نزل أبو زيد وجنده من البحر حتى باغتهم ابن عبد الكرC وهزمهم شر هزيمة، وبسط سيطرته على ما يعرف بمرسى البرج ونبوا الكثير من أمتعة الناس الموجودة هناك بل واعتدوا على الكثير من القرى اﻟاورة، ولم تدأ هذه الفتنة حتى أرسل السيد أبا زيد أشياخ الموحدين يعيبون عليه فعله ويذكرونه بنسبه من الموحدين فرجع عنهم[3].

ولم يكن رجوع إبن عبد الكرC بدافع إنابة أو صحوة الضمير بالطبع، بل بسبب قوة أخرى ظهرت في الميدان بدأت تقلقه ألآ وهي قوة يحيى بن غانية، فقد كان بينهما في البداية شبه

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 12، ص 146.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 351.
[3] نفس المصدر، ص352.

تحالف لكن بعد تميش الموحدين من الصراع (العائق الأساسي) أصبح كل واحد منهما يحس بالخطر من الآخر[1] تماما مثلما حدث مع قرقوش.

وأراد ابن عبد الكريم أن يعاجل الميورقي فسار إليه في قابس، لكنه ما إن وصلها حتى هاله أمرها، فقد وجد ابن غانية قد استعد له جيدا وحشد قابس بالرجال والسلاح، فترك ابن عبد الكريم حصار قابس وسار إلى قفصة فاحتلها، فوصلت إليه في تلك الأثناء أخبار خروج الميورقي إليه فخرج للقائه فالتقيا بقصور لآلة قرب قابس لكن ابن عبد الكريم انهزم هزيمة شنيعة. وفر إلى المهدية وتحصن بها.

وحاصر إبن غانية إبن عبد الكريم في المهدية سنة 597هـ/1200م وكانت المهدية مدينة ساحلية حصينة فاستعصى على إبن غانية فتحها لأن ابن عبد الكريم كان يتمون من البحر، و هنا لجأ ابن غانية إلى الحيلة، فأرسل إلى بالموحدين كتابا يعرض عليهم المصالحة ويسألهم الإعانة على ابن عبد الكريم بسفن يطبقون بها الحصار عليه من البحر، وكان الموحدون يحقدون حقدا كبيرا على ابن عبد الكريم تابعهم الذي تمرد عليهم فأجابوا ابن غانية لطلبه فأحيط عند ذلك بابن عبد الكريم ولم يملك إلا أن يرسل ابنه عبد الله إلى ابن غانية ليطلب الأمان على نفسه وأهله. ويروي التجاني أن الميورقي أعطى الأمان لابن عبد الكريم[2] في حين يروي ابن خلدون أن الميورقي أبى إلا أن ينزل ابن عبد الكريم على حكمه[3]. ويحتمل أن تكون رواية التجاني اقرب للصحة بدليل أن الميورقي غدر بهما وقتلهما فيما بعد وهذا يعني أن نية الغدر كانت مبيته عند الميورقي فلا حاجة للإصرار على أن ينزل ابن عبد الكريم على حكمه. ويلاحظ هنا أن ابن غانية أعرض عن الاستعانة بأخيه عبد الله في ميورقة كما جرت العادة لان أخاه كان بدوره يستعد لهجوم كاسح من طرف الموحدين كما سنرى.

وهكذا قبض ابن غانية على ابن عبد الكريم وابنه ووضعهما في سجنين متفرقين. وبعد أيام أخرج ابن عبد الكريم ميتا ولا اثر به[4]، في سم دسه له ابن غانية على ما يبدو، أما ابنه فقد تظاهر

---

[1] المطوي، المرجع السابق، ص56.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 351.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 230.
[4] المطوي، نفس المصدر، ص 59.

يحيى بإرساله إلى ميورقة ولكنهم ما إن وصلوا إلى القل[1] من أعمال قسنطينة حتى رموا به في البحر مقيدا. فكان ذلك آخر العهد بثورة ابن عبد الكريم[2].

3 احتلال يحيى ابن غانية الميورقي لباقي أجزاء افريقية

وبعد التخلص من ابن عبد الكريم استولى الميورقي على المهدية إضافة إلى المدن التي استولى عليها سابقا، ولم يبق أمامه سوى تحقيق هدفه الأساسي وهو القضاء على وجود الموحدين نائيا في افريقية. أما الولاة الموحدون فقد ظلوا يظنون أن يحيى لا يزال يرغب في السلم حقا...؟! فلم يقوموا بأي استعدادات هجومية أو دفاعية إلا حينما بدأت غزوات ابن غانية تترا.

و ابتدأ ابن غانية توسعاته بالجانب الغربي من افريقية، فنازل باجة وافتتحها وحاول والي بجاية السيد أبي زيد تدارك الأمر فأرسل جيشا كبيرا بقيادة أخيه السيد أبي الحسن إلا أن ابن غانية هزمه شر هزيمة بين بجاية وقسنطينة فارتدت جيوش الموحدين وهي في حالة يرثى لها[3].

وكانت مدينة بسكرة[4]، التي استولى عليها الميورقي سابقا، قد خلعت طاعته وعادت إلى الموحدين، فسار إليها يحيى ودخلها عنوة وعاقب سكانا بقطع أيدي الكثير منهم وقبض على عاملها الموحدي وزج به في السجن، وسمع أهل بونة[5] بما حدث وخشوا أن يصيبهم ما أصاب أهل بسكرة فبعثوا إلى الميورقي بطاعتهم سنة 598هـ /1202م[6].

وهكذا سقطت في يد الميورقي: طرابلس، وقابس، وصفاقس، وسائر بلاد الجريد، والقيروان، وتبسه[7]، وبسكرة، وبونه، ولم تبق خارج طاعته إلا مدينة تونس عاصمة افريقية التي

---

[1] **القل:** قال عنها الإدريسي: ومن جيجل إلى مدينة القل سبعون ميلاً وهو آخر مدن هذا الجزء المرسى والقل قرية عامرة وكانت في سالف الدهر مدينة صغيرة عامرة والآن هي مرسى وعليه عمارات والجبال تكنفه من جهة البر ومن القل إلى مدينة القسنطينة مرحلتان جنوباً والطريق في أرض تغلبت العرب عليها. الإدريسي، المصدر السابق، ص 135.

[2] التجاني، المصدر السابق، ص 354.

[3] المراكشي، المصدر السابق، ص 224.

[4] **بسكرة** قال عنها الإدريسي: حصن جليل ومعقل جميل وله عمارات وبينهما وبين بجاية اربعة أيام وبينها وبين قسنطينة مرحلتان وهي في حد ذاتها حصن منيع في كدية من التراب عال وبه سوق وعمارة وبها أيضا كل غريبه وطريفة. الإدريسي، نفس المصدر، ص 165، وما بعدها.

[5] **بونة** قال عنها الإدريسي: مدينة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وهي على نحو البحر فيها الكثير من الخشب ولها بساتين قليلة وشجر وبها أنواع الفواكه ما يعم أهلها وبها معادن حديد جيد. الإدريسي، المصدر السابق، ص 192.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 231. مولاي لمحيسني لمحات من ثورة بني غانية مقال منشور في مجلة الاصالة العدد 19 1976 وزارة الشؤون الدينية الجزائر ص142.

[7] **تبسه** قال عنها البكري: مدينة أولية بها آثار للأول كثيرة وهي كثيرة الثمار والأشجار. البكري، المصدر السابق، ص 49.

كان يحيى يعد العدة للانقضاض عليها منذ البداية، فسار إليها ووصل اليها في السبت13 ذي الحجة سنة 599هـ /15 اكتوبر 1203م فنزل الجبل الأحمر بظاهر تونس وأقام هناك أياما ثم نزل بين السويقة، وقرطاجنة[1]. وانزل أخوه الغازي بن إسحاق في الموضع المعروف للللق الوادي فردمه وترك عليه من يحرسه، ثم ذهب قرب باب الجزيرة في قبلي مدينة ونصب أمام الباب الأول آلات الحصار وشرع في دك أسوارها. وبعد أكثر من أربعة اشهر تمكن من دخولها يوم السبت 7 ربيع الآخرة سنة 600هـ /15 ديسمبر 1203م[2] في حين يذكر ابن خلدون أن دخولها كان في أول في ذي الحجة من نفس السنة/ 31 جويلية1204م[3].

وبلغ ابن غانية في هذه الأثناء أن أهل جبل نفوسه قد نكثوا بيعته فسار إليهم فأغرمهم ألف ألف (مليون) دينار[4] عقابا على نكثهم البيعة، مع أن هذه الأرقام قد تحمل الكثير من المبالغة.

IV حملة الناصر على بني غانية

1 العوامل التي أعاقت الدولة الموحدية عن المسير إلى افريقية

شغلت الدولة الموحدية عن رد عدوان الملثمين لوقوع عدة حوادث هامة من بينها انشغالهم للحرب النصارى في الأندلس، وكذلك ببيعة الناصر الخليفة الجديد الذي بويع خلفا لأبيه المنصور سنة 595هـ ، وظهور ثائر يعرف بأبي قصبة في بلاد السوس[5] ادعى المهدوية وتمكن من إلحاق الهزيمة بالعديد من الحملات الموحدية حتى تمكن الموحدون من قتله في النهاية سنة 598هـ/1202م[6] ، وفي سنة 598هـ/1202م حدث في اشبيلية سيل كبير، غمر المدينة بأسرها فأسقط نحو 6 آلاف

[1] **قرطاجنة** قال عنها الإدريسي: تقع على بعد 3 أكيال ونصف عن تونس وهي الآن خراب وإنما يعمر منها قطعة مرتفعة تسمى المعلقة يحيط بها سور ترابي ويسكنها رؤساء العرب يعرفون ببني زياد الإدريسي، المصدر السابق، ص 256. راجع تخطيط مدينة تونس في الإدريسي، المصدر السابق، ص198.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 356.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 231.
[4] نفس المصدر، الجزء 6، ص 231.
[5] **بلاد السوس** قال عنها الإدريسي: قرى كثيرة وعمارات متصلة بعضها ببعض وفيها فواكه جليلة ويعمل ببلاد السوس من السكر المنسوب إليها والأكسية وهي بلاد حنطة والشعير وأرز والغالب على أهلها الجفاء والغلاظ الطبع وقلة الانقياد وهم أخلاط من البربر والمصامدة. الإدريسي، نفس المصدر، ص131.
[6] ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 6، ص 226. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 170.

من الديار وانتشرت جثث الناس في الشاطئ[1]. فكان على الدولة الموحدية معالجة هذه المشاكل قبل التوجه لحرب بني غانية.

2 فتح ميورقة

بعد أن تمكن عبد الله ابن غانية من استرجاع جزرهم أخذ يقوي مركز الجزيرة فعقد مع الجمهوريات النصرانية الإيطالية القريبة ولا سيما جنوة وبيزة اتفاقيات تجارية سنة 594هـ /1198م تضمن للمدن الإيطالية السلامة من هجمات بني غانية وحق شراء القمح والحبوب التي تنتجها الجزائر الشرقية[2]، أما السواحل البعيدة خاصة فرنسا فقد كان ابن غانية يوالي الهجمات ضدها جريا على عادة أبيه في الصويف العدو[3] . وقد اكتسب عبد الله بهذه السياسة ثروة ضخمة وجاها كبيرا لدى شعبه و على الرغم من أنه لم يستطع دائما أن يمد أخيه يحيى في افريقية إلا أن الجزائر الشرقية بقيت دائما مقر بني غانية الرئيسي[4] .

وقد رأى الموحدون أنه من الضروري أولا القضاء على نفوذ بني غانية في موطنهم الأصلي، الجزائر الشرقية، لكسر شوكتهم في افريقية، ولم يكن عبد الله بن غانية غافلا عما يحاك حول جزره من مؤامرات لذا قرر استباق الأحداث ومهاجمة جزيرة يابسة غربي ميورقة محاولا انتزاعها من الموحدين مستغلا فصل الشتاء و رسو السفن[5]، غير أن قائد البحر ابن ميمون تصدى له واغرق له سفينتين فارتد خائبا، ولكن مع ذلك لم يستسلم عبد الله فأرسل أسطولا آخر في العام الموالي إلى منروقة فاستولى عليها وولى عليها مساعده نجاح[6] .

و أعد الناصر لهذه الحملة قوات ضخمة[7] وجعل عليها السيد أبا العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن، وجعل على الفرسان والرماة والرجالة (المشاة) الشيخ أبا سعيد بن أبي حفص،

---

1 ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص197.

2 Christophe picard, l'océan Atlantique musulman de la conquête arabe à l'époque almohade, Maisonneuve, L'arse édition UNESCO 1997.P24

3 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجـزء 2، ص 256. و Glaude Cohen, l'islam de l'origine au débat de l'empire Ottomane, Hachette la présente édition, 1995.P32

4 A. Bell, op, cit, P118.

5 الحميري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، دار السراج، الجزء2 ص 126.

6 نفس المصدر، الجزء2 ص 125.

7 نفس المصدر، الجزء2 ص126.

والتقت القوة البحرية والبرية في دانية[1]؛. وتروي بعض المصادر أن الخليفة الناصر هو من قاد الحملة[2]، غير أن المراكشي وهو مصدر مطلع لا يذكر هذا الخبر[3].

وفي أواخر سنة 599هـ /1203م أقلعت الحملة من ثغر دانية إلى جزيرة يابسة التي استولى عليها الموحدون سابقا، ثم إن السيد أبا العلاء أراد تطويق الجزيرة الرئيسية فاستولى أولا على جزيرة منروقة[4] وقتل والي بني غانية على هذه الجزر الزبير بن نجاح، ، وأرسل برأسه إلى مراكش فعلق بجانب رأس أبي قصبة[5]. ثم سارت السفن إلى الهدف الرئيسي وهي جزيرة ميورقة وإشتبك **الطرفان المسلمان** في معركة طاحنة دامت **سبعة أيام** دافع فيها عبد الله عن أرضه بكل بسالة وقاتل معه أهل الجزيرة التي كان أغلبهم من لمتونه ولكن المعركة انجلت في النهاية عن قتل عبد الله وأرسال رأسه إلى مراكش، وأسر أسرته. ويروي ابن خلدون أن سبب هذه الخسارة أن أخا عبد الله، تاشفين ابن غانية، تراجع بالناس عن أخيه رغبة في الحياة. (انظر الشكل 2)

ويروي المراكشي أن سبب مقتل عبد الله هو انه حين نازل القوم خرج على باب من أبواب المدينة سكران فضربه رجل من الأكراد بسيفه فقتله[6]. غير إن هذه الرواية يمكن أن تكون من وضع الموحدين؛ فبنوا غانية الحكام الأقوياء الذين قاوموا الموحدين لسنين عديدة ما كان إن تكون لهم هذه القوة لو كانوا مدمنين على الخمر والمجون، وحتى ولو كان يتعاطى الخمر فليس هذا وقتها والأقرب للصحة ما رواه ابن خلكان أن عبد الله برز للموحدين فعثر به فرسه فسقط على الأرض فقتلوه[7].

أما عن تاريخ هذه الغزوة فالمراكشي يذكر أن هذه الغزوة كانت في ذي الحجة سنة 599هـ /أوت 1203م[8] ،في حين يذكر ابن خلكان والسملالي أن ذلك كان في ربيع الأول سنة

---

[1] **دانية** قال عنها الإدريسي: على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة وبها قصبة منيعة جدا وهي على عمارة متصلة وهي مدينة تسافر إليها سفن وبها ينشا أكثرها لأنها دار إنشاء السفن ومنها يخرج الأسطول للغزو. الإدريسي، المصدر السابق، ص 282.

[2] أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن الدينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار المسيرة بيروت لبنان. ص 119.

[3] المراكشي، المصدر السابق، ص 226.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 242.

[5] المراكشي، نفس المصدر، ص 227. وحول أبي قصبة انظر (العوامل التي أعاقت الدولة الموحدية عن المسير إلى افريقية ص 38)

[6] نفس المصدر، ص 255.

[7] ابن خلكان، المصدر السابق، الجزء 7، ص 19.

[8] المراكشي، نفس المصدر، ص 255. وابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 240.

خريطة غزو الموحدين لميورقة

600هـ/ نوفمبر 1203م[1]، في حين لا تذكر الرسائل الموحدية أي تاريخ، فإذا أخذنا رواية الحميري الذي يقول أن تحرك الموحدين من يابسة كان في 24 ذي الحجة 599هـ/3 سبتمبر 1203م[2] فيعني ذلك أن الاستيلاء على ميورقة كان في 30 ذي الحجة من نفس السنة على أكثر تقدير كما يذكر المراكشي[3] خاصة وأن الرسائل الموحدية تذكر أن المعركة دامت سبعة أيام لحين مقتل عبد الله.

3 مسير الناصر إلى افريقية

شاور الناصر شيوخ الموحدين في سيره إلى افريقية فأشار أغلبهم عليه بمسالمة ابن غانية، نظرا لصعوبة المهمة، غير أنه لما بلغته أخبار عيث ابن غانية وقبضه على الوالي الموحدي عزم الناصر على السير إلى افريقية بإشارة من الشيخ أبي محمد بن أبي حفص[4]. فأمر بتجهيز جيش كبير و جعل عليه أبا إسحاق بن أبي زكريا الهزرجي[5] .وسار الناصر إلى رباط الفتح في جمادى الآخرة سنة 602هـ/ فيفري 1205م[6].

أما يحيى ابن غانية فقد بلغه في ذلك الوقت أن أهل طرة من بلاد نفزاوة[7] قد خلعوا طاعته فسار إليهم وأطلق الجند عليهم فقتلوا كثيرا من أهلها ونهبوا أموالهم وأطلقوا النار في دورهم[8]. فلما بلغه وصول الجيش إلى بجاية أمر بذخائره وأمواله فأرسلت إلى المهدية لتكون تحت ابن عمه بن الغازي وسار جنوبا ليعد العدة للحرب، وبعد أن بلغه أن الموحدين قدموا بجيوش ضخمة سار إلى

---

[1] العباس بن إبراهيم السملالي، الأعلام بمن حل في مراكش واغمات من أعلام تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1982، الجزء 4، ص 38.
[2] الحميري، المصدر السابق، الجزء2، ص 126.
[3] المراكشي، المصدر السابق، ص225.
[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 263.
[5] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 243.
[6] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين، فارس البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1998، الطبعة 13، ص329. Dominique et Janine Soudrel, dictionnaire historique de l'islam, Presse universitaires de France 1996.p32
[7] **نفزاوة:** قال عنها البكري: على بعد 6 أيام من القيروان وتسمى بالبربرية تاورغى وهي عين كبيرة لا يدرك لها قعر ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها 6 أبواب وجامع وأسواق حافلة وهي على نهر كثير النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة. البكري، المصدر السابق، ص47.
[8] التجاني، المصدر السابق، ص 356، ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص231.

القيروان ثم عدل عنها خوفا من الحصار[1] وسار إلى قفصة حيث اجتمع مع العربان (الأعراب) وأعطاهم رواتبهم على الحرب معه[2].

4 معركة تاجرا

ولما علم الناصر بفرار يحيى إلى قفصة عدل عن طريق تونس وسار إلى لقاء الميورقي، فانتقل الميورقي إلى جبل دمر[3]، وتحصن به ودخل الناصر إلى قفصة ثم سار إلى قابس فعلم أن الميوقي انتقل إلى جبل دمر، فتوجه ‡اصرة المهدية وسيير الشيÑ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفÒ لقتال يحيى[4] في قوة من أربعة آلاف مقاتل[5].

ونزلت قوات الشيÑ أبي محمد في مكان يسمى أم العافية، ولما أشرفت Pوع الموحدين هاله الميورقي أمرها وأراد الفرار غير أن أتباعه شجعوه على الثبات[6] وكان عبد الواحد عارفا Nطة الكر والفر التي ينتهجها العرب لذا أمر رجاله بالتخلÒ من الجمال والعربان[7] وتركيز الهجومات على العرب. والتقى الفريقان في جبل يسمى رأس تاجرا على مقربة من وادي مجسر جنوب شرقي قابس ونشبت معركة طاحنة انجلت في النهاية عن نصر مبين للموحدين.

وŹ إنقاذ والي تونس وافريقية الذي أسره إبن غانية سابقا وغيره من أسرى الموحدين[8]،كما إستولى الموحدون على راية يحيى العباسية السوداء وأمواله وإبله وقد بلغت ‚انية عشر ألفا من أحمال المال والمتاع[9]، وقد تبعث ضخامة هذا العدد على التشكيك فيه إلا أن هذه الثروة تشكل ما Pعه بنوا غانية من عمليات السلب والنهب منذ عشرين سنة، أي منذ احتلالهم لبجاية[10]. كما قتل في هذه المعارك أخ يحيى جبارة، وكاتبه علي بن اللمطي، وعامل له يقال له

---

[1] ميراندا، المرجع السابق، ص394.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص356.
[3] **جبل دمر** قال عنها الإدريسي: يبعد عن جبل نفوسه 3 مراحل في رمل متصل وفي أطرافه قوم من البربر. الإدريسي، المصدر السابق، ص 200.
[4] التجاني، نفس المصدر، ص 356.
[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 135.
[6] نفس المصدر، ص 136.
[7] ميرندا، نفس المرجع، ص 399.
[8] التجاني، نفس المصدر، ص 356. وابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 325. وابن منقذ، المصدر الســابق، ص 104.
[9] ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص 136.
[10] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 246.

الفتح بن محمد، أما يحيى فقد استطاع الفرار في شرذمة قليلة، وكان قد وضع أهله على بعد نحو خمسة فراسخ[1] من المعركة فسار إليهم وأخذهم وفر بهم[2]. ووقعت هذه الهزيمة في 12 ربيع الأول سنة 602هـ / 17 أكتوبر سنة 1205م.(انظر الشكل 3)

وبعدها سار الشيخ أبو محمد للناصر وهو محاصر المهدية وكان الموحدون قد تمكنوا من أسر الأمين الموكل من طرف إبن غانية لحراسة الشيخ أبي زيد (والي تونس الذي أسره ابن غانية)، فطيف به على جمل عالي على المهدية وبيده الراية السوداء التي بعثها الخليفة العباسي لابن غانية، وقام الناصر بتقسيم الغنائم أمام المحصورين بالمهدية إمعانا في إخباء روحهم المعنوية، غير أن حاكم المهدية علي بن الغازي كان جنديا جريئا ومدافعا قوي الشكيمة (من سلالة بني غانية) فبذل جهودا عنيفة لرد المحاصرين وخرج لقتالهم عدة مرات، وفي كل مرة يوقع بهم ويحرق لهم آلات الحصار، حتى اضطر الموحدون إزاء ذلك إلى الإكثار من المنجنيقات وآلات إعداد السلالم والأبراج العالية للإشراف على المدينة ومضاعفة الحشود حولها[3] «وهم مع ذلك مفحشين في السب مكذبين بهزيمة إبن غانية[4]، فلما رأى الناصر منهم ذلك جمع المنجنيقات كلها في جهة واحدة و شدد في قصفها، ومن بداخلها يتجلدون ويبدون التهالك لا يملون حربا ولا قتالا»[5] .

ولكن في النهاية أدرك المحاصرون أنهم هالكون لا محالة إن استمروا على هذا الحال فطلبوا الأمان مقابل أن يخلوا سبيلهم ليلحقوا بيحيى حيث كان[6]، فتم الاتفاق على ذلك. ويبدو أن طول الحصار الذي دام أربعة اشهر وسبعة عشر يوما[7] وبسالة المحاصرين جعلت الناصر يرغب في إنهاء هذا الحصار بأي شكل.

وهكذا خرج علي بن الغازي فضرب اخبيته بقصر قراضة قرب تونس فبات هناك، ثم دعته نفسه للدخول في طاعة الموحدين فبعث إلى الناصر وقال له أطعتك بعدما أصبحت في حكم

---

[1] **الفرسخ**: 12 ألف ذراع والذراع 24 إصبع والإصبع 26 حبة شعير مصفوفة.رفيق العجم، مصطلحات علم التـاريخ العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون ص97.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 357.
[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 266.
[4] المصدر السابق، ص 358.
[5] التجاني، نفس المصدر، ص359 .
[6] نفس المصدر، ص 358. وابن عذارى، القسم الموحدي، ص 287.
[7] ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 104.

نفسي، فاستحسن الناصر ذلك منه وعفى عنه و أحسن إليه[1]. وكان تاريخ هذا الاستسلام في 27 جمادى الأولى 602هـ/11 يناير سنة 1206م[2] ، بينما يروي ابن عذاري أن هذا التاريخ كان في السبت 29 جمادى الثانية سنة 602هـ/10 فيفري 1206م. ويمكن أن يكون قول التجاني اقرب للصحة كونه كان أقرب للأحداث.

وفي 20 جمادى الآخرة غادر الناصر المهدية بعد أن عفا عن جميع من كان بالمهدية من المقاتلين، ثم ارتحل عنها وترك محمد بن يغمور واليا عليها وأمر بترميم أسوارها وتنظيم أمورها[3]. وسار إلى تونس ولما وصل إلى مكان يقال له أبي نصر كتب الرسائل إلى آفاق يبشرهم بالنصر[4]. ودخل الناصر تونس في 1 رجب 603هـ/ 2 فيفري 1207م، ووجه من هناك حملات لردع من بقي من المفسدين والخارجين بقيادة السيد أبو إسحاق ابن المنصور، فخرجت هذه الحملة من تونس في شهر صفر 603هـ/ أوت 1206وسارت هذه الحملة حتى جاوزوا طرابلس، وأغاروا على بني دمر، ومطماطه، ووصلوا حتى آخر جبال نفوسه[5]، وشارفوا سويقة بني مكود[6]، أي حد افريقية والمغرب ثم رجعت الحملة ظافرة.

ولما إعتزم الناصر الرجوع إلى الحضرة احتار فيمن يوليه على افريقية بعد أن أثبت الولاة السابقون عجزهم. و استشار الخليفة الأشياخ فأشاروا عليه كلهم بتولية الشيخ أبو محمد بن أبي حفص الهنتاتي، وفكر الخليفة فلم يجد عوضا عنه، فعرض ذلك على الشيخ أبي محمد فأبى لما رأى فيه من إبعاده عن الحضرة (العاصمة) ومركز القرار، لكن الخليفة أحرجه عندما أرسل له أحد أبنائه يطلب منه ذلك فقبل، ولكنه إشترط أن لا يبقى إلا بمقدار ما يصلح أمر افريقية وقدر لذلك ثلاثة سنين، وان يعرض عليه الجيش فيتخير منه ما يشاء من الرجال، وأنه بعد أن يخرج الناصر فإن له أن يعزل من يشاء ويترك من يشاء، وأن لا يتعقب عليه في عزل أو تولية، فوافق الناصر على كل

---

1 التجاني، المصدر السابق، ص 359. وقد خرج علي مع الموحدين للجهاد في الأندلس فاستشهد في معركة العقاب سنة 609هـ.

2 نفس المصدر، ص 358.

3 ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 359.

4 يحتمل انه فعل ذلك تفاءل باسم المكان (أبي النصر)

5 **جبال نفوسه** قال عنها البكري**:** مسيرة 3 أيام من طرابلس وطوله من الشرق إلى الغرب ستة أيام وفيه أزيد من 300 قرية وفيه أخلاط من العرب والبربر. البكري، المصدر السابق، ص 9.

6 **سويقة بني مكود** قال عنها الإدريسي: بني مكود أو متكود تبعد عن سرت ب 5 مراحل كبار، الإدريسي، المصدر السابق، 294.

شروطه[1]. والواقع أن هذه الشروط كانت على خطورتها ضرورية لاتخاذ القرارات بسرعة ومعاجلة الأخطار قبل استفحالها.

جهود الشيخ أبو محمد في القضاء على ثورة بني غانية

1 إصلاحات الشيخ أبي محمد:

إبتدأ الشيخ أبو محمد حكمه لأفريقية للاملة إصلاحية كبيرة، فقد حرص على إستمالة العرب ليفصل بينهم وبين ابن غانية[2]، واختار أكفأ الرجال للمناصب .أما إبن غانية فقد لبث كعادته ينتظر رجوع الخليفة إلى الحضرة المراكشية ليجمع العرب ويغزو بهم من جديد. لكن الأمر اختلف هذه المرة فقد كان له الشيخ أبو محمد بالمرصاد.

2 معركة نهر شبرو:

فما إن ظهر ابن غانية وبدأ في حشد جموعه حتى سار إليه الشيخ أبي محمد ومعه جيوش الموحدين وبعض القبائل العربية والتقى الجمعان في تبسه قرب واد شبرو، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين دامت يوما كاملا ثم انجلت المعركة في آخر النهار عن هزيمة شنيعة ليحيى إبن غانية ومن معه، وفر ابن غانية جريحا إلى الصحراء. وكانت هذه الهزيمة في 30 ربيع الأول سنة 604هـ/24 أكتوبر سنة 1207م ورجع عقبها الشيخ أبو محمد إلى تونس وأرسل إلى الخليفة الناصر يزف إليه بشائر النصر، ويطلب منه إنجاز وعده بإرجاعه إلى الحضرة، غير أن الناصر إعتذر إليه بانشغاله بشؤون المغرب، راجيا إياه الاستمرار بالنظر في شؤون افريقية وبعث إليه بجوائز سنية[3].

3 اجتياح إبن غانية منطقة تلمسان:

على الرغم من النكبات المتوالية التي مني بها ابن غانية إلا أن اليأس لم يعرف إلى قلبه سبيلا. فأخذ يعد العدة لحرب أخرى، ولكنه فضل هذه المرة تجنب الشيخ أبي محمد وتوغل في المغرب الأوسط قاصدا تلمسان؛ ذلك أن والي تلمسان السيد أبو الحسن استعفى من الخدمة لكبر سنه

---

1 التجاني، المصدر السابق، ص 362.
2 حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 218.
3 ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6 ص 328.

وإلحاح المرض عليه، والظاهر أن قبائل زناته استغلت فرصة مرض الوالي وأخذت تغير على القوافل المارة من تلمسان إلى سجلماسة[1]، فلما جاء الوالي الجديد أبا عمران موسى بن عبد المؤمن اخذ يطوف بأراضي زناته حاثا إياهم على الطاعة وآداء الخراج.

و علم الشيخ أبي محمد بسير ابن غانية إلى تلمسان فأرسل إلى الوالي الجديد ينذره بشأن ابن غانية ويحذره من التعرض له لعلمه بقلة عسكره مقابل عسكر ابن غانية[2]، غير أن قبائل زناته أغرت الوالي الجديد بابن غانية وهونت له أمره بل ووجهوه إلى حيث يلقاه، ومن جهة أخرى أرسلوا إلى ابن غانية يعلمونه بحال أبي عمران وما هو فيه من قلة حذر[3] ، فلبث أبو عمران في حيرة من أمره بين إنذارات أبي محمد وتطمين قبائل زناته، غير أن ابن غانية لم يمهله كثيرا إذ باغته كالسيل الجارف، حتى أن ابن عذارى يروي أن ابن غانية كان كالمنتظر لأبي عمران، وهكذا قتل السيد أبي عمران وأبنائه وكاتبه ونحو ألف وستمائة رجل من رجال الموحدين[4]. واستولى إبن غانية على ما في المعسكر من مغانم. وكان من تمام خيانة قبائل زناته أنهم لاذوا بالصمت ساعة الحرب و تركوا السيد أبي عمران يلاقي مصيره المحتوم[5].

وبالطبع التفت إبن غانية إلى تلك البلاد، التي كانت تظن أنها في مأمن من شره، فانقض على تاهرت[6] ولم يغادرها إلا وهي قاعا صفصفا فكان ذلك آخر العهد بعمرانها[7] وإنطلق العرب يعيثون في كل أنحاء تلمسان، ورصدت كل قبيلة من يبين في المعارك من رجالها للدفاع عنها، وأغلق سكان تلمسان أبواب المدينة خشية أن يكون دأبهم كدأب قابس وباجة وما تاهرت منهم ببعيد.

---

[1] ميراندا، المرجع السابق، ص404.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 330.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 251.
[4] ميراندا، نفس المصدر، ص 404. والمصادر التي وقعت بين أيدينا لا تذكر هذا العدد.
[5] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 252.
[6] **تاهرت** قال عنها الإدريسي: على جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البربر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عـامرة وبأرباضها مزارع وضياع جمة وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن وأما البقر والغنم بها فكثيرة جدا وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة وبمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم وبالجملة فتنها بقعـة حسنة. الإدريسي، المصدر السابق، ص 157.
[7] الآغا بن عودة المزراري، طالع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا إلى أواخر القرن 19، تحقيق يحيـى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، 1990، الجزء 1، ص 140.

أما الخليفة الناصر فقد بلغته تلك الأنباء ا‡زنة فǙغتم لذلك، فما كان يظن الجرأة قد تبلŋ بǙبن غانية إلى هذا الحد، ولو قدر لابن غانية أن يدخل تلمسان لكانت مراكش العاصمة تكاد تكون في متناول يده. وكان أول من هرع لنجدة تلمسان والي فاس أبو زكريا فدخلها وهدأ من روع أهلها، ثم إن الناصر أمر بتجهيز جيش كبير من أهل النجدة والقوة وأمر عليهم الوزير أبو زيد ابن يوجان وسيرهم إلى تلمسان، فلما علم الميورقي بقدومه رأى أن يكتفي بما حققه من مغاƅ فكر راجعا إلى طرابلس[1] .

4 معركة نفوسه

إنتعشت نفس إبن غانية بعد غزوة تلمسان وإعتقد أنه إستعاد مجده أخيرا فقرر خوض معركة أخرى فاصلة مع الشيǸ أبي محمد، فǙتفق مع الشيǸ محمد بن مسعود البلط شيǸ قبيلة الدواودة العربية، وهي من أكبر القبائل الموالية لبني غانية، أن يعاودوا الحرب واستدعوا الأعراب من كل مكان بل وحتى البربر هذه المرة[2]، وكانت هذه الجموع قد بلغها ما أحرزه إبن غانية من مغاƅ كبيرة في غزو تاهرت فجاءت لتضرب لها من المغاƅ بسهم، غير أن عيون الشيǸ أبي محمد وأرصاده أبلغته بعزم ابن غانية فقرر الشيǸ معاجلتهم قبل إستفحال أمرهم، فجمع قواته وخرج من تونس سنة 606هـ/ 1209م وسار جنوبا Ʊو قابس ثم إتجه Ʊو جبل نفوسه حيث كان يحتشد المرابطون وحلفائهم من العرب[3] .

والتقت الفǞتان بجبل نفوسه قرب وادي الدبوس[4]. وعندما بدأت المعركة شد إبن غانية على جناح العرب في جيش الموحدين؛ لعلمه أن العرب قلما يثبتون في المعارك، وفعلا ركن هؤلاء إلى الفرار ومعهم الاغزاز، لكن الشيǸ أبو محمد ثبت في قلب الجيش بل وضرب خيامه وراء الجيش مباشرة ليلغي أي فكرة للتراجع أو الانسحاب، مما كان له أثر كبير في رفع معنويات الجيش وحمله على الاستماتة في المعركة، ثم إن بعض أعراب بني عوف بن سليم تحيزت إلى الموحدين[5] ودارت

---

1 ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 253.
2 ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 331.
3 نفس المصدر، الجزء 6، ص 331.
4 ميراندا، المرجع السابق، ص 406.
5 ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 6، ص 331.

المعركة في النهاية على ابن غانية ومن معه وتبعهم الموحدون يقتلون ويأسرون فريقا في كل مكان، ولولا هبوط الليل لفني جند بني غانية عن آخرهم .

وكانت العرب قد تعاهدوا مع ابن غانية على الثبات في المعركة، ووضعوا أموالهم ونسائهم قرب المعركة مصداقا للعهد، فلما اكتسحهم الموحدون فروا وتركوهم فصارت أموالهم مغنما للموحدين وربات خدورهم سبيا[1]، كما قتل في هذه المعركة العديد من الملثمين وزناته والعرب كعبد الله بن مسعود البلط بن سلطان شيخ الدواودة وابن عمه حركات بن أبي الشيخ وشيخ بن قرة وجرار بن يفرن كبير مغراوة ومحمد الغازي ابن غانية[2]، وكان معظم من هلك من وجوه قبيلة رياح واجوادها. وبلغت غنائم الموحدين للاسب ابن خلدون ثمانية عشر ألف من الخيل[3] مع أن هذا الرقم قد يحمل على التشكيك إلا أن الجموع التي انضمت إلى ابن غانية كبيرة أيضا.

أما ابن غانية فقد فر حزينا يائسا بعد ما تبخرت كل آماله في إحياء دولة المرابطين التي ظل يكافح لأجل إقامتها نحوا من ثلاثين سنة حتى الآن. و بعد هذه المعركة أدرك ابن غانية صعوبة الغزو في أرض واليها الشيخ أبي محمد فلاذ بالسكون حينا.

وللأسف لا تحدثنا المراجع التي وقعت بين أيدينا عن تاريخ هذه الغزوة.

وفي سنة 607هـ/1210م حدث أمران مهمان كانا رديفين لانتصارات الشيخ أبي محمد: أولهما هجر سير ابن إسحاق ابن غانية، أخو يحيى بن غانية، إلى الموحدين، وكان قد خرج معه في غزوة تلمسان ثم انفصل عنها وبلغه أن السيد أبي محمد يطوف ببعض أمراء افريقية فسار إليه وعرفه بنفسه فأكرم الشيخ مثواه وأستأذنه في السير إلى الحضرة فأذن له. أما الحدث الثاني فهو مقتل شيخ زناته أبي عطية وكان من الظالعين مع إبن غانية في غزو تاهرت فأرسل إليه والي تلمسان من إغتاله[4]. مع أن الاغتيال لم يعرف عن الموحدين عادة.

---

[1] المصدر السابق، الجزء 6، ص331. وابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدي، ص 255.
[2] ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 6، ص 331.
[3] نفس المصدر، الجزء 6، ص 332.
[4] ابن عذاري، نفس المصدر، قسم الموحدي، ص 256.

VI ثورة بني غانية في عهد السقوط والاضمحلال

1 بنو غانية في عهد أبي العلاء إدريس

توفي الخليفة الناصر سنة 610هـ/1213م مخلفا على الحكم ابنه المستنصر الذي لم يكن عمره يتجاوز عشر سنوات. فقام الخليفة الجديد بإرسال أبي العلاء إدريس[1] إلى تونس أميرا على قصبة تونس مع الشيخ أبي محمد، مما ساء الشيخ أبو محمد ونظر إلى هذا الفعل كتنكر لكل الخدمات الجليلة التي قدمها للدولة الموحدية.

وفي 5 محرم سنة 618هـ/7 مارس 1220م توفي الشيخ أبو محمد، فاختلف شيوخ الموحدين بين تولية ابنه عبد الرحمن و عمه الشيخ إبراهيم بن إسماعيل ثم استقر رأيهم على ابنه، غير أن الخليفة الجديد المستنصر ولى مكانه أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن اخو يعقوب المنصور[2].

أما إبن غانية العائذ بصحراء ودان فلم يكن يرقب سوى هذه الفرصة، ففي السنة الموالية لوفاة الشيخ أبي محمد مباشرة ظهر من جديد في عناد وإصرار عجيبين. وهب السيد أبو العلاء إدريس فسار إلى قابس ونزل قصر العروسيين حتى لا تسقط في يد ابن غانية، وبعث ولده السيد أبا زيد إلى غدامس[3] لضبطها ومنع دخول ابن غانية إليها، كما أرسل عسكرا آخر لودان. غير أن العرب من أتباع ابن غانية اعترضوا سبيل الجيش الموحدي، وكان ابن غانية قد بذل لهم المال الوفير لهذا الغرض[4]، فاستطاع ابن غانية الفرار إلى الزاب[5] ،وسار السيد أبو زيد من غدامس مسرعا للحاق بابن غانية، لكن ابن غانية نجح في الوصول إلى بسكرة فأطاعه أهلها خوفا أن يفعل بهم مثلما فعل بهم من قبل[6]. وعندما علم ابن غانية بقدوم أبو زيد إليه فر إلى الصحراء ودخل السيد أبو زيد إلى بسكرة وعاقب أهلها بالنهب والتخريب جزاء لهم على طاعة ابن غانية.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 332.
[2] نفس المصدر، الجزء6، ص333.
[3] **غدامس** قال عنها البكري**:** مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه وأهلها بربر مسلمون وبـين جبـل نفوسـه 7 أيـام فـي الصحراء. البكري، المصدر السابق، ص 189.
[4] ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 6 ص 333.
[5] **الزاب** قال عنها الإدريسي**:** الزاب أو طبنة مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطـة والشـعير عليها سور من تراب وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرف في ضروب التجارات والتمـر بهـا كثير.الإدريسي، المصدر السابق، ص 165.
6 راجع احتلال يحيى ابن غانية الميورقي لباقي أجزاء افريقية على الصفحة 37

ثم إن ابن غانية عاود الكرة مرة أخرى فجمع أخلاطا من العرب والبربر فسار إليهم السيد أبا زيد ومعه عرب هوارة وعلى رأسهم بعرة بن حناش ونزل السيد أبو زيد في القيروان، غير أنه علم أن ابن غانية ظهر قرب تونس فسار إليه والتقوا بمكان يسمى مجدول ونشبت معركة ضارية أبلت فيها هوارة وشيخها بلاء حسننا حتى انه لما حمي وطيس المعركة ضرب الشيÑ بعرة خيامه حتى يلغي أي فكرة للتراجع، وانجلت المعركة في النهاية عن هزيمة كاسحة لابن غانية ومقتل الكثير من أصحابه، وقد حدثت هذه المعركة في مستهل 621هـ/1223.

2 إستقلال أبو زكريا بافريقية

وفي هذه الأثناء بلŋ السيد أبو زيد وفاة أبيه، فسار إلى تونس ليشغل منصب qمارة سنة 620هـ/1223م، واستمر في منصبه حتى أقاله الخليفة العادل سنة 623هـ/1226م. وأرسل مكانه عمه موسى بن إبراهيم بن إسماعيل ليتولى الحكم حتى يصل الوالي الجديد وهو أبو محمد عبد الله بن الشيÑ أبو محمد بن عبد الواحد(والي افريقية السابق). وفي 17 ذي القعدة سنة 623هـ/ 9 نوفمبر 1226م دخل الوالي الجديد تونس، وولى على قابس أخاه الأمير أبو زكريا، وعلى الحمة وبلاد الجريد أخاه أبا إبراهيم، فكان ذلك بداية ظهور سلطان بني حفÕ بأفريقية[1]. ويروي ابن عذاري أن الأمير أبا زكريا جاء مع أخيه عبد الله كوالي على افريقية، بأمر من الخليفة الموحدي المأمون، فلما بلŋ الأمير أبا زكريا تصريح المأمون بلعن المهدي ابن تومرت و قتله لشيوخ الموحدين الذين حاولوا نكث بيعته[2] راود أخاه وبعض شيوخ الموحدين في qستقلال بأفريقية فرفض أخاه فلما أÎ أبو زكريا غضب عليه أخاه والزمه داره عقابا له.

وإغتاû أبو زكريا من فعل أخيه ففر إلى قابس واجتمع مع كبيرهم الشيÑ ابن بكي وعرض عليه ما عرض على أخيه (الاستقلال عن الموحدين)فوجد عنده كل القبول والتأييد، وسرعان ما أعلن أبا زكريا qستقلال في قابس وبلŋ أهل تونس ذلك فبعثوا إليه ببيعتهم وكان أبو

[1] السيد عبد العزيز سالم، المغرب العربي الكبير دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، 1981، بيروت لبنان. ص 418.

[2] **المأمون:** خليفة موحدي اظهر البراءة من المهدي وسبه في المنابر وإتهمه بالدجل بدا في عهده ترنح الدولة الموحديـة جليا. انظر محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 233.

عبد الله إذ ذاك قد خرج إلى القيروان فطالبه الجند بالبركة[1] فتلكأ عبد الله فهجم عليه الجند في خبائه وكادوا يقتلونه لولا أنه استطاع الفرار إلى مراكش، فانتهز الأمير أبو زكريا الفرصة، و سار إلى تونس فدخلها وأعلن الاستقلال بافريقية، وقطع الدعاء للموحدين وأبقاه للمهدي ابن تومرت فقط[2] . ويمدنا الزركشي برواية أخرى عن كيفية تمكن السلطان أبو زكريا في افريقية إذ يقول أن المأمون لما اظهر براءته من المهدي امتنع أبو محمد عبد الله والي أفريقية عن مبايعته فأرسل الخليفة إلى أبي زكريا يحيى بالولاية على افريقية مكان أخيه وحاول محمد تجهيز حملة للتصدي لأخيه غير أن عسكره انفض عنه إلى أخيه ودخل أبو زكريا تونس وسجن أخاه في 24 من رجب سنة 625هـ/29 جوان 1228م، ثم صرف الولاة الذين بعثهم المأمون. وفي سنة 627هـ/1229م أعلن أبو زكريا خلع طاعة الموحدين[3] وفي سنة 628هـ/1230هـ زحف أبا زكريا على قسنطينة وبجاية ودخلها وقبض على الولاة الموحدين فيها وأرسلهم إلى تونس مصفدين.

3 نهاية ثورة بني غانية

كان ابن غانية على عهده القديم يرقب أي فرصة سانحة للانقضاض، لذا كانت القلاقل التي حدثت في تونس عاصمة افريقية هي كل ما ينتظر، ففي أواخر سنة 623هـ/1226م سار نحو قسنطينة، ثم إلى بجاية، ثم غادرها إلى تدلس[4]، و إتجه غربا نحو متيجة[5] ومنازل زناته وهو يعيث الخراب أينما حل[6] وقتل أمير مغراوة منديل بن عبد الرحمن، في واجر بين متيجة ومليانة، وصلبه في الجزائر لما حاول التصدي له وهب الشيخ أبو محمد عبد الله على عجل لمطاردته في سنة 624هـ/1226م ،فأوقع بوارة التي كانت ضالعة مع ابن غانية في عيثه، وقبض على زعمائها وأرسلهم مصفدين إلى المهدية، ثم سار إثر إبن غانية فدخل إلى بجاية وسكّن من حالها، و سار إلى

---

[1] **بركة الجيش:** هي عبارة عن هبات مالية ومادية تعطى للجيش زيادة عن رواتبهم المعتادة لتقوية نفوسهم على الحرب كإقامة المآدب وتوزيع الكسى والأموال. عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، طبعة الثالثة، بيروت1987 ص 124.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 292 وما بعدها

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 107.

[4] **تدلس:** قال عنها الإدريسي: مدينة لها سور حصين وديار ومتنزهات وبها رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها وبها الغنم والبقر موجود كثيرا وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق الإدريسي، المصدر السابق، ص 160.

[5] **متيجة** قال عنها البكري: بها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك النواحي كتانا ومنها يحمل وفيها عيون سايحة وطواحين و ماء. البكري، المصدر السابق، ص66.

[6] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 376.

مليانه، غير أن ابن غانية فر إلى الجزائر ودخلها ونبها، ثم فر إلى الجنوب الغربي حتى وصل أحواز سجلماسة من المغرب الأقصى فعدل عن ملاحقته ورجع إلى تونس سنة 624هـ/1226م.

ولما استولى الأمير أبو زكريا على الحكم شمر ساعد الجد للقضاء على ابن غانية، فلم يبقى ما يعكر صفو ملكه الجديد إلا هو. فأنشأ لذلك محاربين في مختلف الحدود لمراقبة تحركاته وحسمها من أول وهلة، وبالرغم من هذا فقد واصل ابن غانية حربه في إصرار وعناد عجيبين، وبقي يجول في الصحراء يوالي الغارات على مختلف المدن من سجلماسه في الغرب إلى سويقة بني مكتود في الشرق(انظر الشكل 4)، ولكنه أصبح وحيدا شريدا و قد قتل أكثر آله و صحبه وفر عنه من بقي حيا. فكان يستعمل الجند فإذا ملوا الخدمة معه تركهم لحال سبيلهم، حتى توفي سنة 631هـ/1233م أو 633هـ/1235م قيل في بوادي الرجوان قبلة (جنوب) الاربسن، وقيل بجهة مليانة من وادي الشلف، ويقال بصحراء باديس[1] مديد من بلاد الزاب[2]، وقيل في البرية من قطر تلمسان[3]، وبذلك أسدل الستار على ثورة بني غانية إلى الأبد.

---

[1] **باديس:** قال عنها البكري: حصنان لهما جامع وأسواق وبسايط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سايحة. كثيرة البكري، المصدر السابق، ص 73.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص634. وحول الزاب انظر ص 51 هامش رقم 5
[3] ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 18.

خريطة حرب بني غانية

أ- أوضاع المغرب و افريقية قبل ثورة بني غانية:

1. قيام الدولة الموحدية:

لقد كانت الدموية الكبيرة التي نشأت بها الدولة الموحدية سببا يحمل في طياته الكثير من الثورات ضدها فقد عرف عن عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية أنه كان كثير السفك لدماء المسلمين ولو على الذنب الصغير[1]، هذا مع أتباعه، فما بالك بمن هم أعداءه في المذهب والسياسة.

وعندما حاصر عبد المؤمن مراكش عاصمة المرابطين، الحصار الذي أسقط فيه دولتهم، كانت مراكش تعج بمختلف القبائل المرابطية، فطال الحصار حتى بقي أكثر من تسعة اشهر، و نفذت أطعمة المرابطين حتى أكلوا دوابهم ومات نحو مئة وعشرون ألف[2] من الجوع، وعندما تمكن الموحدون من اقتحام المدينة اعملوا السيف في كل من وجدوه فيها[3] حتى بلغ عدد القتلى من المرابطين نيف وسبعين ألفا ، وقتل الموحدون كل أمراء المرابطين ومن بينهم أميرهم إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين غير عابئين بصغر سنه ولا بتوسلاته واسترحاماته، أما أميرات المرابطين فقد بيعت إماءا في الأسواق[4]، ناهيك بما فعلوه في فاس ومكناس[5] من قبل، صحيح أن الدول لا تنشأ عادة إلا بهذه الطريقة إلا أن هذا الكلام لا يعزي المرابطين وبني غانية في من قتل من ذويهم.

فلا غرابة إذن أن يرفض بنو غانية طاعة الموحدين رفضا قاطعا، بل وينقلبوا على أخيهم محمد لما حاول قبولها، ولولا أن إسحاق بن غانية اختار سياسة المهادنة مع الموحدين لكان يحتمل أن تبدأ ثورة بني غانية مباشرة بعد دخول الموحدين مراكش. ولا غرابة أيضا أن يستميت بنو غانية في القتال عشرات السنين. و هذا يفسر لنا الوحشية الكبيرة التي اعتمدها بنوا غانية في حربهم؛ كما في قفصة عندما أوهم علي ابن غانية الجرحى من جند الموحدين بالأمان ثم قتلهم بتلك الطريقة

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 115.
[2] الحلل الموشية، ص137.
[3] نفس المصدر، 139.
[4] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 28، و ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 393.
[5] **مكناسه** قال عنها الإدريسي: هي المسماة تاقرت وهي الآن باقية على حالها لم يدركها كبير تغير وهي مدينة حسنة مرتفعة على الأرض يجري بشرقيها نهر صغير عليه أرحاء و تتصل بها عمارات وجنات وزروع. الإدريسي، المصدر السابق، ص 146.

الشنيعة، فكأن ابن غانية يجد لوحشيته تبريرا، من أن فعله هذا من جنس ما فعل الموحدون بآبائهم من قبل.

2. الدول التي أسقطها الموحدون ودورها في ثورة بني غانية:

لم يكن اختيار بني غانية لافريقية من باب الصدفة، فقد كانت هذه المنطقة مثـار القلـق الدائم للخلفاء الموحدين، بل وعبر تاريخ المغرب الإسلامي[1]. وفي عهد الدولة الموحدية سار الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة 546هـ/1151م إلى افريقية وأسقط الدول التي وجـدها هنـاك وضمها إلى دولته. كما أرسل عبد المؤمن ابنه عبد الله إلى القلعة، موئل حكم بني حمـاد القـديم، وكان قد تحصن بها الكثير منهم، فدخلها وارتكب مجزرة مريعة قتلوا فيها نحو ثمانية عشر ألفـا[2]. وحاولت جموع من قبائل صنهاجة وغيرها بقيادة رجل منهم يقال لـه أبـو قصـبة التصـدي للموحدين، لكن الموحدين هزموهم شر هزيمة وغنم الموحدون أموالهم وسبوا نساءهم[3].

فهذه الوقائع تفسر لنا العديد من الحوادث التي جرت في غزوة بجاية، فالصنهاجيون وعلى رأسهم بنو حماد دخلوا مكرهين في طاعة الموحدين إلا أن قلوبهم بقيت تكن حقدا شديدا علـيهم، فالتقت آمالهم مع آمال بني غانية، فكانوا لهم قبل الغزو عيونا وبعد الغزو أدلاء وأنصارا، وهـذا يفسر لنا كذلك كيف ظهرت شخصية غزى الصنهاجي مع أخيه اللذان حاولا استعادة آشير، فهو صنهاجي يريد استعادة ملك آبائه من غاصبيه، و اختيار آشير بالذات له دلالة خاصة لأنها كانـت مدينة هامة من مدن الدولة الحمادية[4].

ولنفس هذه الأسباب نجد قفصة وبلاد الجريد سرعان ما احتضنت ثورة بني غانية، علـى الرغم من أن هذا الأمر كان وبالا عليها في العديد من المرات، فقد كانت قفصة تحت حكم بـني الرند حين جاءها عبد المؤمن بن علي سنة 554هـ/1159م فضمها إلى مملكته ونقل بني الرنـد إلى

[1] مثل شخصية كسيلة التي كانت سببا في مقتل الفاتح الأول عقبة بن نافع، والكاهنة التي أضاقت العرب هزائم عدة قبل أن يهزموها، وثورات الخوارج في المغرب، ووقعة الأشراف وبقدورة التي قتل فيها خيرة رجال الجيش الأموي، والدولة الفاطمية التي قامت بثورة في افريقية وكادت تسقط بدورها بثورة صاحب الحمار التي قامت في افريقية أيضا، وأخيـرا ثورة بني غانية التي كانت من أسباب سقوط الدولة الموحدية العتيدة. انظر السيد عبد العزيز سـالم، المرجـع السـابق، ص20 وما بعدها. الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (ق3 و 4هـ/ 9-10م)، الدار التونسية لنشر. والشركة الوطنية لنشر والتوزيع الجزائر.

[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 144 وما بعدها.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 5، ص 490.

[4] عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص125 وما بعدها.

بجاية، وحدث أن الوالي الموحدي على قفصة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أساء السـيرة وبغى وظلم، فثاروا عليه وقتلوه وأعلنوا خروجهم عن الطاعة ثم أرسلوا إلى حكامهم القدامى بـني الرند يدعونهم ليعدوهم للحكم من جديد[1].

وبلغت هذه الأنباء الخليفة فعزم على سحق هذا التمرد في تلك المنطقة النائيـة، وحشـد لذلك جيشا ضخما، حتى أن المراكشي يذكر أن البركة[2] كانت تعطـى للجـيش ألـف ألـف دينار(مليون) في كل مرة، سوى الأعلاف والمرافق، وحتى أن الخليفة صلى عيد الأضحى في الطريق من شدة العجلة، وعندما وصل إلى قفصة حاصرها حتى طلب أهلها الأمان. فدخلـها الخليفـة في رمضان 576هـ/ جانفي 1181م[3] فأمنهم ولكنه اخذ بني الرند وعلى رأسهم ابـن الطويـل إلى مراكش[4]،فقد كان الخليفة يحسب حساب ما حدث في ثورة بني غانية فيمـا بعـد؛ أي أن يغتـر الثائرون بنأي المسافة ويظنون أنهم في منعة من جيوش الموحدين، فأسرع إليهم الخليفة ليثبت لهم أنه اقرب إليهم مما يتصورون.

فلم يكن قصد بني غانية لبلاد الجريد إذن من باب الصدفة، بل لعلمهم أنها مرتع الثـوار الخصب على الدوام. بالإضافة إلى غناها بالنخيل ولتألف الثورات، وقربا من الصحراء التي كانت الملاذ الآمن فيها بنو غانية في كل مرة يهزمون فيها .

3. العرب وبنو غانية:

على الرغم من مرور نحو مئة وثلاثون سنة من حلول الأعراب على أفريقية إلا أنهم كانوا لا يزالون على عيثهم وفسادهم، حتى أن كثير من القبائل والحكام أعطوهم إمتيازات واسعة إتقـاء لشرهم، فلما غزا عبد المؤمن افريقية خشي الأعراب على سلطانهم فقرروا التصـدي للموحـدين واستطاعوا هزم إحدى الجيوش الموحدية وقتل قائد الحملة، فاستشاط عبد المؤمن غضبا وقرر قيادة حملة بنفسه ضد العرب وأوقع بهم بوادي الأقواس في نواحي سطيف[5] في ربيع الأول سنة 548هـ/

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 5، ص340.
[2] انظر بركة الجيش، ص 53 هامش 1.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 136.
[4] ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء 5، 340.
[5] **سطيف** قال عنها البكري: مدينة كبيرة جليلة أولية كان عليها سور خربته كتامة مع عبد الله الشيعي لأنها كانـت فـي الأول لكتامة ثم غلبتها عليها العرب فكانوا يعشرونهم إذا دخلوها وهي اليوم دون سور لكنها عامرة جامعة كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار وبينها وبين القيروان 10 مراحل. البكري، المصدر السابق، 76.

ماي 1153م[1]، وكان من هؤلاء العرب المهزومين عرب الاثبج والرياح وزغبة وقرة، وغيرها من القبائل التي سيكون لها باع كبير مع ثورة بني غانية.

وحاول عبد المؤمن في حملته الثانية على افريقية أن يستغل الروح الحربية في الجهاد في الأندلس، فاستطاع بعد لأي[2] أن يجهز منهم حملة كبيرة للجهاد في الأندلس، إلا أن ولاءهم للدولة الموحدية ظل مضطربا مشكوكا فيه على الدوام حتى أن عبد المؤمن أوصى إبنه وخليفته يوسف بان يواصل حشد الأندلس بالعرب للتخلص منهم.

وفي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لم يقم العرب بثورات كالتي كانت في عهد أبيه لكنهم لم يلوذوا بالطاعة مطلقا، حتى أن ثوار قفصة [3]حاولوا الاستعانة بالعرب[4]، مما يدل على أن نيات الخروج لا تزال متقدة في نفوسهم على الرغم من أن الخليفة نكبهم على ذلك منذ زمن ليس ببعيد، فظلوا يقطعون الطرق ويشغبون على الحكام وعندما أراد الخليفة الخروج للجهاد في الأندلس ألح عليه عمال افريقية أيضا في القدوم بسبب اشتداد عيث الأعراب لولا أن أشياخ الموحدين أشاروا عليه بالسير للجهاد في الأندلس[5] لما فيه من الشرف العظيم.

ومما يرويه المراكشي في هذا أنه قبل وقت قليل من غزو بني غانية لبجاية «ظهر من العرب فساد في بعض أنحاء افريقية، فخرج إليهم والي بجاية أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن وأخوه علي بجيش من المصامدة لتأديبهم، غير أن العرب هزمتهم وأخذتم أسيرين» [6]ثم أرسلوا إلى الخليفة الموحدي نفسه يطلبون فدية قدرها ستة وثلاثين ألف مثقال لقاء تحرير الواليين، غير أن الخليفة خشي أن يستجيب لهم فيتعودوا على ابتزازه، فضرب لهم دنانير من النحاس المموه بالذهب، وفعلا

---

[1] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تحقيق محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، 1995.الجزء 2، ص323.

[2] أرسل عبد المؤمن يذكرهم بمآثر العرب الآوئل في الجهاد و يحثهم على الإقتداء بهم و أن يجهزوا له 10 آلاف فارس للجهاد في الأندلس، وتظاهر العرب بالقبول، بل واقسموا على الطاعة، لكن ما إن وصولوا إلى جبل زغوان-أي في مرحلة ركوب البحر إلى الأندلس- حتى فروا تحت جنح الظلام. فغضب عبد المؤمن ورجع على أثره للعرب والتقى الفريقان قرب جبل القرن جنوب القيروان، فكانت الدائرة على العرب في منتصف ربيع الآخرة سنة 555هـ /1160م واستولى الموحدون على حريمهم ومتاعهم. وكان من حسن تدبير عبد المؤمن أن أمر بحفظ حريمهم وانتظر حتى جاءته وفود العرب تطلب حريمهم وأولادهم فردهم إليهم، وفرق عليهم صلات جزيلة، فاستمالهم بحصن صنيعهم وجهز منهم قوة أرسل بها إلى قرطبة واشبيلية وشريش من بلاد الأندلس للاشتراك في الجهاد ضد النصارى هناك. ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 12، ص 35. ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 63.

[3] راجع الدول التي أسقطها الموحدون ودورها في ثورة بني غانية ص 57.

[4] انظر العرب وبنو غانية ص 59.

[5] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 302.

[6] المراكشي، المصدر السابق، ص 193.

انطلت الحيلة على الأعراب ولم يعلموا بالخدعة إلا بعد إطلاق سراح الواليين، مما جعلهم يحقدون على الموحدين ويسعون للانتقام. وحدث أن أحد هؤلاء الولاة كان في بجاية عندما غزى بنو غانية بجاية فأسر هذا الوالي التعيس مرة أخرى من طرف بني غانية مما شكل عامل تقارب بين الأعراب وبني غانية علهم يستعيدون أسيرهم.

فيظهر جليا أن الصراع بين الموحدين والعرب كان على أشده منذ أول وهلة وطأ فيها الموحدون افريقية، وأن هذا الصراع بلغ في بعض الأحيان معارك طاحنة كما في معركة سطيف التي دامت يوما وليلة، فهذا إذن يفسر لنا كيف أن ابن غانية لقي كل التأييد والنصر من الأعراب.

وهناك أيضا طوائف أخرى انضمت إلى حزب بني غانية لنقمتها على الموحدين كبعض قبائل البربر مثل قبائل زناتة التي إشتركت في قتل والي تلمسان أبي عمران، والملاحظ أن هذه المنطقة كانت تعيش نوعا من التبرم من سلطان الموحدين وقد رأينا أن يدر بن عائشة الذي دخل بجاية أول مرة مع بني غانية[1] لما أراد الفرار من مليانه استجار ببعض القبائل هناك فأجاروه بل واستماتوا في القتال معه مع أنه دخل البلاد أول مرة...؟! فلعل فعلهم هذا نابع من تبرمهم من طاعة الموحدين وتوقهم لليوم الذي يتحررون منه. وكما قال الأستاذ يوسف أشباخ «سرعان ما يمل البربر أي حكم»[2].

ونستخلص من هذا أن كل الطوائف التي كانت موجودة في أفريقية قبل ثورة بني غانية كانت تكن للموحدين كرها شديدا و تتحين الفرصة للانقضاض عليهم، لذا فليس غريبا أن يجد بنو غانية كل هذا التأييد والنصرة على الرغم من أنهم وطئوا هذه البلاد أول مرة في حياتهم، وليس من باب الصدفة أيضا أن يقصد بنو غانية بجاية بالذات ثم بلاد الجريد.

II- مراحل ثورة بني غانية:

1. مرحلة علي بن غانية:

تبدأ هذه الفترة من غزو بني غانية لبجاية في 6 من شهر شعبان 580هـ / 13 نوفمبر 1184م إلى وفاة علي بن غانية بعد معركة الحمة في 9 شعبان 583هـ / 15 اكتوبر1187م. وقد اتسمت هذه المرحلة بسمات خطيرة كان لها تأثير بالغ على جميع المراحل التالية. أولها أن الموحدين

---

[1] انظر دخول بني غانية بجاية ص 15.

[2] يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 403.

الذين كانوا قد بلغوا أقصى قوتم أخذهم الغرور و أهملوا تفقد تحصيناتم وبث العيون على أعدائهم، حتى أن ابن الأثير يروي أن والي بجاية عندما خرج إلى مراكش «خرج ولم يترك فيها جيشا ولا ممانعة لعدم وجود عدو يخاف منها، فجاء الملثم ولم يكن في حسابه انه يحدث نفسه بذلك»[1]؛ فمن ذا الذي ستحدثه نفسه بمهاجمة امبراطورية الموحدية العظيمة فكان هذا الغرور العامل الأساسي في تيسير الغزوة.ومن ذلك المراسلات التي تمت بين بني حماد وبني غانية دون أن يتفطن لها الموحدون، فانه لمن الصعب تقبل فكرة أن خلوا بجاية من أي والي أثناء غزوة بني غانية كان مصادفة بل كان ذلك بإعلام من بني حماد بلا شك.

وكذلك يظهر تاون الموحدين في ترك بجاية خالية من أي حامية تحميها أو وال أو من ينوب عنه مع أن البلد ساحلي وهو معرض أكثر من غيره للغزو الخارجي[2]، ويروي ابن عذارى كيف كان اثر غياب القائد في فشل الناس في رد ابن غانية عندما نزل جيش الميارقة إلى الساحل وكشفوا نية الغزو «...فهبط لمحاربتهم أخلاط من الناس، من غير قائد يجمعهم، كالشلف من العدة، كسالى من الضعف والوحدة... وعندما اجتمعت تلك المقاتلة(جيش بني غانية) في البر... أرسلوا عليهم سحابا من القسي العاقرة، وحرابا كالمنايا الماطرة، فشقتهم عن آخرهم...فسهلوا بالحديد توعرهم ورأو في الحين تيسرهم فاستولوا على البلد بأسره[3] » بعد قتال غير كثير[4].

وكذلك انقلاب الأعراب على والي بجاية في وقعة باميول؛ فمن الصعب تقبل فكرة أن ينظم الأعراب إلى بني غانية هكذا من تلقاء أنفسهم، فمن الذي يضمن لهم أن يكون بنو غانية اشد وطأة عليهم من الموحدين ومن أين يعرف الأعراب بني غانية حتى يميلوا إليهم، بل كان ذلك بتفاهم مسبق بلا شك. مما يدل على أن بني غانية خططوا لكل شيء بدقة كبيرة والموحدون في غمرتم ساهرون.

كما كانت السهولة الكبيرة التي تم بها استرجاع المدن المحتلة في ما بعد سببا في أن يقع في خلد الموحدين أن بني غانية ما هم إلا شرذمة قليلون انتهى أمرهم بمجرد توغلهم في القفار فأهملوا تتبع تحركاتم فكان ذلك عاملا أساسيا ساعد بني غانية في جمع الجموع وغزو البلدان حتى كادوا أن يستولوا على كل افريقية، وعلى الرغم من إسراع الموحدين للقائهم فيما بعد إلا أنم لم يقدروا

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 12، ص 507.
[2] علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، الأردن 2003 ص167.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 176.
[4] المراكشي، المصدر السابق، ص190.

خطرهم حق قدره فعوض أن يباغتوا عدوهم أشار أشياخ الموحدين على المنصـور بالـذهاب إلى تونس "للاستراحة" أولا من وعثاء السفر، فاستغل الميورقي هذه الفترة فأكمل إستعداده للحـرب كما يجب، فما هي إلا أن التقى الجيشان حتى كأنما سلم الموحدون رقابهم لبني غانية يقتلونهم كيفما يشاءون.

كما كان للخلاف الذي وقع بين قادة الجيش دور هام في خسارة الحمة؛ إذ أنـه حـال دون أن يحارب الجيش وفق خطة منسقة[1]، فيروي إبن عذاري أن الجيش الموحدي حينما وصل إلى ميدان المعركة كان لا يزال متعبا يعاني من العطش إذ يقول «وساروا على ريقهم معظم طـريقهم، معيين غير شاكين، والحمولة ناحية منهم موسقة بأثقالهم، لم يحط لها حزام ولم يرخ لراحلة منـها زمام»[2] كما يرى بعض المؤرخين أن تعداد الجيش الذي يقدر بستة آلاف أصلا غير كاف بالنظر إلى الجموع الكبيرة التي حشدها ابن غانية [3] .كما يروي ابن الأثير أن جماعة من الترك كانوا مـع الموحدين خانوا الجيش الموحدي وأدلوا بعوراته إلى بني غانية.

لكن بعد هزيمة عمرة الشنيعة انتبه الموحدون للخطر الداهم، فهب المنصور لقيادة الجيش بنفسه هذه المرة، رافضا أي عرض من الأشياخ من النأي بنفسه عن خطر الحرب. وعند انتصـاره في المعركة عجل بالسير مباشرة للمدن الأخرى المحتلة حتى لا يعطي لابن غانية أي فرصة للم شملـه من جديد، وكيف أن أهل قفصة الذين تظاهروا بالصمود في أول يوم من أيام الحصار سرعان مـا خرجوا في نفس ليلة ذالك اليوم راجين الصفح وطالبين الأمان لما رأوا من عزم المنصور الأكيد على الفتك بهم إن هو دخل ديارهم عنوة.

وكان من سوء حظ الموحدين أنه صادف دخول بني غانية بلاد الجريد وصول شخصـية أخرى لا تقل عنهم عزما ومضاء وهي شخصية قرقوش الغزي، فقد تستر قرقوش بالولاء للعباسيين "وإيمانه" بأحقيتهم في الخلافة ليخفي أهدافه الحقيقية وهو تأسيس ملك له يكون له وراثة في عقبه، فجمعت تلك الأهداف المعلنة بين بني غانية والاغزاز، مما زاد الطين بله.

---

[1] ميرندا، المرجع السابق، ص322.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 188.
[3] المطوي، المرجع السابق، ص33.

كما عرفت هذه المرحلة إعادة إحياء الدولة المرابطية رسميا عندما أرسل علي بـن غانيـة وزيره البارع ابن الفرسان إلى الخليفة العباسي يطلب فيه خطاب السلطنة، فولاه الخليفة العباسـي على كل ما كان تحت المرابطين من قبل، وبذلك أضفى ابن غانية على ثورته صبغة شرعية.

2. مرحلة يحيى بن غانية الأولى:

تبدأ هذه المرحلة من مقتل علي بن غانية بعد معركة الحمة في 9 شعبان 583هـ / 15 اكتوبر1187م إلى معركة تاجرا التي هزم فيها بنو غانية بقيـادة يحـيى في 12 ربيـع الأول سـنة 602هـ / 17 أكتوبر سنة 1205م. وفي هذه الفترة بلغ بنو غانية أوج قوتهم، حيث امتد سـلطانهم إلى بسكرة و بونه أي معظم بلاد افريقية، ولم يخرج من يدهم سوى قسنطينة وبجاية وما وراءها من الأعمال.

وامتازت هذه المرحلة بتغير زعامة بني غانية حيث أنهم بعد مقتل علي بايعوا أخاه يحيى لما رأوا من شجاعته ونجدته[1]، ومن جهة الموحدين توفي الخليفة المنصور سنة 595هـ/1198م وخلفـه ابنه الناصر.

وكان عيث بني غانية قد بدأ يظهر من جديد في آخر عهده، لكن المنصور شغل بمدافعة النصارى في الأندلس، ثم أن المنية عاجلته فلم يستطع أن يسير مرة أخرى لافريقية، وعندما تـولى الخليفة الجديد الحكم، كان عمره سبعة عشر سنة وهي سن لا تسمح له بخوض الحـروب كـالتي كان يخوضها أبوه. فإذا علمنا أن ظهور الميورقي من جديد كان ابتداء من سـنة 590هـ/1193م حينما أرسل والي افريقية يستنجد بالمنصور وإذا كانت معركة تاجرا وقعت سنة602هـ/1205م فيعني هذا أن قدوم الموحدين جاء بعد اثنا عشر سنة من ظهور بني غانية من جديد، مما يعطينا فكرة عن المتسع الكبير الذي حظي به بنو غانية لينفذ مشاريعه التوسعية دونما خطر جسيم يهددهم.

كما امتازت هذه المرحلة أيضا بإظهار الحلفاء القدامى -المؤمنين بأحقية الخلافة العباسية- لنواياهم الحقيقة وهي الطمع في الملك والسلطان، فعندما خلا لهم الجو بقلـة الحاميـة الموحديـة وضعف الولاة، سعى بنوغانية وقرقوش إلى توسيع رقعة نفوذهم فتصـادمت مصـالح الطـرفين

---

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 194.

خصوصا حينما سعى قرقوش إلى مد نفوذه إلى بلاد الجريد، فكان أن ارتكب قرقوش عدة أخطاء فادحة[1] أدت في النهاية إلى قتله.

فعندما جاء قرقوش أول مرة إلى بلاد افريقية سعى إلى استمالة أهالي البلـدان المفتوحـة بنشر العدل والأمن بين الناس، لكنه لما بدأ يستعين بالأعراب ليوسع رقعة نفوذه اضطر إلى تكليف الرعية أكثر من طاقتها من المغارم فأبغضته الناس لهذا[2]، مما أفقده سندا هاما في الحكم وهو رضـا ا‡كومين عن حاكمهم، وفعلا تمكن قرقوش من توسيع رقعة نفوذه، لكن بعد حملة المنصور علـى افريقية والنكبة الكبيرة التي مني بـا في ماله وأهله ورجاله احتاج إلى أموال جديدة لينفق منها علـى حروبه الجديدة، فجمع شيوخ العرب ثم غدر بـم وقتلهم طمعا في ثرواتـم[3] فكان هذا الفعل أكـبر خطأ إرتكبه قرقوش لما للأعراب من قوة و أنـم لن يهدأ لأبنائهم بال حتى يثأروا لآبائهم، ولو أنـه استمالهم واستعملهم في حروبه لغنم أكثر مما سلبه أضعافا مضاعفة.

أما ابن غانية فانه بالطبع لم يكن يرقب سوى هذه الفرصة؛ فجمع أبناء الأعراب وساروا إلى قرقوش على عجل واستماتوا في حصاره لا طمعا في المغاbم هذه المرة بل انتقاما ممن قتل آبائهم. فسلم قرقوش في النهاية بعد أن فرŋط في كل من يمكن أن يلجأ إليه.

و بعد أن Ǒlơ ابن غانية من قرقوش بدا للعيان أن الجو خلا لبني غانية من أي منـافس، لكن ظهور ابن عبد الكرƇ على مسرح الأحداث أصبح عاملا آخر من عوامل التردي في افريقية، حيث أن ابن عبد الكرƇ لما رأى صراع قرقوش وابن غانية والأعراب على أشده، وولاة الموحدين يقفون عاجزين متفرجين أراد أن يجرب حظه عله يظفر بملك له، لهذا نجده ما إن نجح في تمرده حتى تلقب "بالمتوكل" كما يتلقب الملوك، وكانت رسائله ترسل ممهـورة (مذيلـة) بـهـذا اللقـب[4] في إستكمال منه لأبهة ملكه الجديد. فيحتمل أن نية التمرد كانت موجودة في نفسه، ولم تكن حادثة إهانة الوالي له إلا ذريعة. غير أن نقطة ضعف ابن عبد الكرƇ تكمن في افتقاره لخبرة الميـورقي في الحروب، فسيرته تدل على أن أمره قد ظهر في محاربة أشتات الأعراب هنا وهناك، بينما قضى ابن

[1] روباك برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، ترجمة حمـادي السـاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1988.الجزء1، ص 33.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 132.
[3] ميراندا، المرجع السابق، ص 352.
[4] التجاني، نفس المصدر، ص 132.

غانية حياته في مقارعة أكبر الجيوش آنذاك وهو جيش الدولة الموحدية لذا كان انكسـاره شـيئا متوقعا بالنظر إلى الفرق الكبير بين مقدرتما.

كما ظهر في هذه المرحلة سوء تدبير الولاة الموحدين؛ فقد أعمى بصيرتم حقدهم علـى ابن عبد الكريم فصدقوا أن ابن غانية يرغب في السلم حقا وسارعوا إلى التحالف معـه وإطبـاق الحصار على ابن عبد الكريم، ولا أدري كيف سيرغب ابن غانية في السلم فجأة وهو لم يخض هذه الحروب منذ سنين طويلة إلا ليسقط دولتهم. وعندما تمكن ابن غانية من قتل ابن عبد الكريم ظـل الموحدون على غفلتهم فأهملوا القيام بأي إجراءات دفاعية أو استعدادات لهجوم محتمل مـن ابـن غانية، في سذاجة لا تليق حتى بعامة الناس. مما يدل على أن ضعف الولاة عامل هام خـدم يحـيى وليس قلة ما تحت أيديهم من الجيوش فقط.

أما ابن غانية فانه مضى في تنفيذ مشاريعه التوسعية غير عابئ بعهد و لا ذمـة، فمـا إن سقطت المهدية في يده حتى سارع إلى الاستيلاء على بقية المدن إلى أن دخل تونس عاصمة افريقية قبل الميارقة بذا أوج قوتم، فقد صار ملكهم يحتوي على تونس وطرابلس وقفصة وتوزر وسـائر بلاد الجريد ونفزاوة وقابس وبسكرة وبونه، ولو تأخر سير الموحدين أكثر من هذا لبدء ابن غانيـة بالسير غربا وافتتاح ما بقي من البلدان حتى يصل إلى مراكش، وقد أدرك الشيخ عبد الواحد ببعد نظره هذا الأمر فأشار على الناصر بالمسير إلى أفريقية ومحاربة ابن غانية، وكان أشياخ الموحدين قد أشاروا عليه قبلا بمسالمته.

ومن أهم ميزات هذه الفترة وقوع حدث لا يقل أهمية عن سابقيه وهو تمكن الموحـدين من فتح ميورقة بعد عدة حملات فاشلة، غير أن ذلك لم يؤثر على يحيى في افريقية لأنـه لم يكـن يعتمد على أخيه كثيرا[1]، فأخوه بدوره كان يعاني من هجومات الموحدين عليه، بل كان يعتمـد على الأعراب في الجند، وفي تمويل حروبه على مغانم الحرب و ما يسلبه من الناس.

3. مرحلة يحيى بن غانية الثانية:

تبدأ هذه الفترة من هزيمة ابن غانية في معركة تاجرا في 12 ربيع الأول سنة 602هـ/ 17 أكتوبر سنة 1205م وتنتهي بوفاة الشيخ أبي محمد في محرم سنة 618هـ/فيفري 1221م.

---

[1] Bell. , op. Cit. p 65

لم يكن اختيار الخليفة الناصر شيخ أبي محمد لولاية افريقية اعتباطا، فبالإضافة إلى كفائته الشخصية، كانت لأسرته مكانة عظيمة عبر تاريخ دولة الموحدين، فقد كان جده أبا حفص من أول المبايعين لعبد المؤمن وحث قبيلته على بيعته فلم يتخلف عنها أحد، وعرف له عبد المؤمن صنيعه هذا فكان يدخره دائما لعظائم الأمور وأوصى عبد المؤمن أبناءه به خيرا[1].

وقد تجمعت في الشيخ أبي محمد عدة خصال تجمع بين الحكمة والشجاعة مكنته من ردع بني غانية ردعا صارما، طوال فترة ولايته، إضافة إلى أن الناصر أعطاه سلطات إستثنائية فيما يشبه الاستقلال.

وابتدأ الشيخ أبو محمد للاملة إصلاحية في جميع المجالات، فاستعمل أكفأ الوزراء و أبرعهم وعلى رأسهم كاتبه ابن النخيل[2]. وكان يجلس كل يوم سبت لمسائل الناس[3]،كما عمل الشيخ على فض الحلف المنعقد بين العرب وبني غانية فاصطنع رجالات العرب وعمل على تقريبهم ووهبهم إقطاعات واسعة ليعمل على إقرارهم في الأرض وإيجاد سبيل آخر للرزق غير سبيل الانتهاب[4] . أما من الناحية الحربية فقد حرص الشيخ أبو محمد على تتبع حركات ابن غانية وبث العيون والأرصاد عليه في كل مكان، فما إن بدأ ابن غانية في الإعداد للحرب من جديد حتى سارع إليه الشيخ أبو محمد قبل أن يلتم شمله.

وكان الشيخ أبو محمد يدرك نقطة ضعف ابن غانية الكبيرة وهي أن معظم جيشه من الأعراب؛ وهؤلاء معروفون بالفرار في أي معركة يحسون أن نتائجها غير مضمونة، فكان الشيخ أبو محمد يستميت في المعارك ويظهر فيها بسالة منقطعة النظير مما يشد أزر جنده ويحملهم على الثبات ويجبر العرب في النهاية على الفرار، وقد رأينا في معركة نفوسه عندما فرت بعض العناصر(العرب والاغزاز) من المعركة كيف ثبت الشيخ في قلب الجيش وضرب خيامه وراء الجيش مباشرة ليلغي أي فكرة للتراجع أو الانسحاب مما كان له اثر كبير في رفع معنويات الجيش وحمله على الثبات، فانجلت المعركة في النهاية عن نصر مبين للموحدين، ويمكن القول أن إبن غانية لم يعرف عهدا حالكا في تاريخ ثورته كعهد الشيخ أبي محمد؛ فقد عرف ابن غانية قبل الشيخ أبي محمد انهزاما واحدا مع الموحدين وهو انهزام معركة عمرة، ثم إستطاع ابن غانية فيما بعد أن يعوض ما خسره في

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص301.
[2] نفس المصدر، الجزء 6، ص 331.
[3] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 105.
[4] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 218.

تلك المعركة أضعافا مضاعفة، لكن عند مجيء الشيخ أبي محمد توالت الهزائم على الميورقي تباعـا، وما من هزيمة إلا و يخسر فيها أشد الرجال وأقربهم إليه حتى أدرك في النهاية أن لا أمل في الغزو في ولاية هذا الشيخ فلاذ بالسكون طوال فترته.

كما عرفت هذه المرحلة أيضا تخلي بعض المقربين من ابن غانية عنه، كعلي بن الغـازي، وكان ابن أخ ابن غانية، و يحضى بثقة كبيرة منه لدرجة أن يحيى استأمنه على كل ثروته في المهدية وفعلا استمات علي في القتال وبذل مجهودات حثيثة في رد الموحدين عندما حاصروه، لكنه فيمـا بعد أدرك شيأ لم يسلم به يحيى أبدا، وهو أن هذا القتال الدائر لا هدف له وأن دولـة المـرابطين ذهبت إلى غير رجعة ويستحيل إحيائها من جديد، فذهب وبايع للموحدين ولعلـه تـاب توبـة نصوحة وأراد أن يكفر عن ما فعله من الجرائم ضد الناس، فخرج لجهاد النصـارى في الأنـدلس فاستشهد في معركة العقاب[1].

ومن الذين تخلوا عن يحيى في هذه الفترة أيضا أخوه سير ابن إسحاق بن غانية، وكان قد لبث مع ابن غانية يحارب معه مدة طويلة، بل يحتمل انه كان من المشاركين في غزوة بجاية الأولى، لكنه فيما يبدو مل بدوره حياة الحروب التي لا تنتهي، فهجر أخاه إلى الموحدين. وعلـى العمـوم فهذه المرحلة تعتبر بداية النهاية لثورة بني غانية.

4. مرحلة الاضمحلال والنهاية:

تبدأ هذه المرحلة من موت الشيخ أبي محمـد الهنتـاتي في محـرم سـنة 618هـ ـ /25 فيفري1221م إلى موت ابن غانية في 631هـ /1233م أو 633هـ /1235م. وفي هذه المرحلة بـدا أمر ابن غانية آيل للاندثار لا محالة، فيحيى ابن غانية ذاك الشاب الحدث الذي غزى بجاية ذات يوم في لفيف من رجال المرابطين، أصبح اليوم شيخا كبيرا وقد قتل أكثر صحبه وأتباعه، وفر عنه مـن بقي حيا بعدما أدركوا أن حلم إحياء الدولة المرابطية قد تبخر إلى الأبد، لذا نجد ابن خلدون يذكر أن ابن غانية في هذه الفترة كان يستعمل الجند فإذا سئموا الخدمة تركهم لحال سبيلهم[2]، ومع انـه

[1] معركة حصن العقاب أو كما تسمى باللاتينية لازا نفازا دوتولوزا وهي معركة دارت في الأندلس سنة 609هـ ـ بـين الدولة الموحدية بقيادة الخليفة الناصر وحلف من الجمهوريات النصرانية خسر المسلمون فيها خسارة عظيمة وفني فيهـا معظم الجيش الموحدي وكانت قاصمة الظهر بالنسبة للدولة الموحدية حيث بدأ انهيارها منذ تلك المعركة. محمد عبـد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 300 وما بعدها.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص133.

كان ينجح في بعض الأحيان في إغواء بعض قبائل العرب أو البربر للحرب معـه، إلا أن الأهـالي أصبحوا في هذه الفترة أكثر وعيا Nإطره وأصبحوا في كثير من الأحيان يتصدون له بأنفسهم بـدل الاستكانة وانتظار حامية الدولة، مثلما حدث مع بعرة بن حناش شيÑ هوارة حينما أدى ثباتـه في وقعة مجدول[1] إلى إلحاق الهزيمة بابن غانية، ومرد هذا إلى سياسة الاصطناع التي سلكها الشيÑ أبـو محمد وسار على دربا ابنه الشيÑ أبو زكريا.

ولكن ابن غانية بالرغم من ذلك حقق بعض الانتصارات كما في بسكرة وبعـض بـلاد الجريد. فالولاة الذين خلفوا الشيÑ أبا محمد لم يكونوا أبدا في كفائتة. لكن ابن غانيـة في ذلـك الوقت أصبح كنار تنفث آخر لفحاتا، حتى توفي في الصحراء شريدا وحيدا.

III- الآثار السياسية الداخلية لثورة بني غانية:

1. ضياع الشؤون الداخلية:

لقد ساƵت الهزائم المنكرة التي عرفها الجيش الموحدي في استغلال الولاة لهـا للحيـف والظلم فبعد مسير المنصور لحرب ابن غانية خلا الجو للعمال من أي رقيب أو حسيب، فأخـذوا يجورون في الأحكام ويبالغون في فرض المغارم وإمتدت أيديهم إلى خزائن الدولة ينفقون منها على حوائجهم كيفما يحلوا لهم.وكان أكثر من يفعل ذلك هم ولاة الأندلس لنأي المسافة بينهم وبـين أفريقية

فعندما كان المنصور يعاني الأمرين من هزيمة عمرة في أفريقية، كانت عامـة النـاس في الأندلس تعاني الأمرين بدورها من والي مرسية[2] و أخو الخليفة السيد أبو حفـÒ عمـر الملقـب بالرشيد، فقد كثر حيفه بالناس ومصادرته لأموال التجار وفرض الغرامات الباهضة من غير سبب، كما قبض على ابن رجا مشرف اشبيلية و مرسية وطالبه بإحضار مصدر كل جباية فعجز الرجـل فضربه بالسوط حتى مات، وخشي صاحب الأشغال ابن سليمان أن يصيبه ما أصاب ابن رجا ففر بنفسه، وحاول الكاتب حكم بن محمد أن يفر هو الآخر ولكن الرشيد استقدمه بالأمـان ثم دس

---

[1] انظر وقعة مجدول ص 52.

[2] **مرسية:** قاعدة ارض تدمير وهي في مستوى من الأرض على النهر الأبيض ولها ربض عامر آهـل وعليهـا وعلـى ربضها أسوار حصينة وحظائر متقنة والماء يشق ربضها وبها بساتين وأشجار والعمـارات مـا لا يوجـد بتحصـيلها. الإدريسي، المصدر السابق، ص 263.

عليه من اغتاله[1]، كما قتل أيضا قاضي مرسية وخطيبها ابن أبي حمزة[2] وذاع ما يقوم به من جرائم بين الناس حتى أصبح حديث العام والخا ï [3] و المنصور في كل ذلك مشغول بمدافعة ابن غانيـة في افريقية.

وعندما جاز المنصور جوازه الأول إلى الأندلس في 08 فيفـري 586هـ ـ/ 9 مـارس 1190م، جاءته وفود الأندلس للسلام وضجوا إليه بالتشكي من الولاة والحكام ورفعوا إليه ما نالهم منهم من الجور العظيم، غير أن المنصور كان مشغولا بالغزو فاعرض عنـهم إلى حـين[4] ، وبعـد رجوعه من الغزو بدأ ينظر في شؤون الولاة وأحوالهم مع الرعية وإنصاف كل مظلوم، كمـا أمـر المنصور بالنظر في أمور السجناء وقتل كل من يستحق القتل،[5]، ويذكر ابن عذاري أنه وجد مـن بقي ينتظر سنين دون البت في أمره[6]، مما يدل على اlƵqال الكبير الذي لحق بشؤون الرعية بسبب غياب الخليفة.

كما إشتد المنصور في محاربة الفساد والفسق الذي كثر بسبب تراخي الولاة[7] في أثنـاء غيابه في افريقية، فقد أصبح غياب الخلفاء الموحدين عن مسرح الأحداث بالأندلس لمواجهة الفـتن الداخلية شاغلا لهم عن مراقبة تصرفات العمال بالأندلس مراقبة فعالة فظلت الشكوى من سـوء تصرفاتم تتردد في جنبات الـتمع الاندلسي[8] .

2. بداية الخلاف بين بني عبد المؤمن:

على أن أخطر اثر ترتب عن تضييع الشؤون الداخلية ومراقبتها كان فتح الباب للصـراع على الحكم بين بني عبد المؤمن؛ فقد كان انتقال الحكم في الدولة الموحدية حتى هذا العهد يتم بقدر كبير من سلاسة، لكن الهزيمة الشنعاء التي مني با الجيش الموحدي في وقعة عمـرة "حركـت" في بعض أقرباء المنصور أماني الوصول إلى الحكم والانقلاب عليه، وأول هؤلاء الناس هو أخ المنصور نفسه، أبو حفǑ عمر الملقب بالرشيد، وقد قدمنا الحديث عن المناكير التي فعلـها أثنـاء غيـاب

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 199.
[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 197.
[3] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 199.
[4] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 204.
[5] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 124.
[6] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 204.
[7] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 204.
[8] فوزي عيسى سعد، الشعر الاندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، 1996. ص33.

المنصور، ولكنه زاد على ذلك أنه بعد أن بلغته هزيمة عمرة راسل ملك قشتالة الفونسو الثامن يطلب منه التأييد في حال قام ضد أخيه[1]، كما أخذ ينتقد من المنصور أمام الملأ ويحرض أتباعه على بث انتقادات المنصور بين وجوه أهل الأندلس[2]، تمهيدا للانقلاب عليه. أما الثاني فهو عم المنصور، و كان أكثرهم حمقا، فقد كان واليا على تادلة[3] وعندما بلغته هزيمة عمرة جمع أشياخ قبائل صنهاجة ودعاهم لبيعته فلم يجبه أي واحد من الشيوخ لطلبه بل سوفوه ووعدوه ثم فروا منه[4] .وأما الثالث فهو عم المنصور أيضا، يسمى أبو إسحاق، فأخذ يثير الناس في فاس ضد المنصور ويألبهم عليه.

وبلغت هذه الأخبار المنصور وهو في تونس بعد الفراغ من بني غانية فعجل بالمسير، فكان أول من تلقاه عمه أبا إسحاق في تلمسان غير أنه ما إن دخل على الخليفة ليسلم عليه حتى طرده المنصور من مجلسه، وأغرى به العامة وسيره حافيا إلى منزله فلم يلبث يسيرا حتى مات[5]، أما أخاه وعمه فإنهما قدما ليسلاما عليه، لكن المنصور ما أن رآهما حتى أمر بسجنهما في سلا ريثما يتحقق من أمرهما ثم واصل المسير إلى مراكش، فلما وصل تباحث مع الناس في أمرهما فثبت عنده جرمهما فأرسل للحارس الموكل بما بقتلهما[6].

ومن المهم التنبيه على أن هذه الحادثة من بواكير صراع بني عبد المؤمن على العرش فنجد الخليفة المأمون ابن المنصور في ما بعد يكرر فعل عمه تماما، إذ نجده يستعين بالفونسو ملك قشتالة في صراعه مع الخليفة العادل، بجند يبعثهم له الفونسو على أن ينزل له المأمون عن بعض الحصون في الأندلس[7].

3. **خسارة القادة:**

لم يقتصر أثر ثورة بني غانية على تبديد جهود الولاة الأكفاء في مناصب أقل منهم بكثير(كالشيخ أبو محمد) بل إن الكثير منهم قتل في المعارك التي دارت بين الموحدين وبني غانية،

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 285.
[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 196.
[3] **تادلة** قال عنها **الإدريسي:** يزرع فيها القطن ويسافر به إلى كل الجهات ومنه يعمل الثياب القطنية ببلاد المغرب الأقصى مراحل الإدريسي، المصدر السابق، ص144.
[4] المراكشي، المصدر السابق، ص 197.
[5] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 201.
[6] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 201.
[7] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 320.

فحرمت الدولة من خدماتم إلى الأبد، فهذا علي بن الربرتير الذي استطاع بمكره ودهائه أن ينقلب من أسير مرمي في غياهب السجن إلى ثائر قلب نظام الحكم في مكان استعصى علـى الموحـدين أنفسهم إقتحامه، بغير مال ولا سلاح ولكن بالدهاء والحيلة، فكان مǂال هذه الثـروة القياديـة أن انتهى به المصير مقتولا أشنع قتله في معركة عمرة، وهذا ابن عبد الكرƇ الرجراجي الذي لم يكـن ليجرأ على الخروج على الموحدين لولا أنه رأى الصراع على أشده بين ابن غانية وقرقوش فقرر أن يدلي بدلوه هو الآخر ليزيد بذلك الأوضاع ترديا، ولولا ذلك لبقي يحارب الأعراب ويكف عيثهم ولأنتفع الناس بشجاعته أيما انتفاع، وابن اليرموم قائد الجيش الموحدي في معركة عمرة والسيد أبي عمران والي تلمسان وابن عبد المؤمن بن علي نفسه ومثل أولǘك كثير. هذا كله دون حساب عامة الجند -وما أكثرهم- ومن يدري فلعل فيمن قتل من هؤلاء الجند موهبة قيادية أخرى لكنها قبرت في مهدها بسبب ثورة بني غانية.

4. تفكك الدولة:

ومن النتائǰ الخطيرة التي تمخضت عن ثورة بني غانية، انقسام الدولة الموحدية، فمن خلال مراجعتنا لتاريǸ الدولة الموحدية نجد الطامعين في الاستقلال كثيرا ما كانوا يخرجون تحت مسميات ǂتلفة (المهدوية، الثورة على الظلم، الأحقية في الخلافة...الخ) لكن الخلفاء الأوائل كـانوا لهـم بالمرصاد، فغالبا ما تقمع الثورة في مهدها، ولكن بعد معركة العقاب ضعفت الدولـة الموحديـة فبدأت الحركات الاستقلالية تظهر سافرة، وكان أول المستقلين هو الشيǸ أبا زكريا ابن الشيǸ أبي محمد؛ مستفيدا من عدة عوامل أغلبها متعلقة بثورة بني غانية، كالسلطات الاستثنائية التي أعطاهـا الخلفاء الموحدون للشيǸ أبي محمد ولولاة افريقية من بعده والصراع حول الحكم بين بني عبد المؤمن الذي جعلهم عاجزين عن رد أي خارج، وفي الأخير الأثر الطيب الذي تركه أبوه الشيǸ أبا محمد و محبة الناس له و لآله، فلما جاء الشيǸ أبا زكريا ورث النجابة عن أبيه وسار على دربه في ضبط أمور افريقية وكف عيث الميورقي وحلفائه، فملك بذلك قلوب الناس فما إن أعلن الاستقلال حتى بايعوه طائعين راغبين. وهكذا كانت ثورة بني غانية سبب في ضعف الدولة ثم سببا في انقسامها.

ولكن ليس هذا كل شيء، ففي سنة 639هـ/ 1235م-أي في نفس السنة التي أعلن فيها الحفصيون استقلالهم- تمكن يغمراسن بن زيان شيǸ قبيلة بني مطهر من إخضاع العديد من القبائل

تحت سلطانه وأعلن بدوره الاستقلال[1] في تلمسان ونواحيها. أما بنو مرين الذين كان سقوط دولة الموحدين على أيديهم فقد ظهر أمرهم في عهد الخليفة الموحدي المستنصر[2] مستفيدين من ضـعف الدولة وتسابق ٧اتلف الزعامات على الاستقلال وبقوا يخوضون المعارك معها Ûو Rسين سنة حتى كان سقوط الدولة على أيديهم في يوم الأحد 2 محرم سنة 667هـ/1 سبتمبر 1269م[3] فقد كـان استقلال بني حفÒ بتلك السهولة تشجيعا لباقي الزعامات على الاستقلال أيضا، ولكـن يجـب qشارة إلى انه من التجني الكبير نسب كل عوامل الاÛلال في الدولة الموحدية إلى بني غانية فقـد كان اختلاف الموحدين وتصارعهم حول الحكم السبب الأول لهذا .

IV- نتائج ثورة بني غانية الخارجية:

1. ضياع الجزائر الشرقية وبداية ضياع الأندلس:

لقد حققت هزيمة العقاب لنصارى الأندلس أمنيتهم الكبرى وهو التخلÒ مـن القـوة الموحدية ليسيروا إلى احتلال باقي المدن الأندلسية الأخرى فما إن حدثت هذه الهزيمة حتى تتـالى ابتلاع النصارى للمدن والحصون qسلامية الواحدة تلوى الأخرى، ففي سنة 622هـ ـ/1225م سقط حصن قاصرش[4]. وفي سنة627هـ/1230م سقطت مدينة بطليوس[5]... الخ.

غير أن أهم مركز فقده المسلمون بسبب هذه المعركة هو الجزائر الشرقية موئل حكم بني غانية القدC، فقد كانت الجمهوريات النصرانية وqيطالية تغض الطرف عن جوار بـني غانيـة، المسلمين، لاشتراكهم معهم في العداء للموحدين، فلما فتح الموحدون هذه الجزر توجست النصارى

---

[1] بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعـات الجامعيـة الجزائريـة، الجزائـر، 1993.ص 24 و أبي زكريا بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبـة الوطنية، الجزائر، 1980. ص199. و عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 11.

[2] **المستنصر:** خامس الخلفاء الموحدين بويع في 10 شعبان سنة 610هـ بعد أبيه الناصر تولى الحكم عمره 10 سـنوات ولم يشهد عهده أي حركات للغزو كما في عهد الخلفاء السابقين وبدا في عهد ضعف الدولة جليا توفي في السبت 16 ذي الحجة 620. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 430.

[3] نفس المرجع، الجزء 2، ص 570 وما بعدها.

[4] **قاصرΣ** قال عنها الإدريسي: حصن منيع ومجوس رفيع فيه نخل ورجل يغيرون منه على ارض الـروم ومـن إلـى ترجالة مرحلتان خفيفتان. الإدريسي، المصدر السابق، ص 274.

[5] **بطليوS** قال عنها الإدريسي: مدينة جليلة في بسيط من الأرض وعليها سور منيع وكان لها ربض كبيـر اكبـر مـن المدينة في شرقيها فخلا بالفتن وهي على ضفة نهر يانة وهو نهر كبير ويسمى نهر الغرور ومن مدينة اشبيلية ستة أيـام ومن مدينة بطليوس إلى ماردة على نهر يانة شرقا ثلاثون ميلا. نفس المصدر، 266. وما بعدها.

شرا و أصبحت تخشى أن يتوجه الموحدون إليها ذات يوم، فأخذت تترقب الفرصة للاستيلاء عليها[1]، حتى أن الكاتب الموحدي أبو محمد عبد الله بن عياش يذكر في رسالة فتح ميورقة « ...أن فتح ميروقة اشد على صاحب أرغون وبرشلونة من رشق النبل وأهون من وقع السيف و أوحش من القطع للحلول الممات»[2] ومما يؤيد هذا القول ما حدث سنة 601هـ/1204م، أي بعد إحتلال الموحدين للجزر بسنة واحدة، حيث توجه ملك أرغون بيدرو الثاني إلى البابا أنوسنت الثالث يطلب منه العون في الاستيلاء على الجزر، ولكن البابا كان مشغولا بدعم قواته في الشام التي كانت تعاني من وهن بعد هزيمة حطين[3]، فكان ذلك مما ساهم في فشل مسعاه فحاول بيدرو الثاني الاستعانة بالجمهوريات الإيطالية، لكن هذه الجمهوريات خشيت على مصالحها مع الموحدين فرفضت مساعدته[4].

ويروي المقري نقلا عن كتاب "كائنة ميورقة" لأبي المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمير المخزومي، الذي كان قاضيا في ميورقة قبل سقوطها، أن الوالي الموحدي على الجزيرة محمد بن علي بن موسى[5] نظر بقلق إلى التشرذم الكبير الذي آلت إليه الدولة الموحدية وتحرش أساطيل مملكة قطلونية وارغون بالجزر فقرر في ذي الحجة 623هـ/ديسمبر1226م جلب الأخشاب من يابسة لبناء سفن حربية استعداد لحرب ممكنة، غير أن كونت طرطوشه[6] علم بأمر هذه الحمولة فأرسل حملة أسرت السفن ببحارتها، فغضب الوالي الموحدي وهاجم مركبا جنويا (نسبة لمدينة جنوة الإيطالية) كبيرا واستولى عليه ثم استولى على مراكب البرشلونية، فلما علم الروم بذلك

---

[1] حسان حلاق، المرجع السابق، ص129.

[2] رسائل موحدية، الرسالة السادسة والثلاثون، ص 184.

[3] **حطين:** 24ربيع الآخر 583/ 1من يوليو 1187م معركة وقعت بين المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي والصليبيين في سهل حطين قرب طبرية من ارض فلسطين وكان النصر الباهر فيها حليف المسلمين واعتبرت بداية خروج الصليبيين من فلسطين وبيت المقدس. مصطفى الجياري صلاح الدين القائد وعصره دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان، 1997. ص124 وما بعدها.

[4] عصام سالم سيسالم، المرجع السابق، ص412.

[5] وفي بعض الروايات الأخرى أن واليها كان أبو يحيى ابن يحيى بن أبي عمران التنمللي. المقري، المصدر السابق، الجزء2، ص600. وقد يكون الأول اصح لان القاضي أي مطرف مصدر معاصر للأحداث.

[6] **طرطوشه** قال عنها الإدريسي: مدينة على سفح جبل ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وضياع وفعلة بإنشاء المراكب من خشب جبالها وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير والغلظ ومنه تتخذ الصواري والقرى والخشب الذي بجبال هذه المدينة احمر صافي البشرة دسم لا يتغير سريعا ومن طرطوشه إلى موقع النهر في البحر 12 ميلا ومن مدينة طرطوشه إلى مدينة طركونة 50 ميلا. الإدريسي، المصدر السابق، ص279.

اضطرموا سخطا وحثوا ملكهم أن بغزو هذه البلاد وعرضوا عليه التطوع في الحرب، فوافق الملك على ذلك وحشد من أهل البلاد عشرين ألفا وللبحر ستة عشر ألفا أواخر سنة 626هـ/1228م[1].

وفي 14 شوال 627هـ /5 سبتمبر 1229م أقلع الأسطول في حملة للارية ضخمة، تحمل ألف وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف مشاة عدا حشود المتطوعين، وكان والي الجزيرة يستعد لهذا اللقاء من جهته، لكن حدث أن اكتشف مؤامرة يقودها بعض المقربين منه لخلعه فأمر بالقبض على المتآمرين وقتلهم، مما كان له اثر سيئ على النفوس.

وتلاحقت سفن النصارى إلى الجزيرة واشتبك الفريقان في معارك ضارية ولكن المسلمين فشلوا في رد الأعداء واستولى الروم على قصبة المدينة في 13 صفر 627هـ/ 31 ديسمبر 1229م وقبض على أبو يحيى وعُذب عذابا شديد ثم قتل. أما جزيرة منروقة فقد حكمها عثمان بن سعيد بن الحكم الأموي، ولما بلغه سقوط ميورقة هادن خاييمي ملك قطلونيا على جزية يؤديها له، وفي عهد خليفته وابنه أبو عمر فيما بعد قام الارغونيون بفتحها سنة 686هـ/1287م واجلوا المسلمين عنها فسار أبو عمر إلى سبته ثم قصد تونس فغرق وآله في البحر[2].

وقد خسر المسلمون بضياع الجزائر الشرقية قلعة هامة من قلاع الحضارة الإسلامية افتتحها المسلمون منذ عهد موسى بن نصير[3] وبقيت في حوزة المسلمين نحو من ستة قرون تمثل مركزا إشعاعيا في الحضارة ونبغ منها العديد من العلماء والفقهاء وخاصة في علم القراءات[4]. وكان السبب في ذلك هو خروج الجزيرة من يد بني غانية، التي كانوا يعتبرونا معقلهم الأخير، ويسعون إلى تحصينها ورد الأعداء عنها بكل ثمن، فلما استولى عليها الموحدون خسرت ما كان لها من قوة وصادف ذلك ضعف الدولة الموحدية فكان هذا ما سهل على النصارى الاستيلاء عليها.

[1] المقري، المرجع السابق، الجزء 2، ص 601.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 409 وما بعدها. عصام سالم سيسالم، المرجع السابق، ص 413 وما بعدها.

[3] **وموسى ابن نصير:** ابو عبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن زيد اللخمي 716-640 م 19/هـ 97-هـ نشأ في دمشق وولي غزو البحر لمعاوية بن أبي سفيان، فغزا قبرص، وبنى بها حصونًا، كان من كبار فاتحي بلاد المغرب والأندلس كما استطاع أن يفتح الجزائر الشرقية (ميورقة ومنروقة ويابسة) السيد عبد العزيز سالم المرجع السابق، ص52.

[4] عصام سالم سيسالم، المرجع السابق، ص 467. وما بعدها.

2. تحرش النصارى بالأندلس:

أصبحت الدولة الموحدية بعد سيطرتها على كل بلاد المغرب والأندلس حامية حمى الإسلام بلا منازع، فمنذ أن ظهر أمر الموحدين وقضوا على الدول الموجودة آن ذاك جاءت الوفود من الأندلس إلى عبد المؤمن بن علي يستنجدونه لإنقاذهم من نير النصارى، ولئن كان عبد المؤمن قد نجح في غير ما صعوبات تذكر في طرد النصارى من تونس وسواحل افريقية إلى غير رجعة، فان نصارى الأندلس كانت لديهم ممالك وحكام أقوياء يرغبون في توسيع ملكهم على حساب المسلمين مدفوعين لذلك بالحماس الحروب الصليبية وتشجيعات البابا في روما نفسه بمختلف الهبات المادية والمعنوية والرغبة في توسيع ممالكهم، فلم ينفكوا يخوضون الحروب المختلفة وتمكنوا في كثير من الأحيان من إلحاق هزائم كاسحة بجيوش الموحدين.

وكانت ثورة بني غانية هبة من السماء بالنسبة لنصارى الأندلس، فلقد أصبح الجيش الموحدي؛ الذي يفترض أن يرابط في ثغور ومحارس الأندلس، مشتت الجهود بين طرفي الإمبراطورية، افريقية والأندلس، فكان كلما بلغ النصارى مسير خليفة إلى افريقية إلا و استغلوا الوضع وحركوا جيوشهم للغزو في الأندلس وأحرزوا النصر في كثير من الأحيان[1].

ومما يذكره ابن عذاري في هذا المجال أن النصارى بعد أن بلغهم مسير المنصور إلى قفصة «اخذوا يشنون الغارات ويبالغون في النكايات برا وبحرا حتى اخذوا بمخنق غرب الأندلس، واستعان بقراقير الإفرنج فأذاقوا المسلمين ضرا»[2]. فقد حدث أن قدم سنة 585هـ/ 1189م أسطول من ستون سفينة تحمل نحو عشرة آلاف من الصليبيين من ولايات الرين واللورين وفريزلاند الألمانية، ورسا في مياه جليقية في طريقهم للمرور نحو المشرق، وفي هذا الوقت قدم أسطول صليبي آخر من إنكلترا والفلارند ورسا في شواطئ البرتغال بسبب حلول الشتاء وتعذر الإبحار[3]، فاستغل سانشو ملك البرتغال الفرصة واتفق مع هذه الجيوش على مساعدته في غزو أراضي المسلمين وأمدهم بدوره بثلاثين سفينة أخرى كمساعدة منه في الغزو[4].

---

[1] يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص 329.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 201.
[3] يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص 339.
[4] نفس المرجع، ص 330.

فسارت هذه الجموع أولا إلى باجه[1] ويابرة[2] اللتان لم يمض وقت طويل على اســترجاع المسلمين لها فاحتلوها، ثم سار سانشو بقواته البرية جنوبا صوب شلب[3]، وسارت سفن الصــليبيين حذاء الشاطئ البرتغالي حتى ثغر مياه بورتماو الصغير، الواقع على بعد 12 كلم من جنوب شــلب، فمالوا أولا على حصن البور الواقع غربي بورتماو وأبادوا من فيه عن آخرهم[4]، ثم زحفوا بعد ذلك على مدينة شلب؛ وكان حافظها الموحدي آن ذالك هو عيسى بن أبي حفص بن علي يعاني مــن الضعف وقلة الخبرة في أمور الحرب فلما علم بقدوم سانشو تحصن بأسوار المدينة[5].

وحاول سانشو إقتحام المدينة في الأيام الأولى للحصار غير أن الأهالي قاوموه وردوه عن عزمه خائبا، فضرب الحصار حولها وإستدعى أربعين سفينة لمســاعدته، واخــذ في دك أســوارها بالمنجنيقات ولكن ذلك لم يجدي نفعا أمام مناعة المدينة، وحاول الجند الفلمنك أن يحفروا سراديب تحت أسوار المدينة، لكن الأهالي ردوهم خائبين، وأخيرا عمد سانشو إلى قطع الماء عن المدينة الذي كان يأتيها من بئر هناك يسمى بئر القراجة، فانقض عليه النصارى واستولوا عليــه بــالرغم مــن التحصينات الكبيرة التي أقيمت حوله واجتهاد المسلمين في الدفاع عنه، فكانت تلك ضربة قاضــية للمدافعين الصامدين؛ إذ أن العطش اضطرهم إلى إرسال وفد إلى سانشو يعرضون فيه تسليم المدينة مقابل أن يترك أهلها يخرجوا بأمتعتهم سالمين، لكن النصارى وبعد اخذ و رد وافقوا على أن يخرج أهلها ويتركوا أمتعتهم وسائر أغراضهم في المدينة. فخرج أهلها منكوبين مسلوبين بعد حصار دام ثلاثة أشهر في يوم الاثنين 20 رجب 585هـ/3 سبتمبر سنة 1189م[6].

ومن جهته حاول الفونسو الثامن ملك قشتالة في هذه السنة إستغلال الوضع هو الآخــر، فخرج بجيشه فعاث في أحواز قرطبة، ثم مال إلى اشبيلية يريد غزوها ، فبلغ ذلك الرعاة فأســرعوا

---

1 **باجة** قال عنها الحميري: تقع على قمة مرتفع يتوسط حقول القمح شمالي ميرتله، على الطريق المتجهة نحــو يــابرة، وتشرف على وادي آن. الحميري، المرجع السابق، الجزء1، ص 67.

2 **يابرة** قال عنها الحميري: مدينة من كور باجة بالأندلس، وهي قديمة، وتنتهي أحواز باجة فيما حواليها مائة. الحميري، نفس المرجع، الجزء2، ص 250.

3 **شلب** قال عنها الإدريسي: مدينة حسنة في بسيط من الأرض وعليها سور حصين ولها غلات وجنات وشرب أهلها من واديها الجاري بجنوبها وعليه ارحاء البلاد والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ولها مرسى في الوادي وبها الإنشاء والعود بجبالها كثيرة يحمل منها الجهات والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة بديعة المباني و الأسواق وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها وهم يتكلمون بالكلام العربي الفصيح وهم فصحاء ونبلاء خاصتهم وعامتهم وأهل بوادي هذا البلد في غاية من الكلام لا يجاريهم احد. الإدريسي، المصدر السابق، ص 266.

4 ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 202.

5 نفس المصدر، القسم الموحدي، ص202.

6 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 174.

إلى والي اشبيلية يستصرخونه، فخرج الجيش لملاقاة العدو على غير أهبة ولا نظام فكـانوا بـذلك طعمة باردة للنصارى يقتلون ويأسرون، وحاول من نجا من المسلمين اللجوء إلى حصـن هنـاك يسمى حصن المنار، لكن النصارى لحقوا بهم ودخلوا الحصن عنوة واعملوا السيف في كـل مـن وجدوه هناك، وواصل النصارى غزوهم حتى ووصلت سراياهم حتى إقليم الشرف[1]، و الفونسـو يطوف آمنا مطمئنا، ثم سار إلى حصن أم غزاله قرب اشبيلية فقتل كل حاميته وسـبى الأهـالي ثم رجع إلى طليطلة[2].

وكان لسقوط شلب على هذا النحو ضربة قاسمة لسلطان الموحدين في ولاية الغـرب، إذ كانت شلب آخر معاقلهم في تلك المنطقة الحساسة، وسقوطها يفتح الطريق لتهديد بقية ولايـات الغرب في اتجاه ولبة ولبله ثم اشبيلية[3].

لذا عندما قفل المنصور من افريقية سرعان ما بدأ يعد العدة للسير للأندلس، وبعـث إلى والي اشبيلية بأن يتحرك بعساكره وأن يجمع حشود الجيش من العرب والبربر من غرناطة وغيرهـا وجاز إلى العدوة في 23 من ربيع الأول 586هـ/30 افريل 1190م، وأرسل إلى السيد يعقوب بن أبي حفص بالأمر وحشد سائر القوات المتقدمة إلى شلب، وسار بها المنصور قاصدا المدينة المحتلة وعسكر في ظاهر المدينة حتى وصلت سفن الأسطول الموحدي إلى مياه البرتغال الجنوبية قرب ثغـر بورتماو، وسار الموحدون إلى أسوار شلب و أطبقوا عليها الحصار ونصبوا الآلات وشـرعوا في دك أسوارها[4].

ثم إن المنصور وجه السيد أبا زكريا بن أبي حفص ومن معه من العرب وزناته وأمـرهم بالتجهيز من اشبيلية بالازواد والعلوفات ثم اللحاق به فسار السيد أبو زكريا إلى اشـبيلية ورتـب أمور الحرب والجيش ثم جد في اللحاق بالخليفة حتى وصل إليه في وادي تاجه[5]. وسار الموحـدون

---

[1] **إقليم الشرف:** مابين اشبيلية ولبه والبحر المظلم وفيه من المعاقل حين القصر ومدينة لبه وجزيرة شلطيش وجبل العيون ومسافته 40 ميلا كلها شجر الزيتون وسعته 12 ميلا وأكثر وفيه 8 آلاف قرية عامرة آهلة بالحمامات والـديار الحسـنة وبين الشرف واشبيلية 3 أميال والشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية اشبيلية ممتد من الجنوب إلى الشمال وهو تـل تراب احمر وشجر الزيتون مغروسة به. الإدريسي، المصدر السابق، ص 258 وما بعدها.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 202 وما بعدها.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 174.

[4] نفس المرجع، الجزء 2، ص 264 وما بعدها.

[5] ابن عذاري، نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 206. **وادي تاجة** قال عنها الإدريسي: يخـرج مـن ناحيـة الجبـال المتصلة بالقلعة والبونت ثم إلى محمود ثم إلى مدينة شنترين ثم إلى لشبونة فيصب هناك في البحـر. الإدريسـي، نفـس المصدر، ص 276 وما بعدها.

يخربون الضياع وينسفون الزروع حتى وصولوا إلى قلعة تسمى طرش[1]، فنازلها الموحدون وضـيقوا عليها الحصار حتى طلب أهلها الأمان فوافق الموحدون على تركهم يخرجون بأهلهم وأن يسـلموا كل ما في القلعة من أموال ومتاع، فدخلها الموحدون و استولوا على ما فيها من متاع ثم خربوهـا ولم يغادروها إلا وهي قاعا صفصفا، ثم توجهوا بعد ذلك إلى مدينة طمار فحاصروها أشد حصار وعاثوا في أحوازها، لكن الموحدين عانوا من قلة التموين، المشكل الأساسي للجـيش الموحـدي دائما[2]، كما أن أهل مدينة طمار الذين كان قد بلغهم مسير الموحدين إليهم أسـرعوا إلى جـني محاصيلهم وقطف الثمار استعداد لحصار طويل[3]،وفي الأخير أصيب المنصور وهو يحاصـر شـلب بوعكة طال أمدها، فأمر بفك الحصار على شلب وأرسل إلى المحاصرين لطمار بالرجوع إلى اشبيلية سريعا، فكان دخوله إلى اشبيلية في 10 جمادى الآخرة سنة 586هـ/ 17 ماي 1190م[4].

ولم يحقق المنصور شيئا يذكر في هذه الغزوة ، خلا احتلاله لطرش؛ وهو حصن غـير ذي بال، كما أنه لم يحقق الهدف الأساسي الذي خرج من اجله وهو استعادة شلب، فرجع إلى اشبيلية وهو عازم على السير إلى شلب مرة أخرى.

أمضى المنصور فترة رجوعه في إعداد الآلات وتجهيز الجيش وفي 1 ربيع الآخرة من سـنة 587هـ/ 28 ماي 1191م. خرج من اشبيلية وسار أولا إلى قصر أبي دانس فحاصره وردم الخندق الذي يحيط بالحصن، ولكن أهل الحصن أمطروهم بوابل من السهام أجبرتم على الانكفاء، فـأمر المنصور بالاستراحة ثلاثة أيام ريثما يصل المدد من البحر، وعندما وصله شـرع في دك أسـوارها ونصب حولها أربعة عشر منجنيقا، ولما كان 15 من جمادى الأولى أمر المنصور الجـيش بمهاجمـة المدينة وإزدادت ضربات المنجنيقات حتى أيقن أهلها بالهلاك فنزلوا على حكم المنصور فأمر بسبيهم وإرسالهم إلى اشبيلية أسارى كبشارة للفتح.

ثم سار إلى حصن قلماله، وكان حصن حصين غاية في المنعة محشـورا بكـثيرة الرجـال وإنجادهم، لكن أنباء إستسلام قصر أبي دانس وضخامة الجيش الموحدي جعلتهم يسارعون بطلب

---

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 199. قال عنها الإدريسي: على ضفة البحر اثنا عشر ميلا ومنها إلـى قصـبة مرية بلش 12 ميلا الإدريسي، المصدر السابق، ص 261.

[2] لقد كانت ضخامة الجيش الموحدي عاملا هاما في تحقيق كثير من الانتصارات، ولكن من جهة أخرى طرحت كثرتـه العددية مشكل آخر وهو صعوبة إمداده بالمؤونة التي تكفي الجيش كله.

[3] رسائل موحدية، الرسالة الرابعة والثلاثون ص 225 وما بعدها.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 206.

الأمان على أن يتركهم يخرجوا بأهلهم فأجيبوا لذلك، ثم أمر المنصور بنهب كل مـا في الحصـن وهدمه حتى صار أثرا بعد عين، و ساروا بعد ذلك إلى حصن المعدن فألحقه المنصور بالذي قبله[1].

ثم ساروا بعد ذلك إلى أهم مكان وهو حصن شلب. فوصلوا إليه يوم الخميس 2 Pادى الآخرة 587هـ/27 جوان 1191م فأطبقوا عليه حصارا مروعا حجب عنهم الأنباء والميرة وردموا الخنادق ا‡يطة بالسور، وفي يوم الأربعاء 15 Pادى الثانية 587هـ/ 10 جويلية 1191م من نفس السنة استغل الموحدون غفلة أهل المدينة وقت الفجر وهم يغطون في النوم والتعب فتقدم أحد فتيان الموحدين ووثب في ثلم من أثلام السور ولحق به بعض جند الموحدين وتعالت الصيحات وضـرب الطبول والتكبير فلم يستيقȘ أهل المدينة إلا وقد قضي الأمر وهم بين مطعون ومقتول، فبادروا إلى طلب الأمان فضرب المنصور لهم أجلا عشرة أيام وخرجوا منها يوم الخميس 25 Pادى الآخـرة 587هـ/20 جويلية 1191م[2] وحررت شلب أخيرا بعد جهود جهيدة وبعد بقائها في قبضـة النصارى زهاء عامين[3].

وهكذا نرى كيف استغل النصارى الظرف عندما كانت الدولة الموحدية غارقة في قمـع ثورة بني غانية وحليفه قرقوش الغزي، واحتلوا عدة مدن هامة، ثم استلزم الأمر سنتين من الحـرب وجهود ضخمة جدا لاسترجاع ما ضاع، وقد كان الأولى بذه الجهود أن تصرف في اسـترجاع مدن أخرى احتلها النصارى كطليطلة التي تعتبر أهم مدن الأندلس لموقعها الاسـتراتيجي[4]، لكـن الذي حدث أن المسلمين فقدوا مدن أخرى زيادة على المفقودة قبلا.

وعندما كان المنصور في اشبيلية منهمكا في استرجاع شلب ظهر طامع آخر في الحكـم، يقال له الجزيري(نسبة للجزيرة الخضراء[5])، أراد في ما يبدو أن يعيد كǇرةا المهدي جذعة. وكـان يعا بطلب العلم ويعا بشكل خا Ȋ بالمتشابات من الآيات[6] و كان ظهوره أول مرة في مراكش

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 210 وما بعدها.

[2] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 214.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 188.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص 256.

[5] **الجزيرة blrƮƢƜ** قال عنها الإدريسي: مدينة متحضرة لها سور حجارة مفرغ بالجيار ولها ثلاثة أبواب ودار صـناعة داخل المدينة ويشقها نهر يسمى نهر العسل ولهم على هذا النهر بساتين وجنات بكلتا ضفتيه ومن الجزيرة الخضراء إلـى مدينة اشبيلية خمسة أيام. نفس المصدر، ص263.

[6] من الجدير بالذكر أن الموحدين كثيرا ما يشوهوا صورة أعدائهم حالهم كحال كل الغالب في التاريخ وان ابن عـذاري الذي يروي تاريخ هذا الشخص ينقل على ما يبدوا عن مؤرخي الدولة الموحدية، و يمكن أن يكون الجزيـري مصـلحا حقيقيا لكن آرائه لا تناسب الموحدين، فشوهوا تاريخه خصوصا وان هذا الوصف(يلقي للناس بمتشابهات الآيات) مبهم=

العاصمة الموحدية لكن المنصور طرده، فلما خرج المنصور إلى الأندلس استغل الفرصة و عاود الظهور مرة أخرى ، وحاول الموحدون القبض عليه لكنه إستطاع الفرار عدة مرات ودخل إلى الأندلس، فبلغ ذلك المنصور فبعث بصفته إلى سائر العمال وأمرهم بالقبض عليه.

وحدث أن تمكن الموحدون من القبض عليه ومعه جملة من أتباعه لكن أتباعه رشوا القاضي المعروف بالواني فأطلق سراحه فأمر المنصور بقتل كل أتباعه وجلد القاضي بعدد الدنانير التي قبضها رشوة فمات قبل أن يستكمل عدتها. وتتبع الموحدون بالقتل كل من يثبت عليه مشايعته حتى قبض عليه بمرسية أخيرا وسير به إلى المنصور في اشبيلية فأمر بقتله وصلبه[1].

وهكذا ما كاد عقد النظام ينفرط بسبب ثورة بني غانية حتى تتالى ظهور الطامعين والخارجين في كل مكان، فزيادة على النصارى من الخارج لما ظهر الجزيري مستغلا خلو الأجواء.

وفي سنة 590هـ/1193م أرسل الشيخ أبو سعيد بن أبي حفص والي افريقية إلى الخليفة المنصور باستفحال فساد الأعراب في افريقية وسيطرة العدو عليها وألح عليه في القدوم، وكان الاضطراب قد عاد إليها بنكث قرقوش العهد وإظهاره الرجوع عن الإنابة وتزعم يحيى الميورقي ثورة بني غانية من جديد. فعزم المنصور على السير إلى افريقية من جديد، لكن الفونسو الثامن صاحب قشتالة علم بالأمر فاغتنم فرصة انتهاء الهدنة المبرمة مع الموحدين واخذ يشن الهجمات على الثغور الموحدية.

فحدث مثلما حدث في عهد أبيه يوسف بن عبد المؤمن حيث أرسل المنصور المدد إلى واليه في افريقية وسار هو إلى الأندلس في 20 جمادى الآخرة 591هـ/28 أوت 1195م وعلى الرغم من أن المنصور حقق في هذا العبور نتائج باهرة من أهمها الانتصار في وقعة الارك[2]، إلا انه رجع إلى مراكش بعد أربعة سنوات من الجهاد منهوك القوى و باستطاعتنا القول أن المنصور قضى شطرا كبيرا من فترة ولايته متنقلا بين طرفي الإمبراطورية لقمع الطامعين في الداخل والخارج فإذا علم النصارى بخروج بني غانية وصحبهم في افريقية، اخذوا في الإغارة على الثغور الإسلامية فيهرع

=وغامض، ومما يزيد الشك في حقيقة دعوة هذا الجزيري الانتشار الكبير الذي عرفته دعوته بين الناس وكثرة أتباعه الذي فدوه بأنفسهم مرات عدة.

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 208

[2] **الأرك:** معركة جرت بين المسلمين و النصارى في الأندلس في 9 شعبان 591هـ/18 يوليو سنة 1194. وقعت في إحدى الهضاب على بعد 16 كيلومتر من مدينة ثيودادريال وانتصر فيها المسلمون فيها انتصارا ساحقا. للمزيد انظر أبو خليل، الارك، دار الفكر، دمشق، 1978.

المنصور لنجدة ثغوره المنكوبة في الأندلس. والملاحظ أن بني غانية والنصارى أصبحوا بذلك أشبه شيء بالحلفاء غير المباشرين يخدم الواحد منهم الآخر، والحلف بالطبع كان ضد الإسلام والمسلمين، حتى وان لم يقصد بنو غانية ذلك.

3. معركة العقاب:

بدأ ملك قشتالة الفونسو الثامن سنة 605هـ/1209م يغزو أراضي المسلمين من جديد في الأندلس ويخطط لحرب يمحو بها هزيمة الارك[1]، واحتشد فرسان قلعة رباح[2] في قلعة سلبطرة على مقربة من قلعة الرباح فنسفوا الحقول وخربوا الضياع وقتلوا وسبوا وعاث الفرسان في أحواز اندوجر[3] واستولوا على عدة حصون وأصاب المسلمون من جراء تلك الغارات محن و خسائر فادحة، وفي العام التالي خرج الفونسو إلى الأندلس مرة أخرى وعاث في أراضي جيان[4] وبياسه[5] ووصل في عيثه إلى مرسية ثم عاد إلى طليطلة مثقلا بالغنائم.

وفي سنة 607هـ/1210م وفد على الناصر جماعة من أعيان شرق الأندلس مستغيثين به من عدوان النصارى، فشرع الناصر في الإعداد للحرب وأرسل بالأمر إلى ولاة الأندلس بتجديد العساكر وإعداد العلوفات وخرج من مراكش يوم السبت 20 شعبان من نفس السنة[6] وفي سنة 609هـ/16 جويلية 1212م دارت المعركة بين المسلمين والنصارى في موقعة حصن العقاب لكن الجيش الموحدي الذي كان بقيادة الخليفة نفسه انهزم هزيمة نكراء وقتل معظم الجيش ورجت أركان الدولة رجا وبست قواعدها بسا، لدرجة اعتبرت هذه المعركة آذان بأفول نجم دولة الموحدين بل

---

[1] يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص 356.

[2] **قلعة رباح** قال عنها الإدريسي: على ضفة نهر يانه يبعد عن قلعة ارلبة يومان ومن قلعة رباح إلى حصن البلاطة ومن جهة الشمال مرحلتان. الادريسي، المصدر السابق، ص 285.

[3] **اندوجر** قال عنها الحميري: بالأندلس، وبينه وبين المرية مرحلة، وهو حصن على تل تراب أحمر، والمنزل في القرية، ويباع بها للمسافرين الخبز والسمك وجميع الفواكه. الحميري، المصدر السابق، الجزء2، ص 64.

[4] **جيان** قال عنها الإدريسي: مدينة حسنة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل ولها زائد عن ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها الدود الحرير وهي مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ولها قصبة من امنع القصاب وأحصنها يرتقي إليها على طريق مثل مدرج النمل ويتصل بها جبل كوز وبمدينة جيان بساتين وجيات ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب وعلى ميل منها نهر بلون وهو نهر كبير وعليه ارحاء كثيرة وبها مسجد جامع وجلة علماء. الادريسي،نفس المصدر، ص 296.

[5] **بياسة** قال عنها الإدريسي: على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدرة إلى قرطبة وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها ومشتغلات الزعفران وبها كثيرة. نفس المصدر، ص 296.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 258.

بأفول نجم المسلمين ككل في الأندلس، وليس في موضوع بحثنا التعرض لتفاصيل هذه المعركة فهي مبثوثة في مختلف المصادر والمراجع[1].

ولكن الذي يهمنا في هذه المعركة أثر ثورة بني غانية في هذه الخسارة، فعلى الرغم من أن بني غانية لم يتدخلوا بأي صفة في المعركة، إلا أن ثورتهم التي أرهقت الدولة أيما إرهاق كانت سببا هاما في هذه الخسارة، فإذا راجعنا تاريخ الدولة الموحدية قبل هذه المعركة وجدناها قد تعرضت لعدة أزمات واستنزفت مواردها أيما استنزاف، لان المنصور اضطر إلى تسيير أربعة حملات كبرى، اثنتان منها إلى افريقية (غزوة بجاية وحملته على افريقية) واثنان منها إلى الأندلس، وعندما جاء الناصر لم يكن أحسن حظا من أبيه فقد اضطرمت في عهده ثورة بني غانية ووصلت إلى أقصى قوتها، فكان لزاما عليه تسيير حملتين كبيرتين، الأولى إلى مقرهم الرئيسي في الجزائر الشرقية والثانية إلى افريقية، وفي حملته على افريقية انفق بالإضافة إلى نفقات الجيش نفقات إصلاح حال افريقية بعد الخراب الكبير الذي عرفته. هذا كله دون حساب نفقات باقي الثورات والمشاكل الأخرى.

لذا يروي المراكشي أن من أكبر أسباب هزيمة حصن العقاب « إختلاف قلوب الموحدين، ذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطاء في كل أربعة اشهر لا يخل ذلك من أمرهم، فأبطأ في مدة أبي عبد الله (الناصر) هذا عنهم العطاء وخصوصا في هذه السفرة، فنسبوا ذلك إلى الوزراء وخرجوا وهم كارهون، فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلوا سيفا ولا شرعوا رمحا ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال بل انهزموا لأول حملة الإفرنج قاصدين لذلك»[2]، فإذا علمنا أن الناصر تولى الحكم و في الخزينة نقص في المال، فعجز الناصر عن دفع رواتب جنده لهو أكبر دليل على ضخامة الاستنزاف الذي تعرضت له الخزينة بسبب ثورة بني غانية وغيرها من الثورات

ونجد الخلفاء الموحدين قد تعودوا قبل المسير إلى أي حرب، أن يخرجوا البركة للجنود، وهي هبات مالية تعطى للجند زيادة على رواتبهم المعتادة فتقوى نفوسهم على الحرب، أما قبيل معركة العقاب فان الجند لم يأخذوا حتى رواتبهم المعتادة، مما يعطينا فكرة كبيرة عن المعنويات المنحطة التي دخل بها الجند المعركة. صحيح أنه لا يمكننا اتهام بني غانية بكل شيء فباقي المشاكل

---

[1] للاطلاع أكثر حول تفاصيل هذه المعركة انظر ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 158 وما بعدها. المراكشي، المصدر السابق، ص 30. يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص 354. وما بعدها محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 300 وما بعدها.

[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 230.

الأخرى لعبت دورا هي الأخرى لكن ثورة بني غانية كانت أصعب مشـكلة وأعقـدها للدولـة الموحدية.

ويروي لنا المراكشي سببا هاما آخر لخسارة معركة العقاب كان لبني غانية دور كبير فيه وهو الوزراء[1]؛ فمما يرويه التجاني أن الناصر لما استشار الأشياخ في من يخلفه على افريقية «أشاروا عليه كلهم بالشيخ محمد بن الشيخ أبي حفص ولم يختلف في ذلك اثنان، وكأنهم أرادوا بعده عـن الخلافة ليجدوا السبيل إلى أغراضهم»[2]، فقد كان الشيخ أبو محمد من أقوى أشياخ الموحدين، حتى أن يعقوب المنصور أوصاه بابنه الناصر قبيل وفاته ووصفه بأنه خير من في هذا البيت[3]، وقد جمع إلى جانب قوة شخصيته وكفائته إخلاصه للخلافة، الشيء الذي جعله يشكل حاجزا بـين الأشـياخ والخليفة لينفردوا به ويستغلوه في توجيه الحكم كيفما يشاءون، فكانت مشورتهم بتولية الشيخ أبي محمد على افريقية هي من طرف خفي إبعاد له عن طريقهم.

فلما كانت معركة العقاب ظهر عند ذلك شؤم تدبيرهم، ذلك أن الوزراء وعلى رأسهم أبا سعيد بن جامع، الذي-يشكك الكثير من المؤرخين في نصحه-[4]، أشاروا على الخليفة الناصـر بأن يفتح حصن سلبطرة فبقي الجيش الموحدي يحاصر القلعة ثمانية أشهر على مر الصيف والشتاء، وعانى الجيش من قسوة الطقس وأودى المرض بمئات الآلاف منهم، وأخذت وسائل تموين الجـيش الضخم تنضب يوما بعد يوم[5] فكان لهذه الأحداث دور كبير في إخباء نفوس العسكر عن الحـرب زيادة على ماهية خابية أصلا. فأين هذا من تصرف المنصور الحصيف عندما كان يحاصر شـلب، فمع أن البلد محتلة حديثا واسترجاعها أمر ملح جدا، إلا أنه آثر فك الحصار والعـودة سـريعا إلى اشبيلية لما أحس أن أمر الحصار سيطول وأن بقائه محفوف بالمعوقات.

ولم يكتف الوزير ابن جامع بشؤم تدبيره بهذا الحد بل انه لجأ إلى قتل زعيم الأندلسـيين ابن أبي قادس مع صهره، بسبب أن ابن أبي قادس كان واليا على قلعة رباح فلما حاصرته النصارى وضيقت عليه الحصار سلم لهم القلعة على أن يخرج منها وجنده سالمين، فحرض الـوزير ابـن أبي جامع الناصر على قتله، فقتله الناصر بطعنة بالرمح دون حتى أن يستمع لعذره، وختم الوزير كـل

---

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 230.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص320.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 203.
[4] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، الجزء4، ص 230
[5] يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 357.

هذه الأعمال بإهانته لبقية القادة الأندلسيين وإنذارهم بمغادرة الجيش، وقد كان الأندلسيون أهـم عنصر في الجيش لخبرتهم الكبيرة للحرب النصارى فالحرب كانت دائما تدور رحاها على أراضيهم، و كان لمشورتهم دور كبير في تحقيق النصر في العديد من المعارك التي جرت في الأندلس[1].

وهكذا كان لمشورة وزراء الناصر اليد الطولى في خسارة المسلمين في معركة العقـاب[2]. فقد كان الناصر يثق فيهم في حين أنهم لم يكونوا جديرين بثقته، وقد تجلى في هذه الخسارة الفراغ الذي تركه غياب الشيخ أبي محمد في افريقية لمحاربة ابن غانية، فلو قدر له أن يصحب الخليفـة في هذه الغزوة لربما جرت الأمور بشكل مغاير، حتى أن من حكمة الشيخ أبي محمد أن الناصـر لمـا أرسل له يستشيره في السير إلى الأندلس نصحه بالتريث ولكن الناصر لم يستمع إلى آرائه[3]، فلعـل هذا حدث بتأثير من الوزراء أيضا.

4. إعاقة التحالف بين صلاح الدين والمنصور:

يعود سبب نزوح قرقوش إلى بلاد المغرب للقيام بتلك المغامرة العجيبة كما قدمنا إلى أن صلاح الدين بدرت منه بوادر تمرد ضد سيده القديم نور الدين زنكي[4] ومن المهم التذكير بان جميع المصادر والمراجع التي وقعت بين أيدينا تأخذ هذه الرواية عن التجاني بما فيهم المؤرخ الكـبير ابـن خلدون، مما دفع بعض المؤرخين المعاصرين[5] إلى التشكيك في صحة هذه الرواية وسندهم في ذلـك التالي:

- أن كبار المؤرخين المعاصرين لصلاح الدين كابن شداد[6] والعماد[1] وأبي شامة[2] ويتابعهم في ذلك أصحاب المصادر المتأخرة، كالتغرد بردي في كتابه "النجـوم الزاهـرة في تـاريخ مصـر

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 283 وما بعدها. ولدينا لهذا مثالين احدهما في معركة الارك حينما حارب المنصور وفق خطة أشار بها عليه زعيم الاندلسيين ابن الصناديد فكان نصرا عظيما وفي معركة زلاقة في عهـد يوسف بن تاشفين(في عهد المرابطين) حينما كاد الفونسو أن يميل على المسلمين ويغدر بهم لولا تيقظ المعتمد ابن عبـاد الذي كان يعلم غدر النصارى فكان نصر زلاقة المبين وهاتين المعركتين من اكبر الانتصارات التي حققها المسلمون في الأندلس بعد سقوط دولة بني أمية.

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق، الجزء4، ص124

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، 255.

[4] راجع دخول قرقوش افريقية ص 20.

[5] عز الدين عمر احمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، الطبعـة الأولـى، بيـروت لبنـان، 1983. ص24.

[6] **ابن شداد:** 539هـ-632 هـ/1144-1234م بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد ولد بالموصل وتعلـم بها ثم رحل إلى بغداد حيث عمل بالمدرسة النظامية ثم عمل كسفير لأمراء الموصل عند الخليفة ببغداد ثم اتصل بصلاح الدين وصار من اقرب المقربين إليه وبعد وفاة صلاح الدين خدم ابنه الظاهر إلى أن توفي من اشـهر كتبـه السـيرة=

والقاهرة" لم يذكروا هذه الرواية بالمرة مع أنم ذكروا قصة إرسال صلاح الدين شخصا آخر لليمن لنفس الأسباب.

- أن صلاح الدين كان مشغولا بمدافعة الصليبين في الشام ولم يكن لديه وقت لمغامرات من هذا النوع.
- أن باء الدين عرف بشجاعته الكبيرة فكيف يخاف غزو افريقية![3]

ولكن من ناحية أخرى إذا محصنا النظر في هذه الأدلة نجدها قد لا تصمد أمام النقد. فصحيح أن التجاني ليس من المعاصرين لهذه الأحداث ولكنه خدم أسرة بني حفص، التي كان لها اليد الطولى في القضاء على ثورة بني غانية، فلعه تلقى هذه الرواية استفاضة[4]. كما أنه ينقل في رحلته عن مصادر مطلعة جدا في تلك الفترة كابن النخيل[5] كاتب الشيخ أبي محمد و ساعده الأيمن، ولعل مما يقوي رواية التجاني أن المؤرخ الحصيف ابن خلدون يأخذ عنه ويشير إلى ذلك صراحة[6]؛ ولم يكن ليفعل ذلك لو لا علمه بمدى إطلاع التجاني على حقائق الأمور، خصوصا وأن ابن خلدون خدم هو الآخر في الدولة الحفصية وعلى علم برجالها[7].

أما أن المؤرخين الكبار المعاصرين لصلاح الدين كابن شداد، وأبي شامة والقاضي الفاضل لا تذكر هذا الخبر ولا تورد اسم شرف الدين قرقوش بالمرة، فلا يفوتنا أن هؤلاء المؤرخين خاصة ابن شداد وأبي شامة والقاضي الفاضل[8] هم من مؤرخي البلاط الأيوبي وهذا النوع من المؤرخين

=الصلاحية والمحاسن اليوسفية، نظير حسان السعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1962. ص 12.

[1] **العماد الكاتب:** 519هـ/1125م-598هـ/1200م عبد الله محمد بن حامد الاصفهاني فارسي الأصل ولد بأصفهان ثم رحل إلى بغداد وعمل في ديوان الكتابة ثم سجن واوذي هناك حتى أطلق سراحه فسار إلى دمشق واتصل بنور الدين زنكي وعندما ظهر صلاح الدين اتصل به ولازمه ونال عنده منزلة رفيعة وبعد موت صلاح لزم داره حتى توفي من اشهر كتبه نصر الفطرة وعصر القطرة، والبرق الشامي، و خريدة القصر. نظير حسان السعداوي، المرجع السابق، ص 28.

[2] **أبي شامة:** توفي في رمضان سنة 665هـ وهو شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو القاسم المقدسي من أهم آثاره كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الذي أرخ فيه لدولتي الملك نور الدين محمود زنكي، والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، نظير حسان السعداوي، نفس المرجع ص39.

[3] نفس المرجع، ص 24.

[4] انظر ترجمة التجاني في كتابه رحلة التجاني، ص 4.

[5] نفس المصدر، 108.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6 ص 227.

[7] عبد الله شريط، التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985. ص 3 وما بعدها

[8] **القاضي الفاضل:** 596/529هـ هو أبو على محى الدين عبد الرحيم بن على بن محمد اللخمي البيساني العسقلاني اشتغل بالادب وحفظ القرآن وخدم الايوبيين وتولى لهم ديوان الرسائل وكان له مكانة رفيعة عند صلاح الدين الأيوبي=

عودونا دائما على تمجيد الأمراء والحر ĩ على إظهار الوجه الناصع من أعمال أسيادهم فقط، لـذا يستبعد أن يذكروا أن صلاح الدين الأيوبي راد بيت المقدس إلى رحاب اqسلام يبعث إلى المغـرب من يشغب على يعقوب المنصور حامي حمى اqسلام في الأندلس والمغرب فيساهم بذلك بطريقـة غير مباشرة في إعاقة جهاد المسلمين في الاندلس، ومما يدعم هذا الرأي أن ابن الأثير وهـو مـن المؤرخين المشارقة المعاصرين لصلاح الدين يذكر هذه القصة بل ويزيد على التجاني انه خرج مـع قرقوش غلام آخر يسمى بوزابة[1] و قد يكون سبب ذلك أن ابن الأثير كان يحمل نوعا من الضغينة على صلاح الدين؛ فقد كان ابن الأثير من أولياء آل زنكي وان هؤلاء بعد موت زعيمهم المشهور نور الدين زنكي إختلفوا فسار إليهم صلاح الدين فشردهم واحتوى على ملكهم ، فكان ابن الأثير يحمل نوع من الضغينة على صلاح الدين[2] فلم يتحرج من رواية هذه الحادثة. وبالنسبة للمصـادر المتأخرة، كالنجوم الزاهرة، فان المطالع فيها يجد أنها تأخذ كثيرا عن المصادر السـابقه وتشـير إلى ذلك، وبالنسبة للمراجع الحديثة[3] فهي لا تذكر قرقوش لأن أمره ظهر في المغرب لا في المشرق فهو إذن من اختصا ĩ تاريǸ المغرب.

وأما أن صلاح الدين كان مشغولا بمدافعة الصليبيين في الشام ومصر، فالتجـاني يـروي الظرف الدقيق الذي حدث فيه مسير قرقوش إلى المغرب، وهو عزم نور الدين علـى المسـير إلى صلاح الدين؛ وما يمكن أن يحدث لصلاح الدين من قتل أو عزل، فهذا أمر يجعله في شغل شـاغل عن أي شيء آخر سوى تأمين حياته ومنصبه.

وبالنسبة لعزوف تقي الدين عن خوض غمار هذه المغامرة فيمكن إرجاع ذلك بما قالـه التجاني نفسه « لما رأى ما يكتنفه من صعاب»[4]، فالفتح والانتصار ممكن ولكن الهناء به هو الـذي يكاد يكون مستحيلا، وقد رأينا أن الدولة الموحدية ورغم أن حكامها من أبناء المنطقة، وإمكانياتها الضخمة، و في عهد أقوى الخلفاء، ومع ذلك عجزت عن ضبط هذه المنطقة عجزا ذريعا فما بالك بمغامر قادم من مصر، وقد تحقق توقع تقي الدين في نهاية كل من إبراهيم بن قـراتكين وقرقـوش،

=وبعدة وفاة صلاح الدين بقي له مكانة رفيعة حتى توفي اشتهر بشدة اقتنائه للكتب ولا تزال رسائله وتعليقاته مفرقة إلى اليوم في مختلف المكتبات العالمية. حسان نظير السعداوي، المرجع السابق، ص 32 وما بعدها.

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص512.

[2] نظير حسان السعداوي، المرجع السابق، ص35.

[3] على سبيل المثال نظير حسان السعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيـوبي، مكتبـة النهضـة المصرية القاهرة 1957. و مصطفى الجياري، المرجع السابق. ص32.

[4] التجاني، المصدر السابق، ص227.

الأول قتله الموحدون ذللا والثاني ضربت الأعراب عنقه مع ابنه. فلعل هذه هو سبب عزوف تقـي الدين عن عزمه أي انه سيستولي على بلد سرعان ما ستضطرب عليه. كمـا أن أخبـار عيـث الأعراب والفتن التي كانت افريقية تعاني منها لم تكن لتخفى على احد. وهذه الأخـيرة لوحـدها تزهد كل طامع في غزوها.

وإنه من الصعب تصور أن صلاح الدين الأيوبي مذل رقاب الصليبيين في حطين وغيرها، يكون في جيشه شخصية ذات عزم ومضاء مثل قرقوش، يخرج من عنده ويـذهب إلى افريقيـة، ويسقط دولة بني الخطاب الهواريين، ويحتل زلة واوجلة وغيرها، فهذه مهمة تحتاج علـى الأقـل ستمائة أو سبعمائة رجل من أشداء الرجال وشجعانم، فمن الصعب تصور أن يخرج كـل هـذا العدد من تلقاء أنفسهم دون أن يعلم صلاح الدين، ما كان صلاح الدين ليكتب لنفسـه مجـده السامق في التاريǸ لو كان بذه الغفلة، فان أقل ما يقال أن صلاح الدين كان يعلم بـذه الحملـة العلم الذي هو أخو الرضا، و لكن لعله لم يدر Ǹلد صلاح الدين أن الأيام ستتقلب بقرقوش حـتى يغدوا خطرا على الدولة الموحدية ذاتا.

ومما يؤيد هذا الرأي أيضا ما قاله احد الشعراء يمدح الشيǸ أبي محمد بعد انتصار تاجرا:

فكيف بمصر والعراق وعندها حديث من استيلائكم غير مضنون

فالتعريض بالخلافة العباسية معروف السبب[1] أما بمصر فلعل سبب ذلك طمـع صـلاح الدين من قبل في افريقية وإرسال قرقوش ليحقق له أطماعه. ولكن مع كل هذه الأدلة يمكن القول أن هذه القضية لا تزال تحتاج إلى للاث في التراث المخطوط لمعرفة آراء مؤرخين آخرين حول هذه القضية، لأنه يبقى دائما الصعب تقبل فكرة أن التجاني هو المطلع الوحيد على أسباب قدوم قرقوش.

والذي يهمنا من كل هذا هو اثر قدوم قرقوش وتحالفه مع ابن غانية على علاقة صـلاح الدين بالدولة الموحدية؛ فقد بعث صلاح الدين الأيوبي سنة 585 هـ/1189م إلى الخليفة يعقـوب المنصور سفارة وتلاها بأخرى تحت قيادة وزيره عبـد الـرحمن بـن منقـذ سـنة 586هـ ـ/ 1190م[2]،وأرسل معه خطابا يصف فيها المنصور بأمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والـدين وتحدث فيها صلاح الدين عن جهاد المسلمين في الشام لطرد الصليبيين منه و الجيوش الضخمة التي

[1] لأن الخلافة العباسية كانت تعتبر نفسها الخلافة الشرعية الوحيدة للمسلمين والخلفاء الموحدين وغيرهم من خلفاء مدعين للخلافة منتحلين لها.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 182

يرسلها الصليبيين للشام كل سنة ويرجو من المنصور مساعدته في الجهاد بأن يرسل جزء من أسطول الدولة الموحدية العتيدة إلى ايطاليا فيمنع الفرنجة من ركوب البحر من هناك، ويرسل الجزء الآخر إلى الشام فيترصد للفرنجة هناك، وكتب صلاح الدين للمنصور انه ينتظر أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد الغرب الكفار الكفارين وقال صلاح الدين للمنصور انه إن فعل هذا سيذهب بمجد لا يذهب بذهاب الدهر. ومع ذلك لم يجبه المنصور لطلبه[1].

وقد اجتهد المؤرخون في سبب رفض المنصور معاونة صلاح الدين على الرغم من إقباله على الجهاد أكثر من أي خليفة آخر، فابن خلدون يرد ذلك إلى أن صلاح الدين لم يلقب المنصور بأمير المؤمنين[2] وهو قول خاطئ لان الرسالة التي تقدمت يلقب فيها صلاح الدين المنصور بـأمير المؤمنين[3]، ويمكن أن يكون ما قاله الأستاذ محمد عبد الله عنان أقرب لصحة، من أن المنصور كان بدوره مشغولا برد نصارى الأندلس[4]، وانه جاز في عهده مرتين للأندلس للجهاد ضد النصارى؛ يبقى في كل مرة سنوات عدة ناهيك عن الجيوش يشحنها في كل وقت، وهو قول صحيح إلى أبعد حد، وقد رأينا كيف أن النصارى احتلوا مدينة شلب والعديد من الحصون الهامة بمجرد علمهم بمسير المنصور إلى افريقية واستلزم استرجاعها سنتين وجهود عظيمة فما بالك لو سار إلى الشام.

غير أن هذا الرفض يحمل في طياته أثرا لثورة بني غانية، فقد كان بإمكان المنصور إرسال بضعة سفن من باب المساعدة على قدر المستطاع، لكن تحالف قرقوش، تابع صلاح الدين، مع ألد أعداء الموحدين بني غانية جعلهم يتوجسون خيفة من تحركات صلاح الدين. ولعل المنصور خشي إن هو ساعد صلاح الدين ضد الصليبيين أن يلتفت صلاح الدين إلى بلاد المغرب بعد فراغه من أمر الصليبيين والجيوش التي كانت تحارب الصليبين في الشام تتحول لحرب الموحدين.

ومما يؤيد هذا الرأي ما يرويه المراكشي أن المنصور «كان عازما على فتح مصر وتطهيرها من المناكير التي فيها، ولم يزل عزمه هذا إلى أن مات»[5] فلم يكن ليخفى على المنصور ما لصلاح الدين من ضبط لشؤون مصر وقوته الكبيرة في جهاد الصليبين، غير انه يحتمل أن المنصور قرر المسير

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 177.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 229.
[3] راجع الرسالة في أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1980. ج7 ص241.
[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 182. وحسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، الجزء4، ص288.
[5] المراكشي، المصدر السابق، ص 202.

إليه خشية أن يبعث إليه بطامع آخر أو يسير صلاح الدين بنفسه. وقد كان المسلمون في صقلية يعانون الأمرين من اضطهاد النصارى وإذلالهم كما وصفهم ابن الجبير[1]، كما أن صقلية أمدت بني غانية بسفن استعادوا بها ملكهم في الجزائر الشرقية، فالجهاد مسلمي صقلية واجب تمليه مصلحة الدين والدنيا ، كما أن إنقاذ المسلمين من نير الكفار أولى من تطهير بلاد المسلمين من المنكر، غير أن يعقوب المنصور كان يعلم أن صقلية لن تشكل خطرا عليه أبدا إذا قارنا بالخطر المحتمل من صلاح الدين. وعلى العموم فقد تمرد صلاح الدين على سيده نور الدين قبلا مع وجود إيمان الطاعة بينهما، فما بالك بمن لا يربطه به أي عهد.

وكانت العلاقة بين بلاد المغرب الإسلامي والمشرق فيما يخص التحالف العسكري لنصرة الإسلام قد انقطعت منذ عهد الاغالبة[2] أي منذ القرن الثاني هجري، وثورة بني غانية كانت في القرن السادس هجري أي منذ أربعة قرون، ولو أنجد المنصور صلاح الدين لشكل فرصة ذهبية لإعادة اللحمة، لكن ثورة بني غانية شككت كلا الطرفين في نية الآخر وبذلك ساهمت في إحداث شرخ بين أكبر قوتين في العالم الإسلامي آن ذاك.

[1] ابن جبير، المصدر السابق، ص 127 وما بعدها.

[2] إمارة أسست على يد بني الأغلب كانت مستقلة ذاتيا ولكنها تابعة رسميا للخلافة العباسية وما يتبع ذلك من دفع الخراج وإمدادها بالجند وبعد سقوط هذه الدولة على يد الفاطميين انقطعت صلاة التعاون بين طرفي العالم الإسلامي، انظر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص23 وما بعدها.

I. اثر ثورة بني غانية على اقتصاد الدولة الموحدية:

1. اثر ثورة بني غانية على الزراعة:

أ- توطئة:

تعد افريقية بقعة من أخصب البقاع في الدولة الموحدية، فالمتأمل في خريطة افريقية يجد أنا اكبر منطقة تحتوي على السهول بالمقارنة مع باقي أراضي الدولة الموحدية؛ مما يعطيها إمكانيـات زراعية هائلة، كما أن البحر يحيط با من الشرق والشمال؛ مما يعني إمكانيات صيد وفيرة، باqضافة إلى قربا من سواحل أوربا وما يتبع ذلك من تنشيط الحركة التجارية، أما مناخها فيوجد على ثلاثة أنواع: المتوسطي، والقاري، والصحراوي مما يساعد على قيام زراعات ُلتلفة وأاط حياة ُلتلفـة تساهم في ثراء هذه المنطقة[1].

ويحدثنا الجغرافيون والمؤرخون أن أفريقية كانت تعيش ازدهارا زراعيا كبيرا قبل ثورة بني غانية. فيحدثنا البكري مثلا عن بلد باجة فيقول «... وحوله بساتين عظيمة تطرد فيها الماء وأرضها سوداء مشققة يجود فيها Pيع أنواع البزور وبا حمÖ وفول قل ما يرى مثله وتسمى هوى افريقية لريع زرعها وكثرة ريعها وأنا خصيبة لينة الأسعار أمحلت البلاد أو خصبت وإذا كانـت أسـعار القيروان نازرة (منخفضة) لم يكن للحنطة با قيمة وربما اشترى وقر البعير من الحنطـة بـدرZين ويردها كل يوم من الدواب واqبل العدد العظيم الألف والأكثر لانتقال الميرة فلا يـؤثر ذلـك في سعرها لكثرة طعامها»[2] حتى أن الولاة كانوا إذا عزلوا منها ضلوا يتلطفون ويعتذرون حتى يرجعوا إلى ولايتها من كثرة خيراتا[3]، ومتيجة المعروفة إلى اليوم بأنا أخصب الأراضي وأصلحها لزراعـة الفاكهة وكانت في عهد البكري معروفة بزراعة الكتان[4]. (انظر إلى الملحق رقم 1) ولكن قيام ثورة بني غانية أدى إلى σريب كبير في Pيع مناحي الحياة الزراعة.

---

[1] محمد خميس زوكه، في جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 48 وما بعدها.
[2] البكري، المصدر السابق، ص96.
[3] نفس المصدر، ص 56.
[4] نفس المصدر، ص 65.

ب- تخريب المجاري المائية:

من الآثار الخطيرة التي انعكست على الزراعة جراء ثورة بني غانية خراب الوديان والمجاري المائية، فقطع المياه و تغويرها من الأمور الشائعة في الحروب؛ لما للماء من ضرورة في حياة البشر وان العطش قد يدفع المتحصنين بالقلاع المنيعة إلى التسليم، ولكن قطع المياه من جهة أخرى يؤدي إلى بوار الأرض و تصحرها وما يتبع ذلك من صعوبة استغلالها من جديد. وفي كل الأحوال الماء أساس كل زراعة فلا يمكن تصور زراعة بدونه.

ومما يذكر في هذا المجال، ما فعله ابن غانية في حصاره لقسنطينة حيث أشرفت على السقوط في يده بقطع الماء عنها ويروي ابن قنفذ« أن أهلها لجأوا إلى صالحهم الشيخ أبو الحسن علي بن مخلوف فسأل الله فنزل المطر و سقي الناس ثم إن المطر سال بغزارة فكانت حملة عظيمة في الوادي وخرقت سد الميورقي ولم يقدر على قطعه»[1].

ج- تخريب الأراضي الزراعية:

وإذا كان الماء ضرورة حيوية لا يمكن الاستغناء عنها في الزراعة وفي شتى ميادين الحياة فانه لا يمكننا كذلك تصور زراعة من غير امن أو استقرار، كون عملية الزراعة و جني المحصول تبقى في كثير من الأحيان لمدة من سنة، والفلاح مستقر في أرضه دائم العناية بها، فإذا انعدم الأمن كانت الزراعة أول المهن تأثرا فلو أغير على المحصول مثلا فلا سبيل لصاحبه سوى انتظار الموسم القادم، وإذا استمر انعدام الأمن فلا حل إلا الرحيل وترك الأرض للبوار، مع ما يتبع ذلك من نتائج خطيرة من مجاعات وقحط بسبب انعدام إنتاج الغذاء في تلك المنطقة.

وكان تخريب المزارع عمل دأب عليه الموحدون وبني غانية على حد سواء في حروبهم، فعندما كان المنصور يحاصر قفصة آل على نفسه أيام حصاره أن يقطع كل يوم ألف نخلة[2]، ومع أن هذه الرواية قد تحمل الكثير من المبالغة إلا أننا إذا عرفنا الحنق الكبير الذي حاصر فيه المنصور قفصة بعد هزيمة عمرة الشنيعة والمجزرة التي ارتكبت في حق جيشه في قفصة، وجدنا أن هذه الرواية يمكن تحتوي على الكثير من الحقيقة.

[1] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 103.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 139.

وكذلك ما فعله ابن غانية عندما حاصر قابس إذ يذكر التجاني أيضا انه قطع كل غاباتها ولم يترك إلا نخلة واحدة تركها للعبرة[1]، فإذا علمنا أن نواة التمر تحتاج على الأقل من ستة إلى سبعة سنوات على الأقل لتنمو وتصبح نخلة يجنى منها التمر، وعلمنا أن ثورة بني غانية قد دامت خمسين سنة، فهذا يعني أن نخل افريقية بصفة عامة ونخل قابس وبلاد الجريد بصفة خاصة قد يكون انقطع كليا لمدة ثلاثين سنة أي إلى معركة تاجرا وبداية انكفاء ثورة بني غانية، لان هاتين المنطقتين كانتا على الدوام مسرحا لمعارك ابن غانية مع خصومه العديدين (الولاة الموحدين، جيوش الخلفاء، قرقوش، وابن عبد الكريم)

ويمكننا تطبيق هذا الحكم على جميع المحاصيل الزراعية وان كانت بعض المحاصيل أحسن حظا من أخرياتها، كالقمح والشعير فهي بذور تزرع وتحصد قبل أن يحول عليها الحول، وبالتالي يمكن أن "يحالف الحظ" بعض الفلاحين فيزرعون ويحصدون قبل أن يأتي عليهم عيث المفسدين.

وكان العيث و الفساد سمة لاصقة بجيوش ابن غانية خاصة، سواء إذا غلبوا أم إذا غلبوا. ومما يذكره ابن عذاري مثلا انه بعد غزوة ابن غانية لتاهرت فمع أنه انتصر فيها انتصارا باهرا وأحرز غنائم عظيمة، إلا أنه أطلق العنان لجموعه فعاثوا في تلك المنطقة عيث السباع الضاريات، وساروا إلى تلمسان واخذوا ينتهبون عمرانها وينتهكون زروعها واستمرت مضرتهم على قطر تلمسان وبلغت المخنق نكايتهم وأذيتهم[2]

لذا نرى أن من أول نتائج ثورة بني غانية انكماش الأراضي الزراعية حول المدن. فأصبح وسط السهول مقفرة بعد أن خربه الأعراب في ثورة بني غانية فقد كان، الأعراب يتجهون إلى السهول لاستصعاب الجبال على دوابهم واعتيادهم على البيئة الصحراوية. وعلى الرغم من أن المدن الساحلية كانت أحسن حالا لانفتاحها على البحر مما مكنها من الحصول على مصدر رزق جديد إلا أن بساتينها اختفت تماما[3]، غير أنه من المهم التذكير أن صاحب هذا النص (جورج مارسيه) عرف دائما انه من أنصار المدرسة الاستعمارية التي عرفت بتجنيها دائما على العرب والإسلام، لذا نراه يشيد بما خلفه الرومان من شبكات مائية في محاولة منه لإظهار مدى عراقة الحضارة التي أسسها الرومان في بلاد المغرب ومدى التخريب الذي حل عليها بحلول العرب.

---

[1] المصدر السابق، ص 107.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 252.

[3] جورج مارسيه، المرجع السابق، ص242.

لكن برغم من هذا فإننا نجد ما يؤيد هذا النص عند الأستاذ عز الدين أحمد موسى في كتابه النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب في القرن السادس هجري، إذ يذكر أنه وبسبب ثورة بني غانية اندثرت المناطق الزراعية في البلاد الشرقية (افريقية) ولم تفلح جهود الموحدين في إعادة ازدهار هذه المناطق إلا جزئيا؛ كنجاحهم في مليانة وعجيسه[1] ومتيجه ولكنهم فشلوا في القيروان وقلعة بني حماد والمناطق الشبه صحراوية (بلاد الجريد)[2] حيث يستقر الأعراب.

د- تردي المحاصيل الزراعية :

وكان من نتائج ثورة بني غانية أيضا اندثار الزراعة الأشجار المثمرة كالزيتون والتمر الذي أصبح يتواجد شيء قليلا في قابس وقفصة، واتجه فلاحو هذه المحاصيل إلى زراعة البستنة كالحناء والكرويا والكمون في قفصة وقسطيلية والزهور وصناعة ماء الورد، وكانت هذه المناطق تعتمد بالأساس على زراعة الأشجار المثمرة[3] و ذلك لأن هذه المحاصيل يعاد زراعتها من جديد بعد كل جني للمحصول وفي حال انتسفت فيمكن زراعتها من جديد في الموسم القادم عكس الأشجار المثمرة التي إن قطعت وجب الانتظار سنوات عديدة حتى يمكن جني ثمارها من جديد.

وكذلك نقصت تربية عسل النحل في جلولا وبونه وانتقلت إلى قسنطينة وأحوازها لأنا لم تعاني كثيرا من ثورة بني غانية، ومما يذكره ابن سعيد المغربي أن التمر أصبح غذاء افريقية الأساسي بسبب ثورة بني غانية[4]. و ذلك راجع إلى أن التمر يمكن أن يخزن مدة طويلة ناهيك عن قيمته الغذائية.

وكذلك من نتائج ثورة بني غانية على الزراعة هو هجرة العمال وغلاء أجرتم، حتى أن الناس اضطروا لاستئجار عمال زراعيين للحصاد أو لقطف الزيتون وحمله للمدن مقابل ما يقارب نصف المحصول[5]. وكانت هجرة العمال غالبا ما تكون إلى المغرب الأوسط، لذا كان تعداد سكان

---

[1] **قصر عجيسه:** جبل قرب المسيلة وبالقرب منه جبل بني برزال والقباب أما العجيسة: وهم بطون البرانس من فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيماً مخففة وكان لهم بين البربر كثرة وظهور وكانوا مجاورين في بطونهم لصنهاجة. وبقاياهم لهذا العهد في ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة وكانت منهم من بطون يسكنون جبل القلعة وثارت بينهم الفتن بين بني حماد فتفرقوا. البكري، المصدر السابق، ص 59 وابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 5 ص124.

[2] عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص220.

[3] نفس المرجع، ص120.

[4] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص35.

[5] عز الدين احمد موسى، نفس المرجع، ص 194.

هذه المنطقة في ازدياد مستمر حتى أصبحت تعتمد على البلاد الأندلسية في كثير من المصنوعات[1]، وهذا يدل على أن هجرات سكانية كبيرة حدثت من منطقة افريقية إلى المغرب الأوسط وهو شيء متوقع، بالنظر إلى دوام الحرب لخمسين سنة.

و مما زاد الطين بلة أن الأعراب بطبيعتهم لم يكونوا مزارعين بل أصحاب رعي وترحال لذا لم يعاودوا زرع الأرض التي استولوا عليها من جديد، ولكنهم في غالب الأحيان يخربونها ويتركونها أطلالا بالية وإذا استغلوها يستغلونها كمرعى لسوائمهم(مواشيهم) فيساهم ذلك في تصحر التربة.

هـ- اتساع مناطق الرعي الصحرواي:

يوجد في المغرب الإسلامي نوعان من الرعي : رعي قار؛ وهو أن يربي صاحب المزرعة بعض الحيوانات في مزرعته دون التنقل بها أو الترحال، و الثاني هو رعي ترحال؛ وهو تنقل الراعي بمواشيه لا يشتغل بغيرها. وبسبب ثورة بني غانية والغزو الهلالي[2]، الذي حدث قبلها، اتسع نطاق الرعي في المناطق الحصينة مثل تونس وسوسه وقسنطينة ومسيلة[3]، وذلك العرب كانوا بطبيعتهم رعاة وليسوا مزارعين وبذلك ساهموا في الاضرار بمساحة الأراضي الزراعية وتقليصها .

ولعل خير مثال على ذلك ما فعله الأعراب الذين نقلهم المنصور إلى المغرب الأقصى، عقابا لهم على تأييد بني غانية. فأنزلهم في المنطقة المحاذية للأطلس قرب مراكش فاستقر هؤلاء في السهول، وخلق وجودهم مصدرا إضافيا من مصادر الاضطراب في المغرب الأقصى، مما أدى إلى قيام الفوضى في نهاية الأمر، وفضلا عن ذلك فان هذه القبائل إشتغلت بالرعي في منطقة كان يمكن أن تقوم فيها فلاحة مزجية فكان ذلك من عوامل الفوضى الاقتصادية التي ظهرت في منطقة المغرب الأقصى[4].

والنشاط الزراعي الوحيد الذي نجا من ثورة بني غانية هو صيد السمك، فقد كان أكثر ما يصطاد في سواحل بنزرت[5] و تونس وبونة وقصر عبد الكريم[1] بسبب غنى هذه المدن بالثروة

---

1 المرجع السابق، ص 198.
2 الغزو الهلالي: انظر الفصل الأول هامش 2 ص20.
3 المرجع السابق، 120.
4 روجي لو تورنو، المرجع السابق، ص 90.
5 **بنزرت** قال البكري: مدينة على البحر يشقها نهر كبير كثير الحوت ويقع في البحر وعليها سور صخر وبها جامع وأسواق وحمامات وبساتين وهي ارخص البلاد حوتا، البكري، المصدر السابق ص 58.

السمكية ووقوعها في منأى عن ثورة بني غانية نسبيا، فلا يرد ذكرها في المصادر ضمن المدن الـتي تعرضت لويلات إبن غانية، كما أن نشاط الصيد يعتمد على البحر وهو ميـدان لم تمتـد إليـه الحروب.

ولكن من ناحية أخرى ساهم الأعراب في إعادة إحياء النشاط الزراعي فيما بعد، عندما عمد الشيخ أبو محمد إلى اصطناعهم ووهبهم إقطاعات واسعة من الأراضي الزراعية في القيروان[2]. ليصرفهم عن حياة السلب والنهب ويجعلهم مرتبطين على الدوام بأرضهم فلقـي هـذا العمـل إستحساننا منهم وساهموا بذلك في إحياء الزراعة. وتنمية إقتصاد افريقية وإعادة إعمار ما خربوه.

ولكن الزراعة في افريقية على العموم لحق بما ضرر بليغ حتى أن الناصر لما إستعمل الشيخ أبو محمد على افريقية طلب منه الاعتناء بالزراعة والحارث[3]. فتوصيته للشيخ بالزراعة بصفة خاصة دليل على مدى فداحة الخسائر.

2. اثر ثورة بني غانية على الصناعة:

أ- تأثر النشاط الصناعي بالمشاكل الزراعية:

تعتبر الزراعة موردا هاما من موارد الصناعة، فكثيرا من المحاصيل الزراعية هـي أسـاس العديد من الصناعات، كالحرير الذي هو أساس صناعة الثياب الفاخرة، والقطن الذي هو أسـاس صناعة الملابس، وقد رأينا الضرر الكبير الذي لحق بزراعة هذه المحاصيل مما يعني أن الصناعة بدورها نالها من هذا الأذى الكثير.

من الصناعات التي تدهورت كثيرا بسبب ثورة بني غانية صناعة الحرير في قـابس؛ الـتي توقفت كليا، وقد اخفق الموحدون في إحياء طراز الحرير في قابس وانتقلـت هـذه الصـناعة إلى الأندلس[4]، وبقي الأمر كذلك إلى غاية العهد الحفصي حيث رجع الأمن والأمان.

أما الصناعة الصوفية التي كانت منتشرة في مختلف ربوع افريقية، فعرفت قفصة بأرديتـها وطيالسها[5]، وعمائمها الصوفية ونفزاوة بتفاصيلها، والقلعة (قلعة بني حماد) بأكسيتها، ودرجـين[1]

---

[1] **قصر عبد الكريم:** قال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة على ضفة نهر لكس وبها أسواق على قدرها ويباع بها ويشـترى الأرزاق الكثيرة والرخاء بها شامل. الإدريسي، المصدر السابق، ص250.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 235.

[3] عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص 120.

[4] نفس المرجع، ص324.

[5] **الطيالس:** فارسي معرب ضرب من الكسي. ابن المنظور مادة طلس.

بأثوابا، ولكن الذي يلاحظ أن هذه المناطق كانت مسرحا لأعنف المعارك وأكثرها دموية وبما أن الغنم يحتاج إليه لإطعام الجند فهذا يعني أنه سيكون مقصد الغازين الأول، فيدلنا هذا على مدى الضرر الذي لحق بالصناعة الصوفية في هذه المنطقة. كما لم يعد أهل افريقية يجدون الزعفران لصبغ الملابس، لذا لجأ أهلها إلى استحداث بديل له وهو الطرطار[2] ، واستعمل بعضهم الكبريت ليجعل أكسية الصوف بيضاء ناصعة وأصبحت أسعار الصبغة تتفاوت بتفاوت صعوبة تركيبها أو لعدم وجود مادتا واستيرادها[3].

لذا يلاحظ أن افريقية كانت تصدر قبل ثورة بني غانية إلى المغرب الأوسط والأقصى المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية الغالية الثمن، فأصبح يقتصر تصديرها على جلود الفنك والمرجان أو الملح[4] وغيرها من المنتوجات الطبيعية الخام التي لا تحتاج إلى معالجة.

و من مظاهر تأثير ثورة بني غانية في تدني الصناعة أن اليد العاملة تقلصت كثيرا في ميدان الصناعة بسبب الحروب المتواصلة وأن الكثير من الصناع قد قتلوا في المعارك الدائر ومن بقي منهم حيا ترك مهنته التي لم تعد تفي حتى بتكاليفها، فمن ذا الذي سيشتري الكسى الحريرية والألبسة القطنية الغالية في وقت الحرب، بل إن شرائها ليس سوى تحضيرها للغازي كي يسلبها منه.

وكان مما يدل على تردي صناعة الصوف والنسيج بأفريقية أن المنصور، لما كان ذاهبا إلى لحرب ابن غانية في غزوة الحمة، أراد رؤية القيروان ولما وصل إلى جامعها العتيق(جامع عقبة بن نافع) «نظر إليه وقد طمس التقادم مرآه ومحا الجديدان (تقادم الدهر)نوره وضياه فطير (أرسل بالحمام) إلى شرق الأندلس بنسج كساه والاستعجال في توجيه فرشه وحلاه»[5]، فهذا يدل على خلاء افريقية من أي مركز ولو صغير للنسيج في مدنها، وإن كساء مسجد ليست بتلك المهمة التي تعجز حتى بضعة نساجين، لكن اختيار المنصور للأندلس دليل على الضرر الكبير الذي لحق بصناعة النسيج وان اليد الماهرة هاجرت إلى شرق الأندلس.

---

[1] **درجين:** هي آخر البلاد الجريدية، مدينة قديمة بقرب نفطة، وهي كبيرة، والكساء الدرجيني يشبه الكساء السجلماسي في ثوبه ولونه، لكنه دونه في الجودة. الحميري، الجزء 1، ص236.

[2] وهي مادة تستخرج من الخمر وتعمل لصبغ الملابس باللون الأحمر، المرجع السابق، ص 324.

[3] المرجع السابق، ص231.

[4] الحميري، نفس المرجع، الجزء 1،ص 324.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 190.

ومن الصناعات التي تأثرت أيضا بثورة بني غانية صناعة ماء الورد، التي كانت معروفة بقفصة واشتهرت بالكثرة والجودة حتى انه كان يصدر منها إلى مصر[1]، لكن قفصة بالذات كانت أكثر المدن التي عانت من ويلات ثورة بني غانية وانتقام جميع الأطراف من أهلها (الموحدون، قرقوش ابن عبد الكريم، ابن غانية) وعلى هذا الأساس يفترض أن إنتاج الورد عانى هو الآخر وأوفي له نصيبه غير منقوص .

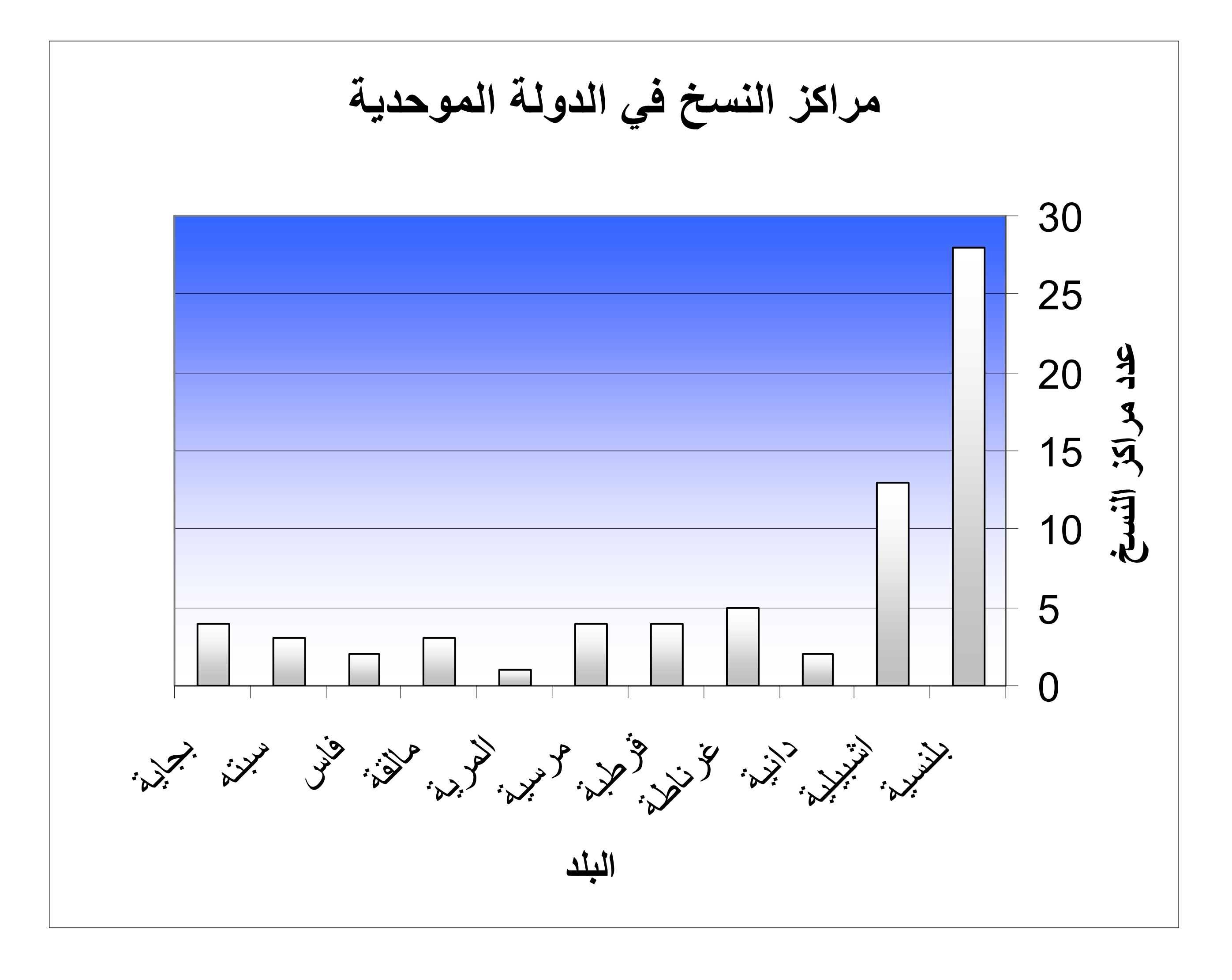
كما انتشرت في افريقية صناعة الورق ولكنها توقفت بسبب الغزو الهلالي ثم جاءت ثورة بني غانية فقضت عليها نهائيا، حيث انعدم إنتاج هذه المادة تقريبا، وذلك بسبب النقص الكبير في إنتاج القطن والكتان الذي يعد المادة الأساسية لهذه الصناعة.

وفيما يلي التمثيل البياني الذي يبين عدد مراكز النسيج في مختلف أنحاء الدولة الموحدية مقارنة مع بجاية [2]

---

[1] عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص 242.

[2] عز الدين احمد موسى، نفس المرجع، ص 266



تمثيل بياني رقم 1 يمثل عدد مراكز النسخ في مختلف الحواضر الموحدية[1]

فمن المعلوم أن بجاية كانت من الحواضر العلمية الكبرى في المغرب الإسلامي عند قيام ثورة بني غانية[2] كما أنها غنية جدا بمختلف الثروات الصناعية والزراعية ، ومع ذلك وبمقارنة نسبة مراكز النسخ لوجدنا الفرق شاسع جدا بين بلنسية(ثمانية وعشرين مركزا) واشبيلية(ثلاثة عشر مركزا)، وبين بجاية (أربع مراكز) حيث يفترض أن تحتل بجاية مركزا متقدما لازدهار الثقافة وتوفر المادة الأولية لصناعة الورق وفي هذا دليل على الأثر الكبير الذي تركته ثورة بني غانية على صناعة الورق وما يتبع ذلك من التأثير على الحركة العلمية.

---

[1] عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص 266. وقد عرض الكاتب جدولا استقاه من مختلف المصادر والمراجع فقمنا بتحويله إلى أعمدة تكرارية لتوضيح أكثر.

[2] انظر الغبريني، المصدر السابق. ص21

ب- الصناعات الاستخراجية:

عرفت افريقية بالكثير من الثروات الطبيعية، فالإدريسي مثلا يروي أن مجانة كانت تعرف بالحجارة الارحاء «التي إليها الانتهاء في الجودة وحسن الطحين حتى أن الحجر ربما مر عليه عمر إنسان فلا يحتاج إلى نقش ولا إلى صنعة»[1]، وان جبال كتامه[2] كانت معروفة بالنحاس[3]، وتونس بخزفها[4]، والخزر[5] بمرجانا قال عنه الإدريسي أنه «يباع بالأموال الطائلة لكثرته وجودته وان عمدة أهلها على هذا»[6]، والملح معروف في منطقة افريقية لوجود سبختين عظيمتين فيها، كما عرفت جيجل بالجص[7] وبجاية بالحديد والزفت والقطران[8]...الخ.

و يحتمل أن يكون هذا النوع من الصناعة (الصناعة الإستخراجية) قد عرف نوعا من الازدهار دون غيره من باقي الصناعات، فصناعة آلات الحرب كالسيوف والرماح والمنجنيقات...الخ تحتاج إلى استخراج الحديد والمعادن وضربا ومعالجتها وهذا لا يتأتى بالغصب أو الإكراه بل على العكس لابد من الرفق والإحسان بل و العطاء الجزيل حتى يتقن الصانع صنعه فتصدق حاملها يوم اللقاء. غير أن هذا لا يعني انه ليس هناك صناعات استخراجية تدهورت بسبب ثورة بني غانية، خاصة تلك التي لا حاجة للحرب با، كصناعة الارحاء والقطران والخزف...الخ، خصوصا وان مراكز هذه الصناعات كانت ميادين للحرب كتونس وبجاية، ففضلا عن تقلص العمل فيها فان كثيرا من الخبرات التي تعمل في معالجة هذه المواد وتحويلها هاجرت من افريقية بسبب الحرب[9].

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص 194.
[2] **جبال كتامه أو جبال الأوراس:** قال عنها الإدريسي: قطعة يقال أنها متصلة من جبل درن المغرب وهو كالأم منحني الأطراف وطوله نحو من 12 يوما ومياهه كثيرة وعماراته متصلة وفي أهله نخوة وتسلط على من جاورهم من الناس. نفس المصدر، ص 165.
[3] نفس المصدر، ص 170.
[4] نفس المصدر، ص 187.
[5] **الخزر:** مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قصبة وحولها عرب كثير وعمارة أهلها لها على صيد المرجان والمرجان يوجد بها كثير وبين الخزر ومدينة بونة مرحلة خفيفة ومن البحر 24 ميلا روسية. نفس المصدر، ص 191
[6] نفس المصدر، ص191.
[7] نفس المصدر، ص170.
[8] عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص 245.
[9] نفس المرجع، ص 246.

3. اثر ثورة بني غانية على التجارة والمواصلات:

أ‌- فقدان الأمن وانتشار الخراب وأثره على التجارة:

إن أفدح خطر أصيبت به افريقية بسبب ثورة بني غانية هو فقدان الأمن وانتشار الخوف بين الناس، وهو داء إذا أصيب به أي عمران كان ذلك آذان بأفول كل نشاط إنتاجي فيها، فلا زراعة ولا صناعة ولا تجارة تصلح في ظل انعدام الأمن.

وقبيل حلول بني غانية كانت افريقية تعرف شيوعا للأمن منقطع النظير لم يكن يعكر صفوه إلا عيث بعض الأعراب هنا وهناك، ومما يذكره المراكشي عن أحوال دولة الموحدين قبل ثورة بني غانية فيقول« ولم تزل أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أعيادا وأعراسا ومواسم وكثرة خصب وانتشار امن ودرر أرزاق وإتساع معايش لم ير أهل المغرب أياما مثلها قط وإستمر هذا صدرا من أيام أبي يوسف»[1] ويريد بصدر من أيام أبي يوسف حتى بداية ثورة بني غانية، ويذكر ابن عذاري حال بجاية قبيل الغزوة فيقول« وقد بلغ أهلها من الاحتفال غايتهم وظل الهدنة في تلك البلاد ممدود، وماء العافية مسكوب، مورد العيش كالأحلام، والدنيا تحية وسلام[2] » وذكر الإدريسي الذي توفي في أول دولة الموحدين أن بجاية كانت في عهده بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبد الدهر شباع وأحوالها صالحة[3]، وكذلك يفسر ابن الأثير سبب ترك السيد أبا زيد، بجاية دون حامية فيقول إن الوالي «سار إلى مراكش ولم يترك فيها جيشا ولا ممانعة لعدم وجود عدو يحفظ منها»[4]. في دعة وأمن منقطع النظير.

وعند بداية المواجهات بين الموحدين و بني غانية كان كل طرف يسعى لإرهاب الخصم بكل السبل، وقد رأينا كيف أنه في كثير من الأحيان يلجأ الموحدون وبنو غانية على حد سواء إلى قطع أشجار النخيل عقوبة للخارجين أو ترويعا للمتحصنين، وكيف أن جيش ابن غانية كانوا يلجؤون إلى السلب والنهب أيا كانت نتيجة المعركة.

ولكن ابن غانية فاق الموحدين كثيرا في هذا الميدان. فقد كان أسلوبه في الحرب أو السلم أسلوب الطاغية المطلق لا يعرف للحق أو للعدل معا ، فلم يكن فلا في ظله ضمان للعسف أو

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 182.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 174.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص 162.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 12، ص 507.

الأموال أو الحرم بل كان يتميز قبل كل شيء بالقتل والغصب واستباحة الحرم، وكانت حكومتـة ليست سوى حكومة عصابات ناهبة لم يكن لها سند في سلطانا سوى ɋرهاب المطلق[1]، وانظـم إليه بذه الخصال كل مفسد في تلك الأرض ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحرم وقطعوا الأشجار[2]، وكانت أعمال الانتقام التي يشنها مع أتباعـه من القسوة والدمار للايث تملؤ الذعر في نفوس هؤلاء الذي عاصروا وشاهدوا ما حدث من الدمار الشامل[3] فنتǰ عن ذلك تقهقر العمران وتعرض الكثير من مدنا إلى قساوة النهب والتخريب الـتي إنتابتها وقضت على الكثير من معالم فيها[4].

ومما يرويه ابن عذاري عن حال بجاية بعد فرار الميورقي وتمكن الموحدين من تحريرها انـه تبع ذلك حالة من الفوضى إلى درجة أهدر قائد الجيش الموحدي دم كل من يثبت عليه السـلب والنهب[5]. وحتى بعد أن هدأت الأوضاع فلم تعد بجاية كالتي كانت مـن قبـل فقـد «خـف قطينها(بمعا نقȌ عدد سكانا) وعمارتا وأنتهبت زروعها وغلاتا وقلت خيراتا وعدمت مرافقها وأقواتا وألم بالرعية الحيف وتقسمهم الجلاء والسيف، واعتصم من نجا منهم بقمم الجبال و الأوعار واحتمى من ركن منهم إلى إحياء العرب بالجوار فأقفرت من بجاية بسائطها وقلت مادتا وغلـت أسعارها وتعذرت الجباية، وجاوز تقتيرها النهاية فتسلل من القبائل خيلا ورجلا معظم سـوادهم، وتسربوا مع الأيام فرارا من ɋعدام إلى أقطارهم وبلادهم ولم يبقى إلا من يعرف بعينه وإسمه و لا ساǶ له الرحيل عن قومه»[6].

وعبثا حاول السيد أبو زيد والي بجاية إصلاح حالها فقد كانت «ɒلɒاعة تشتد والوباء يزيد حتى عمهم الموتان وبطرت معيشتها الرخم والعقبان وɒƲصر المسلوبون والمغصوبون إلى البلد في أمم لا تحصى عديدهم ولا ينادى من ɋقتار وليدهم وعجز أهل البلد عن تكفين الموتى وعن مواسـاة الأحياء فكانوا يصبحون في الخرب في سكة المدينة زمرا أمواتا ذكورا وإناثا[7]»، وحـتى أن بعـض الناس استغلوا هذا الظرف وأوغروا صدر المنصور ضد السيد أبا زيد واتموه بالتقصير في تـرميم

---

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 267.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص520.

[3] عصام سالم سيسالم، المرجع السابق، ص 387.

[4] المطوي، المرجع السابق، ص 21.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 180.

[6] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 180.

[7] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 181.

البلاد غير أن المنصور تريث في العقوبة وبعث إليه معاتبا، ويبدوا أن المنصور كان يدرك ما حل بالبلاد من الخراب الكبير لهذا اكتفى بعتابه فقط[1].

فكل هذا الخراب حدث مع أن بجاية لم يحدث فيها أي حرب ذي بال (فر بنو غانية للصحراء لما علموا بمسير الموحدين إليهم) فما بالك بالمدن التي حاصرها إبن غانية ثم دخلها عنوة كقابس وتونس وباجة وغيرها.

ففي قابس سار إليها ابن غانية وقطع كل نخيلها إلا واحدة، تركها للعبرة، وأغرمهم مائة ألف دينار عقوبة لهم ثم خفضها فيما بعد إلى ستين ألف[2]، و حتى هذا التخفيض قد يكون مرده أن ابن غانية يأس من أن يكون في حوزة الناس ما يصل إلى مائة ألف دينار، وفي تونس دخلها ابن غانية عنوة و فرض على أهلها غرامة قدرها مائة ألف دينار ووكل على قبضها من الناس كاتبيه ابن العصفور، وأبا بكر بن عبد العزيز بن السكاك، فعذبوا الناس على دفعها حتى قتل بعض الناس أنفسهم فرفع عند ذلك ابن غانية الطلب ببقيتها، [3] و نازل باجة وفتحها وخربها وقتل عامل الموحدين فيها عمر بن غالب وفر سكانها المنكوبين إلى الاربس خوفا على أنفسهم، لكن و بعد مدة رجعوا إليها بضمان من السيد أبي زكريا والي بجاية فزحف إليها ابن غانية مرة أخرى،ونكل بسكانها، و في طرة من بلاد نفزاوة لما بلغ ابن غانية نقضهم لطاعته سار إليهم وقاتلهم حتى افتتح بلادهم ثم أطلق الجند عليهم فقتلوا الرجال وانتهبوا الأموال وافترعوا الأبكار وخربوا الديار وتركوا طرة خاوية على عروشها، وفر من نجا منهم و تفرقوا في بلاد نفزاوة[4]. وفي توزر دخل إبن غانية البلد عنوة، وزيادة على القتل والتشريد، استصفى ابن غانية أموال الناس ثم فرض عليهم أموالا أخرى زيادة على التي دفعوها ليفتدوا بها أنفسهم، فكان الرجل منهم ينادى عليه فان وجد من يفديه أطلق سراحه و إلا رمي بعد قتله في بئر هناك تسمى بئر الشهداء[5]، وبلغه أن أهل جبل نفوسه قد نكثوا بيعته فسار إليهم فأغرمهم ألف ألف (مليون) دينار. وبلغه أن أهل بسكرة نقضوا

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 181.
[2] التجاني، المصدر السابق، ص 67.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 231.
[4] التجاني، نفس المصدر، ص147.
[5] نفس المصدر، ص 165.

طاعته فسار إليهم وقطع أيدي الكثير منهم. أما أهل طرة من بلاد نفزاوة فقد سار إليهم وحرق عليهم دورهم لما رفضوا دفع الخراج[1]

و هكذا كان ابن غانية كلما دخل قرية إلا واغرم أهلها الغرامات الباهظة- زيادة على القتل والتشريد- و كان يشتط في طلبها حتى أن احدهم يخير بين القتل أو الدفع. فقد كان لحاجة إلى المال لتمويل حروبه التي لا تنتهي فكان سلب الناس أيسر السبل لتحصيله.

وكذلك خرب ابن غانية في حروبه العديد من المدن والحلات كقصر عجيسه[2] وزرعة الخضراء[3] وشلف ومتيجة وحمزة[4] ومرسى الدجاج[5] والجعبات والقلعة وآشير، وكانت بلاد الجريد من أكثر المناطق تضررا، فقد خربت فيها الكثير من القصور بل مدن بأكملها[6] وخرب أكثر من مائة قرية في ورجلان[7] ونحو مائة قرية في تماسين وثلاثين قرية في ميزاب[8].

أما في تلمسان فقد انقض جند ابن غانية على تلك المنطقة، التي كانت تحسب نفسها في مأمن منه، وعاثوا فيها عيث السباع الضاريات وأغار على تاهرت فكان ذلك آخر العهد بعمرانها، وبقيت خالية قرون عديدة[9] . وفي المغرب الأقصى فعلى الرغم من أن ابن غانية لم يصل بجيوشه إلى تلك المنطقة إلا أن المنصور غرب قبيلتي جشم ورياح إلى المغرب الأقصى عقابا لهم على تحالفهم مع

---

[1] التجاني، المصدر السابق، ص24 وما بعدها.

[2] **قصر عجيسه** قال عنها البكري: جبل قرب المسيلة وبالقرب منه جبل بني برزال والقباب أما العجيسة: وهم بطون البرانس فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة وكان لهم بين البربر كثرة وظهور وكانوا مجاورين في بطونهم لصنهاجة. وبقاياهم لهذا العهد فى ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة وكانت منهم من بطون يسكنون جبل القلعة وثارت بينهم الفتن بين بني حماد فتفرقوا . البكري، المصدر السابق ص 59 وابن خلدون، نفس المصدر الجزء 5 ص124.

[3] **زرعة الخضراء** قال عنها البكري: على مقربة من تنس وهي مدينة كبيرة على نهر خرار عليه الارحاء وإذا حمل دخل إلى المدينة وحولها بساتين كثيرة ويسكنها من قبائل البربر بنو دمر ومديونه. البكري، المصدر السابق، ص 75.

[4] **سوق حمزة** قال عنها البكري: سوق حمزة مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة وبينها وبين مرسى الدجاج نحو ميل.نفس المصدر، ص65.

[5] **مرسى الدجاج** قال عنها الإدريسي: : مدينة كبيرة القطر لها حصن دائر بها وبشرها قليل وربما فر عنها أهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفا من قسط الأساطيل إليها ولها مرسى مأمون ولها ارباض ممتدة وزراعات متصلة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة. الإدريسي، المصدر السابق، ص 159.

[6] مبارك الميلي، المرجع السابق، الجزء2، ص321.

[7] **ورجلان** قال عنها الإدريسي: تبعد نحو 14 يوما عن بلاد الجريد نحو 20 يوما من بلاد غدامس اشتهرت بدنانيرها **وارجلان** في طرف الصحراء مما يلي إفريقية :وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض أكبرها تسمى **أغرم ن يكامن**، معناه بلاد الشهود، وفيه حصن العهود. وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين، كثيرة المياه، وهم يسقون جناتهم وزرعوهم ونخلهم. وتضرب ببلاد وارجلان دنانير على نوع المرابطينة، لكنها نازلة فيها تحميل كثير، والدنانير الورجلانية مشهورة. الادريسي، ص 241.

[8] محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع، تونس. ص 25 ولا يرد ذكر هذه المدن في المصادر الجغرافية التي وقعت بين أيدينا ولا في الكتب التي تتحدث بني غانية.

[9] الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 140.

ابن غانية، غير أن هؤلاء بدأوا يغيرون على ا‡لات والطرقات، ونقلوا ما كانوا يقومون بـه مـن تخريب إلى المغرب الأقصى، وعانى أهل تلك المنطقة ما عاناه أهل أفريقية حتى أن المنصور نـدم في آخر حياته اشد الندم على تصرفه[1].

ب- اثر العرب في ثورة بني غانية

وهنا نأتي إلى نقطة مهمة في ثورة بني غانية وهو سبب اتشاح ثورة بني غانية بهذه السمة المريعة من الوحشية والتخريب.

فقد دخل الميارقة إلى افريقية وهم تقريبا غرباء عن المنطقة فلم يكن لهم قبيلة أو عصـبية[2] كبرى يلجؤون إليها في حربهم؛ وقد رأينا كيف أن الملثمين لما غزوا بجاية في أحسن تعبئـة مكنـة قوامها عشرين سفينة فيها مائتي فارس وأربعة آلاف راجل[3]، فرد عليهم الموحدون للامة قوامها اثنا عشر ألف جندي من البر والبحر، فكان هذا من المشاكل الكبرى التي واجهت الميارقـة، أي قلـة عددهم إذا قورن بتعداد الجيش الموحدي[4] وقد أدرك بنو غانية ذلك بعد فشلهم في غزوتهم لبجاية فساروا إلى بلاد الجريد للاثا عن ظهير، فكانت العرب العنصر الموصوف.[5]

لكن و على الرغم من أن الأعراب كانت أحلاف ابن غانية في الغالب إلا أنهـم كـانوا كثيرا ما ينقلبون عليه هو الآخر فلم يكن لهم ولاء سوى انتـهاز الفـرص والكسـب المـادي الرخيص[6]، ومن أوضح آثار هذا التقلب ما حدث في معركة نفوسه حينما فرت بعض قبائل العرب وكاد الجيش الموحدي أن ينهزم لولا ثبات الشيخ أبو محمد ثم إن بعض قبائل بني عوف "انقلبت" على بني غانية ومالت إلى الموحدين فكان ذلك سببا في هزيمة أجبرت يحيى على السـكون سـنين طويلة فإذا كان الشيخ أبو محمد قد ثبت فان الأعراب الذين كانوا يشكلون أغلبية جيش ابن غانية

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 263.

[2] العصبية هي الجماعة تربط بينها لحمة النسب تتعاون تتكاتف للوصل إلى الحكم عبد الله شريط، التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1975. ص 3 وما بعدها.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 507.

[4] المطوي، المرجع السابق، ص 132.

[5] نجد في مقدمة العلامة ابن خلدون فصل بعنوان : **في أن العرب إنما يتغلبون على البسائط** يشرح فيه أسلوب الأعراب في القتال الذي هو صورة طبق الأصل عن أسلوب الأعراب الذي كانوا مع ابن غانية أي أن غايتهم الأساسـية السـلب والنهب والتخريب دون النظر اعتبارات اخرى. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل بيروت لبنان، ص164.

[6] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 399.

لا يثبتون في حرب نتائجها غير مضمونه، لأن الهدف من هذه الحروب هو الحصول على الغنـائم وليس فقدان الأرواح.

وكان ابن غانية يدرك هذا الأمر حق الإدراك وأن الأعراب لم يتحالفوا معه إيمانا بقضيته أو ولاءً لعصبيته ولكن لأنه يفتح لهم باب السلب والنهب، وان صدق الولاء منوط دائما بصـدق العطاء، فكان لهذا دائم الإغداق عليهم بالهبات والعطايا- وهذا الكرم سيكون من أمـوال النـاس وأرزاقهم بالطبع- فكان هذا من أهم الأسباب التي جعلت الثورة تتشح بهذا الطابع التخريبي.

ج- التجارة مع بلاد المشرق وبلاد السودان

عرفت الدولة الموحدية قبل ثورة بني غانية رخاء تجاريا كبيرا لأن الدولة سيطرت بشكل تام على الأوضاع، خلا بعض الأوقات، كما حرص الخلفاء على تحري العدل وإشاعة الأمن بـين الرعية، وكان كلما تولى خليفة إلا وبعث رسائل إلى الآفاق يحثهم فيها علـى تحـري العـدل في أحكامهم والعمل بالشريعة الإسلامية و إشاعة الأمن[1].ولكن بعد اندلاع ثورة بني غانية انقلبـت الأوضاع رأسا على عقب، وأصبح ابن غانية كأنما يحث أتباعه على تحري الحيف وإشاعة الخـوف بين الناس والعمل بالظلم والطغيان.

ولما كانت أفريقية بوابة بلاد المغرب على المشرق فقد تأثر هذا الطريق بشـكل خطـير، وكان من أول الحركات التي تأثرت بالثورة به هي حركة الحج، فالحج فريضة يؤديها المسـلمون سنويا، لكن بسبب زحف بني هلال ثم ثورة بني غانية فيما بعد أصبحت بـلاد المغـرب تقريبـا مقطوعة الصلات من جهة البر مع المشرق[2] وتحولت الكثير من الطرق التجارية التي كان يسـلكها الناس للعبور إلى الحرمين إلى حذاء الساحل عبر وادي مجردة نحو الغرب[3]، وكان من نتيجة ذلك أن إنتعش إستعمال الطرق الساحلية بينما ظل إستعمال الطرق الداخلية جزئيا، وازدهرت لذلك مدن تنس وطرابلس كبجاية وتنس، وأصبح أهل تونس يفضلون ركوب البحر للذهاب إلى المشرق[4].

ولم يقتصر تأثير ثورة بني غانية على الحركة التجارية بين المشرق والمغرب فحسب، فقـد كانت بلاد الجريد تشكل مجموعة النهايات الشمالية لطرق القوافل السودانية ونقاط قدوم الذهب

---

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 550.

[2] مورنيس لومباردو، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامية من خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر العاصر، بيروت لبنان، ص 89.

[3] جورج مارسيه، المرجع السابق، ص242.

[4] عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص 308 وما بعدها.

والرقيق الأسود وتوزيعها على بلدان البحر الأبيض المتوسط (وهذا يفسر حرص ابن غانية الشديد عليها)وابتدأ ظهور هذه المراكز في أوائل القرن 3هـ/ 8م وأصبحت في النهاية مراكز عمرانية مزدهرة[1] ولكن لسوء الحظ كانت هذه المنطقة من أكثر المناطق التي عانت من ثورة بني غانية كما قدمنا مما يعني انصراف التجار عنها وتدمير تلك الشبكة التجارية الرائجة.

د- التجارة مع الجزائر الشرقية وأوربا المسيحية

أما عن التجارة الخارجية فقد كانت التجارة بين الجزائر الشرقية و افريقية مستحكمة قبل غزوة بني غانية، خاصة تجارة العبيد، فقد كان بنو غانية يحترفون هذه التجارة ويرللون منها أموالا طائلة بسبب انصرافهم لغزو سواحل قطلونيا وغيرها من السواحل الأوربية، حتى أن بني غانية اتخذوا من بيع السبي حيلة ليخادعوا أهل بجاية[2]، غير أن هذه التجارة إنقطعت نهائيا بعد غزوة بجاية لأن الدولتين أصبحتا متحاربتين.

أما التجارة الخارجية مع أوربا فقد تأزمت هي الأخرى كثيرا بسبب تأييد بعض الدول لبني غانية في حربهم ضد الموحدين، كالنورمان الذين أيدوا بني غانية كثيرا حتى أدى ذلك إلى تأزم العلاقات مع الموحدين فضيق النورمان بدورهم على مسلمي صقلية- زيادة على التضييق الكبير الذي كانوا يعانون منه- و هاجر الكثير منهم إلى تونس والمهدية[3] من جراء ذلك.

وعلى العموم فقد تأزمت التجارة مع صقلية تأزما بالغا فقد كان الصقليون حلفاء أوفياء لبني غانية، وقد رأينا كيف أنه لما قلب ابن الربرتير الحكم في ميورقة وأدخل الجزائر في طاعة الموحدين أمد صاحب صقلية غليم الثاني عبد الله ابن غانية بسفن، فساعده ذلك على استعادة جزائرهم، التي بالكاد دخلت في طاعة الموحدين، لذا يمكن أن تكون تجارة الموحدين مع صقلية قد توقفت تماما بسبب هذا الموقف العدائي السافر من صقليين.

أما مع ايطاليا فقد كان لجمهورياتها الكبرى كبيزة وجنوة وغيرها تجارة رائجة مع ساحل الدولة الموحدية، وكانت لها إتفاقيات سارية المفعول قبل ثورة بني غانية، غير أن تحالف بيزا مع الميورقيين أدى إلى توتر العلاقات، ولما عقد المنصور إتفاقا جديدا مع بيزا سنة 582هـ/1126م كانت شروطه قاسية؛ منها التأكيد على منع القرصنة، وألا يتاجر أهل بيزا إلا في سبتة ووهران

[1] موريس لومباردو، المرجع السابق، ص89.
[2] راجع دخول بني غانية بجاية ص 20.
[3] حسان حلاق، المرجع السابق، ص 284.

وبجاية وتونس، وألا ينزلوا ساحلا إلا للضرورة وألا ينزلوا المرية إلا لإصلاح سفنهم، وألا يحملوا على سفنهم أحدا من المسلمين، ومن خالف شرطا من هذه الشروط فدمه مباح[1].

ويلاحظ هنا أن الموحدين شددوا في الاتفاقية على أن لا يحملوا أحدا من المسلمين خشية أن يستغل بنو غانية تجار أهل بيزة ليتنقلوا بين جزرهم وأفريقية آمنين مطمئنين، وكذلك حدد المنصور الموانئ التي يمكنهم الرسو فيها ليتمكن الموحدون من مراقبتهم والتحرز منهم خشية أن ينقلوا جيشا كالذي نقله بنو غانية، وهذا كذلك يفسر لنا تشدد المنصور حتى انه أهدر دم كل من يخالفها.

4. تأثير ثورة بني غانية على خراج افريقية

أ- نفقات ثورة بني غانية :

وبعد، كيف كان أثر كل هذا الخراب على اقتصاد الدولة الموحدية؟ لأن الخراب الذي خلفته ثورة بني غانية يعني أنه استنزف موارد الخزينة استنزافا بالغا. فعلى سبيل المثال في غزوة بجاية لأفريقية مثلا سير المنصور حملة من اثنا عشر ألف مقاتل من البر والبحر وعندما سار مرة أخرى لافريقية سار بجيش قوامه عشرين ألفا من خيرة المقاتلين[2] وعندما سير الناصر حملة الموحدين للقضاء على بني غانية في الجزائر الشرقية حشد لذلك «ألفين ومائتي فارس و سبعمائة رامي وخمسة عشر ألف راجل غير غزاة القطع وكان تعداد الأسطول ثلاثمائة جفن منها سبعين غرابا و ثلاثين طريدة وخمسين مركبا كبيرا وسائر قواربا أما عدد السلاح والمنجنيقات والسلالم والمساحي والفؤوس والمعاول والحبال فشيء لا يأخذه العدد وكذلك الدروع والسيوف والرماح والبيضات والدرق والقسي وصناديق النشاب وجملة وافرة من الطعام[3]» . وعلى الرغم من أننا لم نقع على عديد الجيش الذي سار به الناصر إلى أفريقية إلا أنه يفترض أن يكون ضخما جدا لأن إبن غانية بلغ أوج قوته في تلك الفترة والقضاء عليه يتطلب قوات ضخمة. وهذه الأعداد الضخمة من الجيوش ستتولى الدولة نفقاتها من أكل وشرب ومقام وعلاج وصناعة الأسلحة ونفقات الدواب وطعامها طوال مقام الجيش في افريقية وقد رأينا ما أدى إليه هذا الاستنزاف لموارد الخزينة حينما عجز الخليفة

[1] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 268.
[2] ابن الاثير، المصدر السابق، الجزء 11، ص 521. ومع ذلك يرى ابن الأثير أن عدد هذا الجيش قليل وسبب قلته ماجرى من تخريب للبلاد وصعوبة تموين الجيش من جراء ذلك.
[3] الحميري، نفس المصدر، الجزء 1، ص 125.

الناصر عن دفع رواتب الجند فكان ذلك من أهم أسباب هزيمة العقاب التي كانت بدورها من أهم أسباب سقوط الدولة الموحدية

وعلى الرغم من أننا لم نقع على أرقام مفصلة عن تكاليف كل حملة، إلا أننا سـنحاول استنباط هذه التكاليف من خلال إستقراء بعض المعطيات التاريخية وبعض الأرقـام الـتي أمـدنا المؤرخون بها.

و يخبرنا الأستاذ عز الدين احمد موسى في كتابه "النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي" أن سعر القمح أو الشعير بلغ في أوقات الرخاء خلال القرن السادس هجري (القرن الذي اندلعت فيه ثورة بني غانية) خمسة وعشرون مدا (حفنة) بدراهم، وذكرنا سابقا أن المدة الـتي اسـتلزمت دخول الموحدين إلى بجاية هي نحو سبعة اشهر، وإفترضنا أن كل جندي سيتناول أربعة أمـداد في اليوم الواحد، وعلى ضوء هذه المعطيات أنشأنا الجداول التالية:

نفقات استهلاك الجيش الموحدي للقمح أو الشعير من خروجه من مراكش إلى وصـولـه إلى بجاية في غزوة بني غانية الأولى

حملة بجاية	
كيفية حساب القيمة	**النتيجة**
عدد الجند	12000[1]
• ثمن 25 مدا من القمح أو الشعير	25 مد بدراهم وقدرنا أنها خمسة دراهم
• نقوم بقسمة الخمسة دراهم على الخمسة وعشرين مد لمعرفة ثمن المد الواحد 0.2=25/5 • تمثل النتيجة 0.2 ثمن المد الواحد • نضرب ثمن المد الواحد في 4 على فرض أن كل جندي سيأكل أربعة أمداد في اليوم الواحد 0.8=4×0.2 • وتمثل 0.8 ثمن ما يأكله جندي واحد في يوم واحد	0.8 درهم
• نضرب قيمة 0.8 في عدد الجنود الحملة الموحدية(12 ألفا) 12000 جندي ×0.8 درهم =9600 درهم تمثل 9600 درهم ثمن ما يأكله الجيش الموحدي في يوم واحد	9600 درهم
• نحسب عدد الأيام التي سار فيها الجيش الموحدي وصولا إلى بجاية أي حوالي 7 اشهر (من 6 شعبان 580هـ إلى 19 صفر 581هـ)	196يوم
المجموع بالدراهم تحصلنا عليه عن طريق ضرب 9600 التي تمثل ما يستهلكه الجيش الموحدي من قمح وشعير بالدراهم × 196 يوم التي تمثل مدة التنقل 196×9600=1833600 درهم	1833600 درهم (مليون و ثمانمائة وثلاثة وثلاثون ألف وستة مئة درهم)

جدول 1

[1] ابن عذاري، القسم الموحدي، ص177.

نفقات أكل الجيش الموحدي في حملة المنصور من قمح أو شعير ابتداء من خروجه مـن مراكش إلى وصوله إلى تونس

حملة المنصور	
كيفية حساب القيمة	**النتيجة**
عدد الجند	20000 (عشرين ألف)
25 مد / 5 (لمعرفة ثمن المد الواحد)	0.8
عدد الجند(20000) × 0.8 (ثمن الامداد التي سيستهلكها كل جندي في اليوم الواحد)	16000 درهم
مدة سير المنصور في حملته إلى افريقية، من خروجه إلى مراكش في 3 شوال 582 هـ وصولا إلى تونس في 4 صفر 583هـ	120 يوم
المجموع بالدراهم	1920000 مليون وتسعمائة وعشرين ألفا درهم

جدول 2

فإذا قدرنا أن تكاليف مسير حملة الناصر إلى افريقية مساوية لتكاليف مسير حملة المنصور -وهي أكثر بالتأكيد-كما قدمنا نجد أن المبلηا ℓPqالي يصـل إلى 5.673.600 (Rسـة ملايـين وستمائة وثلاثة وسبعون ألفا وستمائة درهم)

اجمالي تكاليف الحملات	
حملة استرداد بجاية	1833600
حملة المنصور	1920000
حملة الناصر	1920000
المجموع 5673600 (خمسة ملايين وستمائة وثلاثة وسبعون ألفا وستة مئة)	

جدول 3

فإذا علمنا أن هذه النتيجة تشمل مدة مسير الجيش الموحدي من العاصمة إلى ميادين القتال فقط دون حساب نفقات الحرب الأخرى (تكلفة الطعام أثناء مقام الجيش والأسلحة والعلاج ورواتب الجند وبركاتم، ونفقات إصلاح الخراب الذي لحق بمختلف المدن) كما أننا لم نحسب نفقات حملة الناصر على ميورقة و النفقات التي أنفقها الشيخ أبو محمد لإصلاح ما أفسده ابن غانية ونفقات الحروب الضروس بين إبن غانية والشيخ أبي محمد، قدرنا أن المبلغ الحقيقي هو أكبر من المبلغ المذكور أضعافا مضاعفة، بل لا نبالغ إذا قلنا أن النفقات كانت خيالية.

ب- أثر ثورة بني غانية على الخزينة الموحدية

لمعرفة مدى تأثر بيت المال الموحدي استعنا ببعض الأرقام التي أمدتنا بها بعض المصادر كالتجاني و المراكشي وفي حال عدمنا أرقاما واضحة فإننا لجأنا إلى التقدير قياسا على حالات سابقة.

فالمراكشي يذكر أنه كان يرتفع إلى بيت المال الموحدي قبل ثورة بني غانية وقر مئة وخمسين بغلا (ما يحمله مئة وخمسين بغلا من الذهب)[1] وفي عصر المنصور يمكننا أن نتوقع أن خراج إفريقية نقص بمقدار 90 %، في حملة المنصور على إفريقية قياسا على ما يرويه إبن عذاري أن خراج بجاية قد انعدم كليا بعد فرار بني غانية منها[2] على الرغم من أنه لم تحدث فيها أي معارك ذي بال، وبالتالي يمكننا القول أن خراج أفريقية قد نقص نقصا حادا بسبب سيطرة الميورقي على اغلب أنحائها، أما قبيل مسير الناصر إليها فمن المستحيل أن نتوقع أن يدخل بيت المال الموحدي درهما واحدا من افريقية بعد أن سيطر ابن غانية على أغلب مناطقها وإستباحها اثنا عشر سنة

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 125.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 180.

يصول ويجول شرقا وغربا أرجائها، أما عن حملة الناصر فالتجاني يروي أن ما أنفقه الناصر في هذه الحملة بلغ مئة وعشرين حملا (حمل بعير) من الذهب[1].

ومع أننا لم نقع على أرقام تمكننا من تقدير حالة خراج افريقية بعد رجـوع الناصـر إلى مراكش، إلا أنه بوسعنا التأكيد على أن خراج أفريقية عرفت تحسنا ملحوظا بسبب الهزائم المتتالية التي لحقت بابن غانية والغنائم العظيمة التي كان يغنمها الجيش الموحدي، مثل معركة تاجرا الـتي بلغت غنائمها للاسب ابن خلدون ثمانية عشر ألفا من المال وغنائم معركة نفوسه التي بلغت ثمانيـة عشر ألفا من الخيل فقط وفتح المهدية واستيلاء الموحدين على كل أموال يحيى وذخائره، يستثنى من ذلك المرحلة التي تلت وفاة الشيخ أبو محمد حيث عاد ابن غانية للظهور من جديد، ولكـن مـن المؤكد أن افريقية لم تعد إلى سابق عهدها إلا بعد مات ابن غانية.

ويمكننا أن نلخص ما قلناه في المنحنى البياني التالي.

---

[1] التجاني، المصدر السابق، ص362.



منحنى بياني رقم 1 يمثل تأثير ثورة بني غانية على بيت المال الموحدي

II. النتائج الثقافية لثورة بني غانية

1. الصراع المذهبي في ثورة بني غانية

للوهلة الأولى يبدو للباحث في هذه الثورة أنا كانت صراعا سياسيا بحتا لا وجـود لأي عامل مذهبي فيه، غير أننا إذا رجعنا إلى مذهب الموحدين وبني غانية نجد أن للعامل المـذهبي دور كبير في تحريك هذه الثورة؛ فقدكان المرابطون أتباعا للمذهب المالكي[1] شديدي التمسك بـه، في حين كان الموحدون يميلون للمذهب الظاهري[2]، سائرين في ذلك على خطى إمامهم المهدي بـن

---

[1] **المذهب المالكي:** نسبة إلى الإمام مالك إمام دار الهجرة ولد سنة 93هـ في المدينة وفيها نشأ طلب العلم فيها حتى أصبح من كبار الفقهاء في العالم الإسلامي عرف مذهبه بالاقتصاد في العمل بالرأي والاعتماد على الحديث وعمل أهل المدينة انتشر مذهبه في المغرب انتشارا ساحقا من أشهر كتبه **الموطأ** و **المدونه الكبرى** توفي سنة 179هـ. انظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تنوير الحوالك عن موطأ شرح على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء 1، بدون تاريخ، ص 1 وما بعدها..ومحمد بن سعد بن متع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان، الجزء 5، ص 465.

[2] **المذهب الظاهري:** ينسب هذا المذهب إلى الشيخ أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني ، ولد بالكوفة عام 202هـ ، وتوفي عام 270هـ ، اشتهر بالأخذ بظاهر النصوص والأعراض عن أي مصدر آخر خاصة القياس والاستحسان ومن أهم أعلامه العالم الشهير ابن حزم قد ولد بقرطبة عام 384هـ ، وتوفي عام 456هـ وكذلك أبو داود الظاهري. انظر محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه، دار الفكر العربي – القاهرة 1978م.

تومرت. ومن أهم مظاهر هذا الاختلاف ما فعله المنصور حينما أمر بإحراق كتب الفروع في المذهب المالكي ونبذ ما سوى الكتاب و السنة في استنباط الأحكام الشرعية، قال المراكشي « وكان قصده من ذلك محو مذهب مالك من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن و السنة»[1]. ففسر هذا من طرف العامة انه عداء سافر لمذهبها، لان المذهب المالكي كان المتمكن في قلوب العامة بلا منازع.

وقد كان لنفرة الموحدين هذه من المذهب المالكي سببا لنفور العديد من العلماء منهم، ودافعا لتأييد ثورة بني غانية لما دخلوا إلى بجاية، مثل الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الإشبيلي[2]، الذي عرض عليه الموحدون منصب القضاء فرفض فلما دخل بنو غانية بجاية عرضوه عليه فقبل، فحنق عليه المنصور وأهدر دمه، غير أنه توفي حتف انفه قبل دخول الموحدين إلى بجاية[3].

ومن العلماء الذين ناصروا بني غانية أيضا أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة، وكان قاضيا في نواحي بجاية وكان متقدما في العربية والأدب، فلما غزا بنو غانية بجاية امتدحهم وانشد بين أيديهم بل إنه كان خطيبهم يوم الجمعة فخطب وقال «الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه»[4] وفي هذا دليل على أن الكثير من الفقهاء ظلوا يرون أن المرابطين هم الحكام الشرعيين وأن إسقاط دولتهم كان غدرة من غدرات المصامدة؛ وقد رأينا كيف أن الموحدين قتلوا كل من تعاون مع بني غانية في بجاية فلعل الذين تعاونوا معهم شاركوا الفقهاء المالكية في الرأي.

على أن هناك طائفة أخرى من الفقهاء رأت أن حكم الخوارج[5] ينطبق على بني غانية،

---

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 198.

[2] **زاو عبد الح5 بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي:** عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن سعيد بن إبراهيم الازدي الاشبيلي 514-582هـ نشأ بها ثم انتقل إلى لبه ثم رحل عن الأندلس بنية الحج فلم يتيسر له ذلك فأقام في بجاية وبها ألف تواليفه المعروفة منها كتاب الأحكام الكبرى والصغرى وكتاب الرقائق والعاقبة والتجهد. انظر أبي جعفر احمد بن إبراهيم بن الزبير اليقفي العاصي الغرناطي صلة الصلة تحقيق عبد السلام العراس الشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف المملكة المغربية، 1994. ص 214.

[3] نفس المصدر، ص198.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص77.

[5] فرقة اسلامية ابتدأ ظهورها بالخروج على علي ابن أبي طالب رضي الله عنه اشتهرت بتطرفها وكان لها دور كبير في الحركة السياسية في المغرب الإسلامي في القرون الثلاثة الاولى. الفرد بيل الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة عبد الرحمن بدوي دار الغرب الإسلامي 1990.ص21.

ومن هؤلاء الفقيه حسن بن علي بن محمد المسيلي[1]، الذي دخل الميارقة على بجاية وهو عليها قاض فأكرهوه على بيعتهم وكانوا يتلثمون فامتنع عن البيعة وقال: لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أم امرأة فكشف الميورقي له وجهه. ولو لا علو منصبه وحاجتهم لنصير من مثله لقتلوه[2].

ولكن إذا رجعنا إلى ترجمة هذا الفقيه عرفنا سبب تمسكه ببيعة الموحدين، فقد كان هـذا الفقيه يلقب بالغزالي الصغير من شدة تشبهه بأبي حامد الغزالي[3]، ومن المعلوم أيضا أن المهدي بـن تومرت، المؤسس الروحي للدولة الموحدية، تأثر أيما تأثرا بالغزالي، حتى زعم انه درس عليـه وانـه بشره بسقوط دولة المرابطين على يديه[4]. فتمسك المسيلي ببيعة الموحدين إذن هو تمسـك ببيعـة إخوانه في المذهب. و جزء من صراع بني غانية مع الموحدين هو صراع بين المذهب المالكي الـذي يقف عند النصوص ولا يجاوزها إلى غيرها في الفقه والعقيدة وبين ظاهرية أشاعرة[5] لا يترددون في إعمال العقل حتى في أخطر الأشياء في الدين ألا وهي صفات الرحمن[6].

ونجد هذه مثل هذه الوقعة حدثت قبل هذه أيضا بطريقة مذهلة، حينما قـام القاضـي عياض[7] ؛وهو من اكبر علماء المالكية في بلاد المغرب بلا منازع، بتحريض الناس على الخروج على

---

[1] **حسن بن علي بن محمد المسيلي 580ǉø/1185!** فقيه من أهل بجاية ولي قضاءها مدة وتوفي بها وكان ينعت بابي حامد الصغير تشبيها له بابي حامد الغزالي لتأليفه كتاب: التفكر فيما اشتملت عليه السور والآيات من المبادئ والغايات على نسق إحياء علوم الدين ومن كتبه التذكرة في أصول علم الدين، والنبراس في الرد على منكري القياس، نسبته إلى مسيلة من بلاد المغرب. الزركلي، المرجع السابق، ج2 ص 203.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص 124

[3] **أبي حامد الغزالي:** 450هـ/505هـ فقيه ومتكلم ومتصوف ولد بمدينة طوس من بلاد خرسان درس على أبو المعالي الجويني في نيسابور كما درس في المدرسة النظامية في بغداد بتكليف من نظام الملك وجال في العديد من البلدان الاسلامية من اشهر كتبه إحياء علوم الدين وهو كتاب في الفقه كتبه على طريقة المتصوفة ونال شهرة واسعة كما له اكتب أخرى كالمستصفى وفضائح الباطنية...الخ توفي في نيسابور. الإمام محمد أبو علي، أبو حامد الغزالي محمد أبو علي، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،القاهرة، 2001.

[4] يشكك اغلب المؤرخين في هذا الخبر ويعتبرونه من أكاذيب ابن تومرت مثل محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 1، ص 450.

[5] **أشاعرة:** أتباع أبو الحسن الأشعري توفي سنة 333هـ كان من أتباع المعتزلة ثم أعلن تبرأه منه وأسس مذهب وسط بين المذهب أهل السنة والمعتزلة قال فيه إن الله بصير ببصر وسميع بسمع وان علمه أزلي وله آراء يطول شرحها ومن أهم النتسبين إلى مذهبه على بن إسماعيل الأشعري الباقلاني عبد القاهر بن طاهر البغدادي أبو منصور عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد السيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان. 128.

[6] كان ابن تومرت ينكر صفاة الإلهية ويعتبر المرابطين الذي يثبتونها مجسمين لله كفار انظر محمد رفعت النجار، المرجع، ص58.

[7] **القاǰي عيا f :** من أعظم علماء المالكية تولى قضاء سبته شابا فاشتهر ببراعته وغزارته وعلمه فنقل إلى قضاء غرناطه ثم أعيد بعد ذلك إلى قضاء سبته سنة 539هـ فلما ظهر أمر الموحدين فجأة بادر في الدخول في طاعتهم وسار إلى لقاء الخليفة عبد المؤمن وهو بسلا في سنة 540هـ لكنه ما لبث أن تمرد عليهم وقتل الوالي الموحدي يوسف بن مخلوف التنمللي ومن معه من الموحدين وعبر القاضي إلى الأندلس ولقي يحيى بن غانية المسوفي وطلب منه واليا لسبته فبعث معه يحيى بن غانية المسوفي لكن الموحدين تداركوا الأمر وأرسلوا قوات ودخلوا إلى سبته فعفو عن القاضي=

الوالي الموحدي في سبته فأطاعوه و قتلوه ثم أرسل القاضي عياض إلى الأندلس إلى شخÒ ينتمـي إلى أسرة"بني غانية" يقال له " أبو زكريا يحيى بني غانية"(عم إسحاق بن غانية) ودعاه للبيعة لكـن الخليفة "الموحدي" عبد المؤمن بن علي سارع إليهم وأحدق بم فخرج إليه القاضي عياض وتلطف في الاعتذار فعفى عنهم عبد المؤمن.

وإن عدم تورع القاضي عياض، الفقيه الورع، عن التحريض على القتل، مع ما فيه مـن الوعيد الشديد في الدين، ليدل على البون الشاسع بين فكر الموحدين والمرابطين(أجداد بني غانية) وعلى كل فالدارس لفكر ابن تومرت يجد أن الخلاف المذهبي بين الموحدين والمرابطين يكاد يعادل الخلاف السياسي؛ فقد كفر إبن تومرت المرابطين كفرا بواحا و استحل مالهم ودمهم.[1] كما تدل هذه الحادثة أن بني غانية كانوا الخلفاء الطبيعين للمرابطين، وان كثيرا من الناس والعلماء ظلوا يرون أن بني غانية هم الحكام الشرعيين فظلوا ينتظرونم و يعلقون عليهم آمال كبيرة لتخليصهم من "نير" الموحدين.

2. النتائج الأدبية لثورة بني غانية

أ- .الشعر

للشعر مكانة خاصة في تاريÑ الحضارة اqسلامية لذيوعه وانتشاره بين الناس. وقد حرÏ ׳اتلف الأمراء والخلفاء في التاريÑ اqسلامي على "ترصيع" بلاطهم بفحول الشـعراء يسـجلون أمجادهم في قصائدهم فيغدو ذكرهم في التاريÑ في أبى حلة ويذمون أعدائهم فيخلدون ذكرهم في التاريÑ في أخزى صورة.

ولم يشذ الموحدون عن هذه القاعدة «فقد عرف بلاطهم العديد من فحول الشعراء كانوا يقيمون في البلاط ويأخذون الجامكية (الأجر) مع غيرهم ممن يعملون في خدمة الدولـة، وكـانوا يصاحبون الخلفاء في ׳اتلف تحركاتم ويسجلون حولهم ما يجري من أحداث حتى أصبحت مهمتهم أشبه بمهمة كتاب الرسائل الرسمية»[2].

=عياض ولكنهم نفوه إلى مراكش حيث توفي هناك في جمادى 544هـ/1145م من أهم كتبه الشفا في التعريف بحقوق المصطفى.وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك قاضي عياض بن موسى اليحصب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك تحقيق أحمد بكير محمود مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ. ص1 وما بعدها

[1] محمد رفعت النجار، المرجع السابق، ص78.

2 فوزي سعد عيسى، المرجع السابق، ص 80.

فمما قاله أبو العباس بن عبد السلام الجرواي[1] شاعر الدولة الموحدية عند استعادة بجاية:

أسائلكم لمن جيش لهـــام   طلائعه الملائكة الكـــرام
أتت كتب البشائر عنه تترى   كما يتحمل الزهر الكمام

وعلى الرغم من أن المنصور لم يشارك في حملة بجاية إلا انه يشيد به فيقول:

هـــو الملك الكرم وما أصبنا   إذا قلنا هو الملك الهمـــام

ويقول أيضا معرضا ببني غانية والاغزاز في غزوة قفصة:

لقـــد برز إلى هـــون المنايا   وجوه كان يحجبها اللثـــام
وما أغنـــت قسي الغز عنها   فليست تدفع القدر السهام

ويبدوا جليا أن كل هذه المدائح تنبع من عواطف زائفة يحمله عليها الرغبـــة في عطـــاء الخليفة لا أكثر لذ نجد أن الجراوي لم يتورع في أن يشبه الخليفة المنصور بالملائكة الكرام.

غير أن هناك شعراء شذوا عن هذه القاعدة ونظموا الشعر عن صدق وشعور كالكاتـــب والشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي[2] الذي قال يرثي السيد أبي عمران بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي قتله ابن غانية في غزوة تلمسان

يجيـــد المعالي أي عقد تبددا   وصدر الـــعوالي أي رمح تقـــصدا
ولما دهت خيل الشقي فجاءة   وسال الـــعدا للارا من الشـــر مزبدا
شهدت بوجه كالغزال مشرقا   وان كان وجه الشمس بالنقع مربدا

وانه للخـ؟ كل ثورة بني غانية حينما قال:

عزائم حق ليـــس تصرف هكذا   إلى الموت تسعى أو على الموت يغتدى[3]

---

[1] **الجراوي:** توفي 609هـ/1212. أبو العباس احمد الجراوي شاعر وأديب أصله من تادلة بين مراكش وفاس ونسبته إلى جراوة من قبائل زناته وونسبه إلى بني غفجوم سكن مراكش ودخل الأندلس مرات وتفي باشبيلية عن سن عالية كان شاعر يعقوب المنصور بن يوسف عبد المؤمن وكان غيورا على الشعر حسودا على للشعراء ناقدا عليهم غير مسلم لأحد منهم له صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ويعرف بالحماسة المغربية. الأعلام، الجزء 1، ص 150.

[2] **محمد بن عبد ربه المالقي:** أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي وقال بعضهم: إنه من الجزيرة الخضراء، له رحلة إلى الديار المصرية وجمع ابن عبد ربه المذكور شعر السيد أبي الربيع ابن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، وكان ابن عبد ربه المذكور كاتباً للسيد أبي الربيع سليمان المذكور. المقري، المصدر السابق، الجزء2، ص 96 وما بعدها. والمراكشي، المصدر السابق، ص178.

[3] المقري، المصدر السابق، الجزء 2 ص96.

وهذا من أحسن ما وقع بين أيدينا من الأشعار في ثورة بني غانية ومكمن روعتها أنـها نابعة من عواطف صادقة وصاحبها المالقي كان كاتبا في الدولة الموحدية ولم يكن يتكسـب مـن الشعر مما جعل شعره ملتزما.

ومما قاله الشاعر أبو عبد الله ابن يخلفتن الفازازي[1] عن وصول بشائر نصر وقعة نفوسة إلى الناصر

هذه الفتوح تفتحت أزهارها ... وتدفقت ملئ الملا أنارها
وتأرجـت نفحاتا وتبرجت ... صفحاتا وتبلجت أنوارها
واتـت بشائرها إليك سوافر ... عن أوجه يا حبذا إسفارها[2]

إلى أن يقول في وصف حال ابن غانية حينما فر:

فرميتهـم بكـتائب ملمومة ... كالليل لكن النجوم شفارها
لم ينǰ ناجـيها غداة أفلـها ... إلا الفرار وأين عينك فرارها
تركت رؤوس رؤوسهم مبثوثة ... وطفت على للبر به أشفارها
ومضى الشقي وقد تلبس روعه ... يضفوا عليه ذلها وصـغارها

ومن جهته لم يغفل ابن غانية عن هذا الأمر وPع حوله شعراء وكتابا فحولا فمما قالـه وزيره عبد البر بن الفرسان يمدح ابن غانية لما لبس عمامة بيضاء و غفارة حمراء على جبة خضراء

ولما تلألأ نور غـرتك التي تقسم ... في طول البلاد وفي الـعرض
تلفعتها خضراء أحسن ناظر نابت ... عنك إجلال وذاك من الفرض
وأسـدلت حمـراء الملابس ... فوقها تاج الـد والشـرف[3]

[1] **الفزازي:** محمد بن يخلفن بن احمد الفزازي من جبل فازاز بقبلي مدينة مكناسه القاضي الجليل كان من ذوي التفنن في العلوم والمعارف وكتب للناصر ولابنه المستنصر بعده واستقضاه في مرسية ثم في غرناطة ثم في قرطبة واستقضي قبل ذلك بالعدوة وكان ذا رواية ودراية وذا فضل وعدل ودين متين. أبي جعفر احمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصي الغرناطي، كتاب صلة الصلة وزارة الأوقاف وشؤون الدينية المغرب 1995، ص27.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 255.

[3] المقري، المصدر السابق، الجزء2، ص 611.

ب- .النثر

لقد كان للنثر إهتمام خا ĩ عند إبن غانية نظرا لحاجته له في كتابة رسائل النصر وإعلامه بأخبار الحروب ومما قاله إبن الفرسان يصف حصاره لقابس:« ...فأخذهم هول الحصار وأحاطت الخيام بالأسوار حتى كانت المدينة معها كالزند في ضمن السوار وكـالعنق تحـت محـيط الأزرار وكالمركز للفلك الدوار، لا ينسبون إلا عن أذن واعية ولا يتسللون إلا عن عين مراعيـة ... ولمـا سقط في أيديهم سلكوا للطاعة طريقا وتظاهروا با مجازا وحقيقة، فقبلت على حكـم التسـليم والتفويض والقيام بعبء وظيفة المال والنهوض... »[1]

وقال أيضا في فتح قابس «... وإذ تقرر على شرطكم حكم الاصطلاح فرضنا عليهم مئة ألف دينار عددا لم نفسح لهم في اقتضائها أمدا، فعجزوا إستكانوا وتضائلوا كأنم غير الذي كانوا فوسعهم التفات ديني ونظر على الرحمة، فخفف المتون فأضحت المئة وهي ستون وهم في شـأنها مفيضون وعما عداها معرضون»[2] وهو هنا يعتبر فرض ابن غانية غرامة قدرها مئة ألف دينـار ثم تخفيضها إلى ستين ألف من شيم ابن غانية الكريمة وخلاله العالية...!.

ومن أقوال كاتب آخر لابن غانية هو مالك بن محمد العنسي يشيد بابن غانية ومعه:

«وبعد فإننا لا نحتاج إلى برهان على أمير لسانه الحسام وأيده التأييد الرباني الذي لا يـرام قد خصب خيامة بالبراح[3] ولم يتخذ سور غير سمر القنا[4] وبيض الصفاح له من العـزم رده ومـن الكمين الرأيه

إذا صدق الحسام ومنتضيه فكل قراره حصن حصين

"وهو من القوم الذين لا يجورون على جار"...! ولا يرحلون لمزية و لا يتركون مـن عار، دينهم التقوى، وان كنت في ذلك من شك فأقدم علينا حتى يصح لـك اختبـار المـذهب بالسبك، وأنت بالخيار والإقامة، فان حللت نزلت خير محل وان رحلت ودعـت أفضـل وداع وسرت في كنف السلامة، إذ قد شهرنا أنا لا نقيد إلا بالإحسان وان ندع لحريته كل إنسان[5] »

---

[1] التجاني، المصدر السابق، ص 108.
[2] نفس المصدر، ص 109.
[3] يريد انه سكن في براح الأرض والبراري غير متحصن بحصن أو قلعة من شجاعته.
[4] القنا هي الرمح الطويلة.
[5] المقري، نفس المصدر، الجزء 3، ص568.

III. الآثار الاجتماعية لثورة بني غانية

1. حقد العامة على الأعراب:

لقد كانت عامة الناس من أكثر الفئات تضررا من ثورة بني غانية؛ كما هو الحال دائما في كل الحروب، ولما كانت الأعراب العنصر الرئيسي في هذه الثورة فقد اصبح الناس يكنون لهم حقدا شديدا لما لاقوه من ضنك منهم.

فمما يرويه الونشريسي في نوازله المشهورة أن العامة بمدينة تونس قاموا في 15 رمضان سنة 705هـ/31 مارس 1306م إثر صلاة الجمعة بقتل هداج بن عبيد كبير أعـراب أفريقيـة لدخوله المسجد الجامع بالنعل حيث زجره بعض الناس فلم يأبه به[1]. ويفسر إبن خلدون لنا أسباب هذه الحادثة في تاريخه فيقول أن« هداج كان من قبيلة كعوب من سليم وقد عظمت ثروتم مـن اصطناعه من قبل الأمير أبي حفص[2]، لكن هؤلاء الأعراب بطروا النعمة وكثر عيـثهم وفسـادهم فاضطعن لهم العامة وحقدوا عليهم سوء آثارهم، ودخل رئيسهم هداج بن عبيد إلى البلد فحضرته العيون وتحدثت به العامة وحضر المسجد لصلاة الجمعة "فتجنوا" عليه بأنه وطئ المسجد بنعليه فـرد عليهم بأنه دخل بها إلى السلطان مما أدى إلى إثارة العامة فانتهزوا الفرصة ونادوا به عقب الصلاة وقتلوه وجروه في طرق تونس»[3].

فأصول إستقواء العرب بهذه الطريقة تعود إلى سياسة الاصطناع (الاستمالة) التي سلكها الأمير أبو زكريا لكف عيثهم[4] والفصل بينهم وبين إبن غانية، والكفية التي قتل بها تكشف عن غل رهيب تحمله العامة يذكرنا بما كان يفعله ابن غانية غداة دخوله إلى أي بلد.

وكذلك نجد كتب الفقه والنوازل ملئت بالاستفتاءات تدور موضوعها حـول الغصـب وكيفية التعامل مع الأشياء المغصوبة وغير ذلك. والملاحظ أن هذه الفتاوى تتحدث عن ملابسـات الفتوى دون تحديد أسماء أشخاص معينين ولكن أثر ثورة بني غانية يبدو جليا فيها. واليك نمـاذج منها من نوازل البرزلي:

---

[1] احمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الجزء5، ص125.

[2] راجع استقلال **الأمير أبا زكريا بافريقية**، ص52.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 6، ص 314.

[4] كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب 1996، ص20.

سئل احد العلماء عن من غصبه السلطان دارا أو أرضا فأعطاها لرجل يحرث ويسكن فأراد المعطي أن يتحلل من صاحبها بأن يعطيه مالا هل يسوغ ذلك أم لا؟

فأجاب بأنه لا يحل له فعله ولا يجوز فإن فعله واستحله نفسه صاحبه بمال أو غيره طيب نفسه بذلك ومضى التحلل في الدنيا والآخرة، ويجب عليه التوبة فيما مضى وعدم الإقدام في ما يأتي لأنه عاصٍ في إقدامه على الحرث والسكنى بمنزلة الغاصب[1].فهذه الحوادث تذكرنا بما كان يفعله ابن غانية عندما كان يغتصب أرزاق الناس ويهبها للأعراب.

وسئل أحد المفتيين عن من يعتدي عليه الأعراب فيسجنونه فيبيع هو أو وكيله أو من يحتسب له ربعا لفدائه هل يجوز شرائه أم لا؟

فأجاب: بيع المضطر لفداء نفسه جائز ماضي باعه هو أو وكيله بأمره وكذا أخذه معاملة أو سلفا ومن فعل ذلك أجر على قدر نيته في الدنيا والآخرة. بمعنى أنه يجوز شراء ما يبيعه ذلك المضطر حتى يفتدي نفسه، ومن أقرضه ذاك المضطر بعض المال ليعينه على فداء نفسه فله الأجر عند الله

وسئل: أحد الفقهاء عن من ضغط في الغرم ثم أطلق تحت الضمان حتى يأتي بالمال فلم يزل في الضغطة وبيعه في ذلك الوقت بيع مضغوط بمعنى أن شخص اجبر على دفع غرامة فوق طاقته ثم اخذ منه ضمان حتى يأتي بالمال المغصوب.

قال البرزلي: والذي أقول به، وأتقلده قول سحنون[2] وروايته عن مالك، وهو رد البيع ويغرم من المقبوض إلا أن يعلم المبتاع ضغطته فيرد البيع ويتبع الضاغط بالثمن ولا تباعة له على المضغوط[3]. أي أن يرد السلعة إلى المضغوط ويصبح ما دفعه دين يؤديه المضغوط للذي اشترى منه وإذا كان المشتري يعرف الضاغط فانه يسعى لاسترداد ماله منه هو.

وسئل: أحد الفقهاء عن من باع ملكه وهو مضغوط من قبل السلطان ببخس والمشتري عالم بذلك، ثم أراد المشتري البناء عليه بعد مدة فأنكر البائع وقال: إني على حقي في طلب ملكي

---

[1] احمد البلوي التونسي البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الاولى2002، الجزء 3، ص43.

[2] هو محمد أبو عبد الله بن فقيه المغرب عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي , القيرواني 260/202 هـ و من ادخل المذهب المالكي لبلاد المغرب له نحو مئتي كتاب في السير والمغازي والفقه ومناظرات كثيرة مع المعتزلة والشافعية وكان صداعا بالحق الزركلي، المرجع السابق، الجزء2، 241.

[3] البرزلي، المصدر السابق، الجزء 3، ص47.

وما بنيت فليس منه شيء وأشهد ذلك. بمعنى أن شخصا باع أرضا مكرها فلما أراد المشتري البناء على تلك الأرض رفض البائع السابق وقال هذه ارضي وبعتها مكرها

فأجاب: المنصوص لأصحاب مالك أنه ينبغي للمضغوط وله استرجاعه وخالفه السيوري بإمضائه[1].

وسئل: آخر عمن أخذه عامل بغير حق وعذبه ولزمه بوالدته وأخوته ما قيمته أربعمائة دينار فباعت الأم وأخواته الدار بمائة وخمسين دينار بسبب فداء ولدها ثم توفي الوالدان وقام ورثتها بنقض البيع بسبب الغبن فهل لهم ذلك؟

فأجاب: أن ما باعته زوجته أو ابنه أو قريبه من متاع أنفسهم في إفتكاكه فانه يلزمهم البيع بخلاف بيع المتاع المضغوط لأنهم لم يطلبوا إنما باعوه حسبة فلهم أجر ذلك، فعلى هذا كل ما باعته المرأة أو الأخوات من مال أنفسهن فلا مقال لهن فيه قال البرزلي وكذلك كان شيخنا الإمام رحمه الله في آخر عمره يميل إليه في أن من يفتدي أحدا من "اللصوص الأعراب" أنه يطلبه بما فداه وهو مأجور[2]

وفي فتوى أخرى سأل أحد الفقهاء عمن أخذه بعض الولاة وثقفه وكبله وأهابه بالضرب وغيره إلى أن التزم له مالا فم يجد من أين يدفعه له فباع الوالي أسبابه ومن جملتها حظ له في قارب، ولما توقف مشتري الحظ من شرائه أتى الوالي المذكور بشهيدين(شاهدين) من شهود البلد إلى موضع الاعتقال واخرج الرجل مكبلا وأمر بتسليم الحظ في القارب لهذا المشتري المذكور فسلمه له مكرها مكبلا خائفا على نفسه الهلاك أن هو امتنع من ذلك. فهل لهذا الرجل مقال ويرجع على المشتري في ما سلمه له من القارب أم لا؟ بمعنى أن حاكما باغيا أجبر شخصا على بيع سهم له في قارب وعندما تردد المشتري في شرائه أخرج له ذاك الظالم صاحب السهم في القارب فقال صاحب القارب مكرها أنه باع ماله من القارب من نفسه لكن الحقيقة أن صاحب القارب مضطر.

فأجاب: مذهب سحنون وحكاه عن مالك أن من اشترى بيتا على وجه الضغطة أنه إذا كان الذي يطلب به المضغوط ظلما وعدوانا وكان المضغوط هو البائع القابض فانه لا سبيل له إلى

---

[1] المصدر السابق، الجزء3، ص 47.
[2] نفس المصدر، الجزء 3، ص 50.

الذي باعه إلا بعد عرض الثمن للمشتري[1]. أي انه لا سبيل لصاحب القارب في إسترجاع ما باعه إلا بعد عرض ثمنه على المشتري عله يقبل برده.

ويلاحظ هنا أن جل الفتاوي تدور حول حاكم ظالم غشوم يغصب الناس أرزاقهـم ثم يهبها لغيرهم

وفي فتوى أخرى في نوازل الونشريسي، تبين مدى غل الناس على الأعراب، ساوى فيها احد الفقهاء قتال الأعراب بقتال المشركين والنصارى في الأندلس[2]. من شدة العسف الذي لاقـاه الناس من الأعراب وقد يكون في هذه الفتوى نوع من المبالغة فلا يمكن مساواة قتـال المشـركين بالمؤمنين في جميع الأحوال، إلا انه من ناحية أخرى فان ما فعله الأعراب من فساد وعيث في عهد ثورة بني غانية وغيرها لا يختلف عن عيث النصارى في الأندلس، ولشخص اغتصب ماله و رزقـه الأمر سيان سلبه إياه النصارى أو الأعراب.

وفي فتوى أخرى يجيز الونشريسي لمن أراد التوبة من الفساد في الأرض من الأعـراب أن يعتبر ما غصبه من الناس دين عليه يرده على أقساط[3] حثا من الفقهاء للأعراب على التوبة وتيسيرا لها.

غير أنه من المهم التذكير أن عيث الأعراب لم يكن وليد ثورة بني غانيـة ولكنـه جـاء لللولهم على افريقية والمغرب وبقي بعد ثورة بني غانية زمنا طويلا، لكن عيثهم في عهد ثورة بـني غانية بلغ حدا لا مثيل له فقد كانوا يأخذون الأجر على الخدمة مع ابن غانية ويزيدون على ذلـك ما يسلبونه من الناس فيكون التنكيل مضاعفا.

2. المساهمة في تعريب المغرب

على الرغم من الآثار السلبية العديدة التي خلفتها ثورة بني غانية إلا أن هناك عنصرا إيجابيا هاما نتج عنها وهو المساهمة الكبيرة في تعريب المنطقة وتغلغل العـرب في النسـيج الاجتمـاعي للمغرب.

فقد كان بنو غانية ذوي أصول بربرية، وكذلك الموحدون، وكانت العرب نصير هؤلاء تارة وهؤلاء تارة أخرى وما يتبع ذلك من التواصل اللغوي في اخطر شيء وهو الحـرب، وهـذا

---

1 المصدر السابق، الجزء، ص51 وما بعدها.

2 الونشريسي، الجزء 4، ص 158.

3 المصدر السابق، الجزء 5، ص124.

يستلزم فهم كل طرف للغة الآخر فهما دقيقا لأن الخطأ في هذه الأمور قد يؤدي بكارثة للجـيش كله. كما أن العلاقة لن تقتصر على التحالف في الحرب فقط بل تتعداها إلى مشاركات في المجـال ومصاهرة ومعاملات إنسانية واقتصادية المختلفة، و خصوصا و قد أصبح لكل الأطراف المتحالفـة هدف واحد وثأر واحد وأصبح لزاما عليهم أن يتكاتفوا ويتعاونوا تعاونا وثيقا يحمي بعضهم بعضا ويساعدوا بعضهم بعضا إن أرادوا تحقيق النصر في المعارك، فكان هذا مما قـوى أواصـر الصـلة وجعلها تتعدى العلاقة الحربية.

كما ساهمت ثورة بني غانية في بداية إيصال حركة التعريب إلى المغرب الأقصى لأول مرة في التاريخ فقد بقيت تلك المنطقة بعيدا عن متناول القبائل العربية إلى ذلك الوقت، لكن بعد تغريب المنصور لقبائل جشم والرياح، فبالرغم من الخراب الذي ألحقوه بتلك المنطقة، إلا أن ابن خلـدون يذكر أن هؤلاء الأعراب« غلبوا على قبيلة دكالة حتى عربوها وألجأوا غمارة إلى الجبال وزاحمـوا جزولة[1] بالسوس فصارت لهم خولا وأحلافا»[2].

3. ازدياد نفوذ الأعراب في المجتمع

على الرغم من الدور السلبي الكبير الذي اضطلع به الأعراب في ثورة بني غانية، والـذي كان يفرض هجرهم وعدم التعاون معهم في أي مجال من قبل جميع فئات سكان المغرب حـتى لا تتكرر مآسي ثورة بني غانية، إلا أن ما حدث على ارض الواقع مغاير تماما إذ أن هذه الثورة نبهت جميع الطامعين في الحكم إلى الأهمية الكبرى لهذا العنصر في الحرب وإجلاء المواقف، فشرعت جميع الأطراف تشتري ودهم وتسعى إلى ضمهم إلى صفها، فازدادت أهميتهم أكثر مـن السـابق لان الجميع أصبح يسعى وراءهم هذه المرة، لذا نجد أنه وبعد وقت قصير من ثورة بني غانيـة أصـبح الأعراب عنصرا هاما في المجتمع المغربي وإحدى الركائز الأساسية التي لا يمكن إغفالها

ففي الدولة الموحدية أصبح أولئك الأعراب الذين نفاهم المنصور قوة هامة كان لها ضلع كبير في أضعاف الدولة الموحدية، خاصة عندما إقتربت نهايتها، وذلك بتحالفها مع أعدائها تارة مع الموحدين تارة أخرى[3] كشخصية ابن واقاريط الذي كان ينتمي إلى عرب الخلط قال عنـه ابـن

---

[1] **جزولة:** قبيلة من قبائل البتر كانت تقطن جنوب المغرب على نهر السوس العظيم. الحميري، المصدر السابق الجزء ج1 ص255.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص 314.

[3] انظر محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، الجزء 2، ص 450 وما بعدها.

عذاري« ابن واقاريط المتفنن في الفتن الناشئ في المكايد على قدم الزمن» وتمكن هؤلاء الأعراب في بعض الأحيان من إلحاق هزائم بالدولة الموحدية نفسها خاصة عندما اقتربت نهايتها[1] بل وأصبحت المواجهة بينهم وبين الجيش الموحدي مواجهة الند للند[2].

أما الدولة الزيانية التي نشأت بين دولتين معاديتين (الحفصية والمرينيـة) فقـد إسـتكثر حكامها من عنصر الأعراب حتى أصبحوا في النهاية في عهد الأمير يغمراسن يعتمدون كليا علـى أعراب بني هلال في الجيش ثم تحولوا إلى أعراب الدواودة في عهد الأمير أبي حمو الثاني[3] وأصبح كل من لاذ للامى الأعراب فقد لاذ بالأمن والأمان كما أصبح لهم دورا هاما في الدولة المرينية وعنصر قوة لا يمكن اغفاله[4] وحتى بني حفص الذين استطاعوا ترويض الأعراب في أول عهدهم، سرعان ما احتاجوا إليهم فيما بعد فأدخلوهم في بناء جيشهم[5] .

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، القسم الموحدي، ص 318.

[2] نفس المصدر، القسم الموحدي، ص 318 وما بعدها.

[3] **أبي حمو الثاني:** من حكام الدولة المرينية ربيع الأول 760هـ -1359م وكان المرنيين قد طردوه من عاصمة ملك بني زيان تلمسان فاستعان بعرب بني عامر وانشد لذلك قصيدة يشيد فيها بعرب بني عامر ويهجو عرب سويد أعدائه وفي هذا دليل كبير على مدى القوة التي أصبح العرب يشكلونها. بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص65.

[4] محمد احمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المرينـي، دار الثقافـة، الـدار البيضاء1985. ص24.

[5] عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1994.

أ

ا

أ

ا

آ

ا

أ

ا

ل

م

ن

ه

و

وبعد، إلى أي مدى نجح بنو غانية في مشروعهم الرئيسي هل نجحو في تكوين دولـة أخرى على أراضي الدولة الموحدية؟ ففي مرحلة يحيى بن غانية الثانية سيطر يحيى على معظـم أنحاء افريقية، وكان لديه تفويض من الخلافة العباسية لحكم تلك المنطقة، مما يعني انه اسـتكمل جميع مستلزمات الحكم(الشرعية، الأرض، الشعب) لكن من جهة أخرى كان ينقص بني غانية عامل هام جدا لأي دولة وهو النظام والإدارة فلم تكن افريقية تعرف في عهد ابن غانيـة أي نوع من النظام بل كانت حكومته عبارة حكومة عصابات لم يكن فيها أي ضمان للأرواح أو الأموال أو حتى الأعراض وهذا عيب يفرغ أي دولة من محتواها، مهما استجمعت من شرعيات نظرا لان هدفها الرئيسي لأي دولة هو تنظيم المجتمع والسهر على راحته، وكمثال على هـذا الموحدين الذين قامت دولتهم على الدجل(محمد بن تومرت هو المهدي المنتظر) و انكروا شرعية الخليفة العباسي نفسه الذي يفترض أن يعطيهم شريعتهم ومع ذلك بسبب جهودهم الكـبير في فرض النظام والدفاع عن المسلمين اكتسبوا جاها كبيرا عند المسلمين وقامت لهم دولـة تعـد مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية. فيمكن أن نقول إذن أن ابن غانية نجح في السيطرة على أراضي شاسعة ولكنه لم ينجح في تأسيس دولة.

وقد بدأت هذه الثورة بداية مثالية سامية تحت شعار استرجاع ملـك المـرابطين مـن الموحدين الغاصبين، لكن هذه المبادئ والمثل العليا سرعان ما تبددت إلى ثورة للسلب والنهب لا معنى لها خاصة في مرحلة الأخيرة لثورة بني غانية. وقد ساهم في إطالة أمدها وإعطائها الطـابع التخريبي المشهور عنها عزيمة بني غانية الصلبة كالصخر خاصة يحيى ابن غانية الذي ظل يكـافح لتحقيق حلمه في إحياء دولة المرابطين نحو من خمسين سنة دون أن تبدوا منه أي بادرة تراجع أو انسحاب بل لا يكاد يهزم في معركة إلا ويبدأ في التحضير لمعركة أخرى، على الرغم من مقتل ولديه وفلذتي كبده وأخوه علي وابنه وأخوه جبارة وأخوه عبد الله وأخوه الغازي وابن عمـه محمد بن الغازي وعلي أخوه سير بن إسحاق بن غانية و ابن عمه الغازي وفرارهما إلى الموحدين ومقتل الكثير من أصحابه و صفوة أتباعه ككاتبه ابن الفرسان وكاتبه ابن اللمطي وكبار شيوخ الأعراب كعبد الله بن مسعود البلط بن سلطان شيخ الدواودة وابن عمه حركات بن أبي الشيخ

وشيخ بن قرة وجرار بن يفرن وأبي عطية شيخ زناته ومع هذا كله واصل ابن غانية حربه في عزيمة وإصرار عجيبين حتى آخر لحظة في حياته.

وكان مما زاد من فداحة الخسائر تنوع الطامعين التي شاركت في هذه الثورة كل يدلي بدلوه لتحقيق أطماعه فبنو غانية دخلوا أولا لاسترجاع ملكهم ثم تحولوا بعد ذلك إلى طامعين في الملك لا يبالون بأي شيء في سبيل تحقيق غايتهم أما قرقوش فقد تذرع بإيمانه بأحقية الخلافة العباسية و اتخذ هذا الشعار وسيلة لتبرير مجازره وجرائمه التي يرتكبها أينما حل. و ابن عبد الكريم الذي سعى لتأسيس ملكه ولكنه ما إن بدأ حتى فتح لجنده باب السلب والنهب وهاجم الموحدين وعاث في المراسي بأمتعة الناس أما الأعراب فقد كانوا على الدوام أحباب بني غانية وأصحابهم لسبب بسيط وهو أن الأعراب يطمعون في المال وبنو غانية يطلبون السلطان فكان بنو غانية يعطيهم المال ليعطوه السلطان. فنرى من هذا كثرة العناصر المشاركة في هذه الثورة واشتراكهم في عدم التورع عن فعل أي شيء في سبيل الوصول إلى غاياتهم.

وهنا يجب أن ننبه إلى شيء مهم وهو أن بني غانية كانوا في اغلب عهده مفسدين مع المفسدين نستثني من ذلك المرحلة الأخيرة فقط، ففي المرحلة الأولى كانوا حلفاء لقرقوش يتنافسون في كسب ود الأعراب كان بنو غانية يحتلون المدن مع قرقوش ويعيثون فيها فسادا يدا بيد وفي المرحلة الثانية (مرحلة يحيى بن غانية الأولى) دخل يحيى بن غانية في صراع مع ابن عبد الكريم وكان كل واحد منهم يجتهد في إبقاء حلفائه إلى جانبه عن طريق إباحة السلب والنهب لهم وفي مرحلة يحيى ابن غانية الثانية والأخيرة كان معظم النكبات على ابن غانية وليس ضده. فإجرام بني غانية عبر السنوات الطوال كان مع شركائه وليس وحده ولكن التاريخ نسبه لبني غانية لأنه بدأ بهم وانتهي بنهايتهم.

وإن أكثر ما يلفت النظر في نتائج ثورة بني غانية هو أن المسلمين في هذه الثورة بلغو قمة التشرذم والانحطاط إذ أن حرب قامت بين طرفين مسلمين لهما نفس المذهب (سني) ومن نفس المنطقة (المغرب الإسلامي) ومن نفس القبيلة (صنهاجة) ومع ذاك دامت الحرب بينهما خمسين سنة ودامت إحدى معاركها سبعة أيام (فتح الموحدين ميورقة) ولم يترددوا في الاستعانة بأعدائهم النصارى ضد بعضهم البعض عندما استعان بنو غانية بملك صقلية لاستعادة ميورقة من أيدي الموحدين ولكن إذا رجعنا إلى تاريخ معارك المسلمين مع غير المسلمين عبر تاريخهم لم نجد

معركة واحدة كانت بهذه الضراوة فلا غرابة بعد هذا أن تحدث هزيمة حصن العقاب الشنيعة التي كانت بداية النهاية للمسلمين في الأندلس وبداية انتهاء إشعاع الحضارة الإسلامية.

وفي الختام لا بد من أن نكون منصفين مع ابن غانية ونقول أن جميع الآثار التي خلفتها هذه الثورة إنما استقيناها من مصادر معادية لبني غانية وليست محايدة وانه بالنظر إلى ظروف الحرب التي كان بنو غانية يحيوها يجعل من الصعب بقاء أي مؤرخ أو كاتب يروي لنا ما حدث من وجهة نظر بني غانية وقد رأينا كيف قتل اقرب صحب يحيى بن غانية وأخلصهم عبر تاريخ حروبه الطويلة. وان البحث العلمي الموضوعي يحتم علينا المزيد من البحث في التراث المخطوط لمعرفة تاريخ هذه الثورة من المصادر المعاصرة أو القريبة لبني غانية تروي لنا ما حدث دون ما تحيز أو تجني.

ملحق رقم 1

يوضح الجدولان التاليان المنتجات الزراعية والحيوانية في افريقية حسب بلدانا[1] وقد والهدف منهما تبيين مدى ضخامة المنتوج الزراعي والحيواني لبلاد افريقية وبالتالي الخسارة التي لحقت بالدولة الموحدية عقب نشوب ثورة بني غانية فيها:

المحصول	البلد
القمح	طرابلس-مطماطة[2]- باجة-تادميت[3]-مرماجنة[4]-الاربس[5]-ابه[6]-باغايه[7]- طامجنة-تيفاش[8]-قسنطينة-بونه-برشل[9]-شرشال[10]- الجزائر-مرسى الدجاج-تدلس[11]-بجايه-تاهرت-

[1] اعتمدنا هذا الجدول من كتاب عز الدين عمر موسى النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6 ص 390 وما بعدها. مع ملاحظة أننا قمنا بإعادة هيكلته على أساس المنتج لا على أساس البلد كما في الجدول الأصلي. وكذلك قمنا بالإبقاء على مدن افريقية فقط وحذف باقي المدن الأخرى لان الثورة بني غانية شملت افريقية بالإضافة إلى تلمسان وتاهرت وسجلماسه أما باقي المدن التي لم تشملها الثورة فقد حذفتها.

[2] **مطماطة** قال عنها ياقوت الحموي: جاء في معجم البلدان أن مطماطه قبلية بربرية لها بطون كبيرة وكثيرة وتقطن مدينة وهي مدينة مدكرة، ومسكنهم في المدينة العظمى التي يقال لها تمطلاس، وأهل هذه المملكة قوم من بطون البربر، من سائر قبائلهم، وأكثرهم قوم يقال لهم بنو مطماطة، وهم بطون كثيرة، ولهم في مملكتهم مدينة عظيمة يقال لها ايزرج. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت لبنان، 1993، الجزء5، ص 132.

[3] **تادميت** قال عنها البكري: مدينة في مضيق من جبلين في سند وعر ولها مزارع واسعة وحنطتها موصوفة البكري، ص 53.

[4] **مرماجنة** قال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة بين الاربس وتادميت وهي لأهلها وللعرب عليها ضريبة ويصيبون منها من القمح والشعير ما يعم بالكفاف وزيادة. الإدريسي، ص 193.

[5] **الأربس** قال عنها الإدريسي: مدينة وطاء من الأرض عليها سور تراب جيد في وسطها أعين ماء جارية لا تجف وليس حولها خارج نابتة البتة وهي على مزارع الحنطة والشعير. الإدريسي، ص 192 وما بعدها.

[6] **ابه**: غربي الاربس وبها مزارع الزعفران ما يضاهي زعفران الأندلس من الكثرة والجودة وأرضها واحدة مختلطة وفي وسط مدينة ابه غين جارية منها شرب أهلها وكان على ابه فيما سلف من الزمان سور مبني من الطين وأسعارها رخيصة. الإدريسي، ص 193.

[7] **باغاية** قال عنها الإدريسي: على بعد ثلاثة مراحل من قسنطينة وهي مدينة كبيرة عليها سوران من حجر ولها ربض عليه سور وكانت الأسواق فيه وهي أول بلاد التمر ولها وادي يجري إليها من جهة القبلة وشربهم منها وحولها عمارات وبرابر يعاملون العرب وأكثر غلاتهم الحنطة والشعير. الإدريسي، ص 177

[8] **تيفاش** قال عنها البكري: وهي مدينة أولية شامخة البناء وتسمى تيفاش الظالمة وفيها عيون ومزارع كثيرة وهي صفح جبل وفيها آثار للأول كثيرة. البكري، ص53.

[9] **بشرل** قال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون ماؤها عذب وبها فواكه وجمل مزارع وحنطة كثيرة وشعير. الإدريسي، ص 158.

[10] **شرشال** قال عنها الإدريسي: على بعد 20 ميلا يصل بينهما جبل تسكنه قبيلة من البربر تسمى ربيعة ومدينة شرشال صغيرة القدر لكنها متحضرة وبها مياه جارية وآبار معينة عذبة وبها فواكه حسنة كثيرة وسفرجل كبير الحجم وبها كروم وبعض الشجر وما دار بها بادية لأهلها مواشي وأغنام كثيرة ولهم من مزارع الحنطة والشعير ما يزيد عن الحاجة. الإدريسي، ص 159.

[11] **تدلس** قال عنها الإدريسي: على بعد 24 ميلا من مرسى الدجاج وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومنتزهات وبها رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها وبها الغنم والبقر موجودة وتباع جملتها بأثمان اليسيرة. الإدريسي، ص 160.

حبوب أخرى	قفصة - توزر - طبنه - مقرة - مسيلة[12] - نقاوس - والقلعة - بجايـ ـة - الاربـ ـس - وابه - باغايه - وطامجنة - تيفاش - قسطينة - تلمسان -
فواكه وأزهار	قابس - جلولا[13] - قفصة - توزر تقيوس - نفطة - الحامة - بني بلول - قسطيلية - ونفزاوة - وطرى - وطبنة - وباديس - قسطينة - ميلة[14] - سطيف - الغـ ـدير[15] - تبسه - مرسى الدجاج - جيجل[16] - مليانة -
الحرير	قابس
قصب السكر	قابس - جلولا - الجزائر -
الزيتون	قابس - صفاقس[17] - بسكرة -
الزعفران	الاربس - ابه - سبيبه[18] - مجانة[19] -
التمر	قابس - قفصة - توزر - الحمة - نفطة - نفزاوة - بسكرة - تودا - طبنة[20] - مقرة - مسيلة - باديس - تلمسان -
القطن والكتان	ماسينة - متيجة - مسيلة - طبنة - قفصة - بونة - بجاية -

---

[12] **مسيلة** قال عنها الإدريسي: مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر سهر وهي مدينة في بساطين من الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة وله منافذ تسقى عند الحاجة وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر. البكري، ص 59.

[13] **جلولا** قال عنها الإدريسي: على بعد 24 ميلا وبجلولا آثار للأول وأبراج قائمة وآبار عديدة وخاريب ولها حصن وهي مدينة أولية قديمة الثمار مبني بالصخر وفيها عين ثرة وهي كثيرة الثمار والأشجار وأكثر رياحينها الياسمين ويطيب عسلها ويضرب به المثل لكثرة ياسمينها البكري، ص 32.

[14] **ميلة** قال عنها الإدريسي : حسنة كثيرة الأشجار ممكنة الثمار فواكهها كثيرة الإدريسي، ص 167.

[15] **الغدير:** مدينة حسنة وأهلها بدو ولهم مزارع وارضون مباركة والحرث بها قائم الذات والإصابة في زروعها موجودة وبينها وبين مسيلة 18 ميلا. الإدريسي، ص 162.

[16] **جيجل** قال عنها الإدريسي : مدينة على ضفة البحر ولها ربض وهي مدينة حسنة لها الألبان والسمن والزروع الكثيرة وبها الحوت الكثير المتناهي في الطيب والقدر. الإدريسي، ص 169.

[17] **صفاقس** قال عنها الإدريسي: : مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها سور من حجارة وأبوابها عليها صفائح من حديد منيعة وأسواقها متحركة وشرب أهلها من المواجل ويصطاد بها السمك ما يعظم خطره وقدره وجل غلاتها الزيتون والزيت. الإدريسي، ص 181.

[18] **سبيبة** قال عنها الإدريسي : مدينة أزلية كثيرة المياه والجنات وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق والخانات وشربهم من عين جارية كبيرة وغلاتهم الكمون والكروياء والبقول. الإدريسي، ص 195.

[19] **مجانة** قال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة عليها سور تراب وكان بها قديما يزرع بصل الزعفران كثير ولهم وادي غزير الماء وبينها وبين قسنطينة 3 مراحل. الإدريسي، ص 21.

[20] **تازاودة** قال عنها الإدريسي: وتعرف بمدينة السحر وهي مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخيل والزروع وتهودا مدينة أولية وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق ونهر ينضب في جوفها حولها بساتين كثيرة من أصناف الثمار. الإدريسي، ص 72 وما بعدها.

الخشب	زانة[21]-بجاية-طبرقة[22]-
الأعشاب الطبية	جبل-بجاية[23]-
أشياء أخرى	قفصة(-القطن-والحناء-والكمون) توزر(النيلـة-و الحلفـاء) تقيـوس (الحناء-الكمون-والكروياء)

جدول 1

[21] **زانه** قال عنها الإدريسي**:** من أعمال باجة عرفت بسفرجلها. الإدريسي، ص241.

[22] **لابرقة** قال عنها الإدريسي**:** حصن على البحر قليل العمارة وبه مرسى للمراكب ومراكب الأندلس تصفى إليها وتأخذها في قطعها روسية. الإدريسي، ص 190.

[23] **جبل بجاية** قال عنها الإدريسي**:**أو جبل ميسون وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى ومن اكنافه جمل من النبات بها صناعة الطب مثل شجر الحضض وغير ذلك من الحشائش. الإدريسي، ص 161.

ملحق رقم 2

السائمة	المنطقة
غنم-بقر-،خيول بغال-	جبل زغوان[24]- سوسه[25]- مسيلة-قسنطينة-بونة-شرشـال-الجزائـر- جيجل-الاوراس-
qبل	باغاية- لمزاته-ومديسه-
Ʊل	جلولا-قسنطينة-بونة-
طيور جراد	بـhرت-بونة-
السمك	في كل السواحل خاصة تونس-بـhرت-بونة-وقصر عبد الكرC[26]-

جدول 2

[24] **زغوان** قال عنها الإدريسي: جبل عالي جدا تقصد إليه المراكب من ظهر البحر لعلوه واتقائه في الجو وهو أكثـر الجبال ماء وفيه خصب ومزارع وعمارة ويعمر منه من الأماكن قوم متفردون. الإدريسي، ص 195.

[25] **سوسه** قال عنها الإدريسي: مدينة عامرة بالناس كثيرة المتاجر والمسافرون إليها قاصدون وعنها صادرون بالمتاع الذي يعدم قرينه من أنواع الثياب والعمائم المنسوبة إليها وعليها سور حجر حصين. الإدريسي، ص 203.

[26] **قصر عبد الكري!** قال عنها الإدريسي: مدينة صغيرة على ضفة نهر لكس وبها أسواق على قدرها ويباع بها ويشترى الأرزاق الكثيرة والرخاء بها شامل. الإدريسي، ص250.

ملحق رقم 2

رسالة من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن الطاهر بن محشرة إلى أهل اشبيلية يبشرهم باسترجاع بجاية من يد بني غانية

«من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره، وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية أدام الله كرامتهم بتقواه وعرفهم عوارف رحماه وحسناه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذي إلا هو ونشكره على آلائه ونعمه ونصلي على نبيه المصطفى ورسوله والحمد لله الذي هدم بهذا الأمر العزيز أصول الباطل وفروعه وطمس بأعلامه الواضحة وآياته البينة اللائحة، رسوم الظلام وربوعه، وهزم بأمره القاهر، وحقه الغالب الظاهر أحزاب الشيطان وجموعه وبدد جماعة الخبيث وجموعه واستأصل صبابة الكفر البائد كما استأصل ينبوعه والحق آخره بأوله. واصاره إلى سوء مصيره ومويله. مبديا ذلة و خضوعه ممزقا بأيدي اوليائه المهتدين، وأنصاره المؤيدين المسددين اديمة ومسيلا نجيعه وختم له في كل محاولة بعقبى الدار وعرفه في كل معالجة ومطاولة عوائد الاعلاء والإظهار ممهدا له رحب نصره الاعم ووسعه وممكنا في درج النماء ومراقي السمو والغلاء صعوده وطلوعه وجعل المصيب المنصور المفتوح له مواليه ومطيعه وولاه من نصره الأغر وفتحه الاغلب الابر جليله فجليله وبديعه فبديعه واجرى عةائده الكريمة له على ادلاها وامرها قبله على اطراها واتصالها مكملا لديه عوارفه ومتمما صنيعه و الصلاة على محمد نبيه المصطفى ورسوله الاكرم المجتبى الذي شتت الله به منظوم شمل الكفر ومجموعه وختم بنبوته الخاتم وشريعته الدائمة، رسالته المتقدمة وسروعه والزم، وجعله وسيلا له يوم المحشر وشفيعه والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم الذي لأم به شعث الإسلام وصدوعه وابان بهدايته المنقذة من الضلال وإيالته الواضعة الإصر عن الامامة والاغلال محجوب علم الحقائق وممنوعه وقدر عود الإسلام بدعوته على ما كان في بدأته ورجوعه وعن صاحبه وخليفته سيدنا الإمام أمير المؤمنين الذي خالف في القيام بأمر الله سهاده ونافر هجوعه واستلان في جهاد اعدائه وتبليغ امره العزيز إلى علية تميمه وإنهائه خشن مستصعبه واستعذب فظيعه وناضل في اعلائه كلمته وتمشيه حقه ودعوته حتى هد مشيد الضلال واستباح منيعه والدعاء لسيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بنصر يوالي له سبحانه موصولا ومشفوعا وسعدا يمكن من ملكته ويضع في قبضة قهره وغلبته مناوية وخليعه ويجعل من عائذ امره وخالف

في طاعته سره وجهره مجدل سيفه الماحق ومصروعه ويعرفه من تأيدده وتسديده كريمه ورفيعه فرفيعه

وهذا كتابانا اليكم كتب الله لكم تعرف المسرات والبشائر واولاكم من فضله وطوله كل من ظاهر وامن غامر، وآواكم من عدل هذا الأمر العظيم ورفقه إلى الركن والظل الساتر من حضرة مراكش –حرسها الله– ونحن نحمد الله تعالى على نعمه التي لا يحصيها العد وقسمه التي لا يحيط بها الرسم والجد، ويقصر في العبارة عنها كل قول وان يبلغ فيه المنتهى وبذل الجهد ونسأله سبحانه توفيقا إلى القيام بشكرها يؤيده التسديد والعضد وعونا على توفيقه الواجب من حقها يمتري به المزيد من فضله ويستنجزه الوعد الذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه.

وقد علمتم وفقكم الله وسددكم واهداكم إلى مصالحكم وأرشدكم وأعانكم على الاعتصام بعروة الطاعة الوثقى وانجدكم — ما كانت عليه حالة الكافر الغادر اللعين الخائن الخاسر بقية الحثالة الغاوية وسؤر الكفر بخلوص علانيته في الطاعة وسريرته والمغالطة بانعقاد عقيدته عن المشايعة والمولاة واستحكام بصيرته وهو منطو على العداوة لله ورسوله ومتنكب طريق الحق وسواء سبيله ومستسر بصدوده عن الادة الواضحة وعدوله مبرأ للجسر في الارتغاء مترصد لابتداء ما يمكنه من طلب للفتنة وابتغاء متربص لدائرة السوء عليه فيما رامه من عناد وانتزاء إلى أن استثار شفرة حتفه وبحث عن هلكه بظلفه وتورط فيما احاط به مكره السئ عن يمينه وشماله وخلفه وكفر بانعم الله فذاق لباس جوعه خوفه ورام السموالى منال حكم الله برده خاسئا وصرفه وتلك عادة الله الكريمة فيمن حاد ارمه الذي اجتباه لاحياء دينه وارتضاه لتمهيد شرعه وتمكينه وحباه وارتضاه لتمهيد شرعه وتمكينه وحباه من نصره المؤزر وفتحه الميسر بغزيره ومبينه فلا ينبذ لمنابذتهم ناجم ولا يعزم على مقاطعته إلا اكتنفته المعاطب من شماله ويمينه صنع من الله تعالى جميل أجرى به عوائد جميلة له على اطرادها وأدامها على متعرفها الكريم ومعتادها واظهر في كل متناول، ومقصد مزاول ومحاول تضاعف نموها وازديادها، والحمد لله على منته الذي لا يبقى الوسع باحصائها وتعدادها.

ولما عنت للفاسق الفرصة اغتنم بزعمه انتهازها ولما مكنته الغرة حاول برايه البائس اقتناصها واحتيازها وتطلب من أمانيه الكاذبة و اراجيه الخائبة تأتيها وانتجازها فكذب الله آماله

وقلص افياءه القاصرة وظلاله وقدر في سعيه الخاسر تلاشي أمره الدائرة واضمحلاله فداخل أوباشا ممن كان ببجاية ممن رق دينه وضعف إيمانه ويقينه وزان على قلبه شيطانه المظل و قرينه فيسروا له تمهد صهوتها وأعانوه على تشتم ذروتها ووصلوا بسببه الضعيف أسباب قهرها وغلبتها ولما قر فيها قراره وانتشر بها فساقه وفجاره ووضح له من أمله الكذوب في تملكها صبحه ونهاره تعاوت إليه ذئاب الغارة وكلابها واتصلت به أوغاد الفتنة واوشابها وتجمع له من أشباهه في الجهاله واعوانه في الضلالة، واوزاع تمكنت بهم من اساب غرته وامتدت اطنابها فقوي طمعه في الاستيلاء على ذواتها وسولت له نفسه الخبيثة الاستحواذ على جهاتها والتمكن من أرجائها وجنباتها، وامتدت أطماع الكافرة وآماله وغرة إملاء الله تعالى وإمهاله وغطى على بصيرته العمياء حهله وضلالة فتطوف على الجزائر ومليانه وآشير والقلعة وكر منها إلى بجاية آب الخاسر الكافر وقد خاض هذه الجهات خوض المذل واستباح حرمة أهلها استباحة المستحل وعرك الرحى بثفالها، دون مراقبة ذمّة فيهم ولا إلّ، يأخذ أموالهم بغير حقهّا، ويصرّفها في غير مستوجبها ومستحقّها، ويحملهم من كلف الغارم، ومون الملازم، ما لا طاقة لهم بحملها وأوقها، يمضي أحكام الجور فيهم، ويبسط أشياعه الاخسرون إليهم أيدي تطاولهم وتعدّيهم، ويسومهم العسف والخسف يراوحهم ويغاديهم، راكبا رأسه في الاغترار، منخدعا بما أملي له من مدّة الانجرار، غافلا عن قوله سبحانه « وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار».

ولّما استفزه بما تهيّأ له ببجاية وجهاته الغربيّة طمعه، واستجرّه حرصه المؤذي وجشعه، ووعدته التملك لأقطارها، الاستيلاء على بواديها وأمصارها، ظنونه الخائبة وخدعه، قصد الى قسنطينة– كلأها الله– مؤمّلا اختداع أهلها، ومقدّرا نفوذ حيله في خترها وختلها، ومعملا جهده، ومصرفا مكره وكيده، فيما حبله الواهي بحبلها؛ فألفى بصائر أهلها مستحكمة، وعقائدهم على التقوى منبرمة، وقلوبهم على الطاعة الصحيحة، والموالاة الخالصة الصريحة، ملتئمة منتضمة، فجاب بحمد الله سعيه، وفال رأيه، وبدا للأوليائه الأذلّين فضيحته عليها وخزيه؛ فداوم حصرها لزاما، واستمطر من مساعيه المخفقة في خدعتها جهاما، وفي كلّ دلك يضيق اهلها — حماما، ويجرعونه من المذلة الاهانة كأسا رؤوما، ويقتلون من شرمذته القليلة، وجماعته الفليلة، الجمل الجّمة فرادى وتؤاما. وألحّ في الإقامة عليها راضيا بصفقة خسارة، مدّرعا

أثواب ذّلة وصغاره، متسربلا سرابيل عاره وشناره، محتملا لما ناله من فلّ غرب ارذاله الاخسرين وأغماره.

وكنا — وفقكم الله ويسركم لما يرضاه — عندما انهي إلينا أمره، وتقرّر لدينا خدعته ببجاية وغدره، نظرنا في إغاثة المسلمين الذي تحكّم فيهم جوره، واستطال عليهم قهره وقسره، وأخذنا في ذلك بواجب الاجتهاد، من التأهّب والاستعداد، والنظر في كل ما يتمكن به أسباب الجهاد، متيقّنين أن الله تعالى لمن حادّ أمره وعند عن سسبيله بالمرصاد، وأنّ معونته الربّانية، وتيسيراته الالاهية، تغني عن العدد والاعداد وتقوم مقام الكتائب والاجناد؛ لكنّا أخذنا في ذلك بمتعين الحزم جريا على المعتاد، واثقين بعون الله وتأييده، مستنجرين لصادق وعوده، متوكّلين عليه سبحانه في قريب التناول وبعيده، متطلبين منه سبحانه عوائد توفيقه وتسديده؛ فوجّهنا من الطلبة — أعانهم الله— من نظر في أمر الأسطول المبارك وإعداده، وتهيأته بما يصلحه من عدده وأعداده؛ وأمرناهم بالانحفاز في ذلك في اقرب ما يمكن من أوقات الزمان وآماده، وجرّدنا من الموحّدين — أعزهم الله — عسكرا منصورا، وجمعا مباركا موفورا، وقدّمنا عليهم من الطلبة — أعزهم الله — من أنهضناه لتدبيره، وعصبنا به النظر في أموره، ووصّيتاه بتقوى الله تعالى في قليل أمر وكثيره، وأمرناه بالوقوف عند مراسم السّنة وحدودها، الانتهاء إلى روابطها المحكمة وعهودها، والتّقيد بأحكام السياسة المصلحة وقيودها، وأن يبذلوا الأمان لأهل تلكم الجهات حاضرهم وباديهم، ويقدّموا الإنذار والأعذار بين أيديهم، ويشيدوا بها إشادة يتساوى في العلم بها قاصيهم ودانيهم، إقامة للحجة عليهم، وأخذا بالعدل ةالرفق فيهم؛ فنفّذوا على بركة الله ويمينه، وتوفيقه وعونه، ونصر الله تعالى يعضدهم، وعونه سبحانه ينجدهم، وتوفيقه — جلت قدرته — يسددهم ويرشدهم، ومخايل التيسير والتسهيل تبشرهم بنجاح قصدهم وتعدهم.

وفي خلال هذه المحاولات، وأثناء هذه المآخذ السعيدة والموالات، طال الأمد على الشقي فازداد تهوّرا وخبالا، وجهل ما أوقعته الشقوة فيه أملا، ليزداد إثما وإمهالا؛ فطلب الطعن وحده والجهاد، وطفق العناد، جرأة على الله وكفرا به، وجريا على عادته في الجور ومذهبه، وظنّا كذوبا دلّاه بالغرور في مطلبه. وكان من صنع الله لأمره العزيز من حيث لا يحتسب، وفتحه الذي لا يعتري إلى القوّة البشريّة ولا ينتسب، ونصره العزيز الذي لا ينال بحول ولا قوة ولا يكتسب، أن ألقى على قسنطينة — كلأها الله — عصا تسياره، ولجّ في مضايقته لها وحصاره،

وأطاع في الطمع في مغالبتها أم مغربية المَل وغراره، وشغل بها عمّا كان يستروح إليه من هربه إلى جزيرته المستباحة وقراره، حتّى دهمه أمر الله الذي لا ينجو منه هارب، ولا يعزه مغالب، وهو مستغرق في سنة غفلته واغتراره، باقيا عليها طول ليلة ونهارها.

واستمر الموحّدون — أعزهم الله — على سيرهم المبرور، وسعيهم الصالح المشكور، وقصدهم الموقوف على رضا الله تعالى المنصور، إلى أن وصلوا مليانة أول البلاد الشرقية؛ فألقى أهلها وقبائلها إليهم بالقاليد، ولاذوا بالاعتصام بهذا الأمر السعيد، وتبرؤوا إلى الله تعالى من الفرقة الغويّة والشيطان المريد، وألظوا بالمتاب والاستغفار، واستمطروا من سحب العفو والاقالة كلّ مدار، واعتذروا أنهم كانوا في قبضة القهر وربقة الاسار؛ فقبلوا متابهم، ووصلوا بأسباب الصفح والقبول أسبابهم، وخَوهم من لزوم جادّة النجاة، والتزام الطاعة الصحيحة والموالاة، على ما يصلح حالهم، ويعد مآلهم. وفرّ الاشقياء الذين طانوا بها على وجوههم، وساروا منجرّين إلى مصارع حتوفهم؛ فقتلهم القبائل الذين على طريقهم بكل سبيل، وأتوا الموحّدين — أعزهم الله — بمن أخره الحين منهم في ربقة الاسار الخاضع الذليل، ولم يفلت أحد من عددهم التافه الحقير القليل. واقتدى الرعايا — وفقهم الله — بهذا الفعل السديد، وأشعروا كلّ من قدروا عليه من الاشقياء شعار التثقيف والتصفيد، وجاؤوا بهم إلى الموحدين– أعزهم الله — مقعودين بأزمة المهانة، مسوقين بنسوع الملّة والاستكانة.

وكان طلبة الاسطول المظفر اجتمعوا بالموحدين — أعزهم الله — بتلمسان — كلأها الله —ورسموا لهم أن يكون اجتماعهم بالجزائر — كلأها الله ؛ فسبقت الاسااطيل الؤيدة إليها، وأطلت ببركة الله ويمن هذا الأمر العزيز عليها، فتيسّر لهم مرماها، وانفرج للحين إبهامها، وتجلّى بأنوار هذه الدعوة العليّة غيهبها الداجي وظلامها؛ وبادر أهلها إلى فتح أبوابها، والقبض على من أمكنهم ممّن كان عندهم من أوباش الضلالة وأوباشها،وبان للشرمذة اللعينة سوء مصيرها ومآبها. وكان ممّن حصل في ثقاف القهر، وتمطّنت من عنقة الذليلة ربقة الاسر، ابن عمّ الشقيّ الغوي وجماعة من أعيان شياطينة الرجماء، وجملة من كبار أصحابه الزعماء — مكّن الله من كافّتهم، ومن باستأصال شافتهم، بمنّه.

وعرّفهم أشياخ الجزائر وأعيانها أن الاشقياء الذين ببجاية عازمون على البعثة بالموحدين — أعزهم الله — الذين عندهم إلى ميروقة — فتحها الله — فسارعوا بالتوجه نحوها

خوفا ممّا ذكر لهم، ومبادرة أن يتّمم الاشقياء في ذلك أملهم، ويعملون مكايدهم فيه وحيلهم؛ فلما انتهوا إليها ألفوا أخوي الشقي الذين كانا بها قد أخذا فيما ظهر لهما بالجتهاد، وبالغا في الاحتياط والاستعداد؛ فضربا أخبيتهما بخارجها، ورتّبا رتبها على موالجها، وكتّبا كتائبها الفليلة أثناء أنقابها ومدارجها. وهيهات أن يعصم من أمر الله عاصم، أو يروم مغالبته رائم،أو يعازّه معاز أو يقاومه مقاوم؛ فهو أمر الله المنجد على كلّ محارب، الظهّر على كلّمطالب ومغالب، الموعود بالاشتيلاء على ما روي لنيّنا — عليه السلام — من المشارق والمغارب. فلمّا قرب الاسطول المبارك منها تقدّم من طلبته — وفقهم الله — الشيخ أبو محمّد عبد الله بن أبي إسحاق — أكرمه الله — فخاطب أهل البلد — وفقهم الله — بما بسط نفوسهم/ ومكّن تأسيسهم، وعرّفهم بالغرض الجميل فيهم، وما كان من بذل الامان لجميعهم؛ ورسم لهم أن يدخلوا ديارهم، ويظهروا في الطاعة آثارهم؛ فتابت إليهم بصائرهم، واستحكمت على التقوى نيّاتهم وسرائرهم، وخلصت في الإيمان الإيقان طويّاتهم وضمائرهم، وألقوا بيد المستسلم المبادر، ونابذوا الاشقياء الميورقّيين منابذة المباعد المنافر، وتبرّؤوا إلى الله تعالى وإلى أولياء أمره العزيز من مةالاة أمره الغادر الكافر.

وكانت للكفر ببجاية شوكة اغترّوا بها، وخويلة تخيّلوا التمويه على الغزاة — أنجدهم الله — بسببها؛ فبرز الغزاة — أعانهم الله — إليهم، واستعانوا بالله سبحانه عليهم، وناشبوهم القتال أشدّ مناشبة، ودافعوهم بأتمّ المدافعة والمحاربة، وصدّقوا الله تعالى فيما قابلهم به من مطاعنه ومضاربة؛ فوالى الفسقة عليهم الدفعات، وواتروا الحملات الصادقة والشدات؛ فكان أولياء الله صبراء أنجادا، كراما عند اللقاء مجادا، فصدّقوهم المكافحة قراعا وجلادا، واحتشبوا جهادهم ذخرا عند الله وعتادا؛ فنصر اله ناصره، واقطع أواخي الكفر وأواصره؛ وانهزم الأشقياء —أخابهم الله — لا يلوون على من تأخّر، ولا يأوون لمن تعذر، ولا يرثون لمن عجز عن سيرهم الخبيث أو قصر، يرومون اللحاق بغويّهم، ويأملون الاجتماع بشقيهم. وكان في هذه الجملة اللئيمة، والشرذمة الذميمة، أخوا الفاسق المذكوران؛ ففرّا فيمن فرّ من أغويائهم، وطارا على وجوههم مع من انهزم من أوليائهم الكفرة الفجرة وأشقيائهم، والله يستأصل جميعهم، ويمحو بأسياف هذا الأمر العزيز تابعهم ومتبوعهم، بمنه.ذ

وبادر الغزاة — أعانهم الله– إلى البلد فدخلوه، واحتووا على من بقي فيه من الكفرة وتملّكوه، دون عهد يمنع منهم، ولا عقد يحجر عنهم، وسارعوا إلى الطلبة — أعزهم الله–

والموحدين الذين كانوا معهم — وفقهم الله — فألفوهم بحمدالله على أحسن أحوال السلامة، مترّفين من الله تعالى كلّ نعمة وكرامة، مخوّلين من عونه وصونه كل عصمة مستصحبة وكلأءة مستدانة، وحصل في أيدي الموحدين — أعزهم الله — ببجاية الضالّ الغوي المسمى رشيدا عظيم الاشقياء ومدير أمرهم، وزعيم طغيانهم وكغرهم، وموقد نار فتنتهم وشرهم. وألفوا أسطول الخائن بجملته، بجميع ما كان تأهب له من أهبة وعدّته؛ فنفله الله أولياءه، وضاعف قبلهم بذلك نعماءه، وعرّفهم مزيد فضله عندهم ونماءه.

ولما سهّل الله لهم استدة بجاية وفتحها، وأطلع تعالى بأنوار هذا الامر العزيز فجرها وصبحها، بادروا بإعلام الطّلبة الغزاة — أعزهم الله — بهذا النبأ السارّ، واستعجلوا بتعريفهم بما منح الله فيه من البشر والمسارّ، فلقيتهم مخاطبتهم بذلك وقد انتهوا إلى أوائل متّيجة — مهدها الله — فطيّروا إلينا بخطابهم المذكور، وأردفوه بكتابهم معلمين بما لقوه في محاولتهم من التبشير والتيسير، وأوضحوا فيه ما عرّفناكم به من صنع الله وتسهيله، وما سناه سبحانه من كريم الفتح وجليله، ووالاه — جلّت قدرته — من متابع منه وموصوله.

وبقي الخائن الخاسر بجهة قسنطينة — حاطها الله — مسلوبا محروما، مفلوعا منكوبا، قد أوبقته ذنوبه وجرائره، وخذله معينه وناصره، وأسلمته إلى الحين المتاح، والموت المستأصل المجتاح، أقاربه وعشائره، وانبهمت عليه — خزاه الله— أوائل أمده الدائر وأواخره. وكأن قدأمكن الله منه أسيرا أو قتيلا، إذ لا يجد إلى مفر سبيلا، ولا يستطيع إلى نجاة تسبّبا ووصولا؛ والله يعجل به إلى ما أعدّ له من عذابه، وصليه أليم نكاله وعقابه، بيمنه وكرمه.

وعرّفناكم — أكرمكم الله — بهذه البشائر، والصنع الكريم الباهر، والفتح المتناصر المتظاهر، لتأخذوا من المسرّة فيه بأوفى نصيب، وتفيضوا في شكر موليه سبحانه بسهم مصيب، وتوالوا حمده تعالى على ما أرى الاعداء من هول ما حق ويوم عصيب. فاستديموا النعمة في ذلك بشكرها، ووفّوها واجب الحدّث بها ونشرها، وأشيدوا بها في أرجائكم وأنظاركم، وخاطبوا بنسخها إلى بواديكم وأقطارهم، واستشعروا حمد الله تعالى وشكره في إعلانكم وإسراركم، ومهدوا بالانقياد لأمر الله تعالى مهد استيطانكم في ظلّ أمنته وقراركم؛ والله يوفقكم من ذلك إلا يقتضي نجاح إيرادكم وإصداركم،بمنه وكرمه، لا ربّ غيره.والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كتب في الخامس من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. »

أ

ب

ي

أ

الفهرس